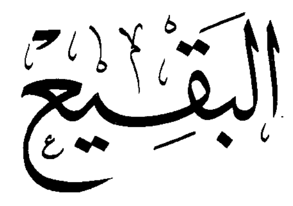
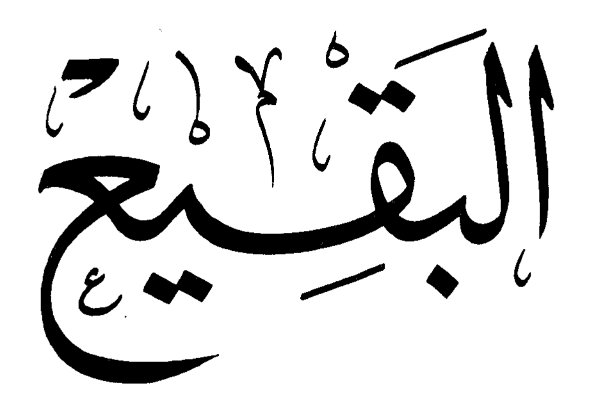

المهندس يوسف الهاجري
البقيع
قصة تدمير آل سعود للآثار الإسلامية
في الحجاز
مؤسسة البقيع لإحياء التراث
المكتبة التخصصية للرد على الو


البقيع

المهندس يوسف الهاجري



البقيع

قصة تدمير آل سعود للآثار الإسلامية في الحجاز

مؤسسة البقيع لإحياء التراث

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

مؤسسة البقيع لإحياء التراث
لبنان - بيروت - ص.ب ١١٣/٥٢٢٧

الإهداء

إلى كل من عارض آل سعود في هدم البقيع
إلى كل من قام بعملٍ ما لاعادة بناء البقيع
إلى كل من قال بيت شعر أو كتب سطراً من مأساة البقيع
وإلى كل من يرفع حجراً فوق حجر لبناء جنة البقيع
أُهدي هذا الجهد المتواضع

تقديم بقلم فضيلة الشيخ حسن الصفار

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجل ان تتواصل أجيال المجتمع البشري وتتوارث خبراتها كان لابد من كتابة التاريخ وحفظ آثار ومعالم الماضي ، الأمر الذي جعل كتابة التاريخ وحفظ آثاره عادةً وتقليداً بشرياً لدى كافة الأُمم ، فكلما تقدم المستوى الحضاري لأي أُمة إرتفعت ـ في المقابل نسبة إهتمامها بالتاريخ والآثار .

وقد جاء القرآن الحكيم مقرراً ومؤكداً لهذه السنّة والعادة البشرية الصالحة ، حين دعا البشر لقراءة التاريخ والإستفادة من آثار الماضين وملاحظة معالم حياتهم مما يعني أهمية الحفاظ على تلك المعالم والآثار حتى وان كانت ترتبط بمجتمعات كافرة ومنحرفة وذلك لكي تبقى ـ هذه المعالم والآثار ـ محلاً للعبرة والموعظة وأيضاً مجالاً لإقتباس التجارب والدروس .

يقول تعالى : ﴿ **ولقد أتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا** ﴾ ٤٠ ـ الفرقان .

ويقول تعالى : ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل . .**﴾ ٤٢ ـ الروم .

ويقول تعالى أيضاً : ﴿وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ ٣٨ ـ العنكبوت .

إضافة إلى آيات عديدة تتناول قصص وتجارب المجتمعات البشرية الماضية وتدعو إلى التأمل فيها .

هذا في الجانب الإنساني والحضاري ، اما في الجانب الديني فنجد إهتماماً كبيراً يوليه الإسلام في مجال تخليد مواقف وآثار الأولياء الصالحين وإبراز معالم حياتهم لتأخذ طريقها إلى ذاكرة الأجيال اللاحقة إزاء أؤلئك الأولياء لشدّ الناس إليهم عاطفياً وروحياً مما يساهم في توثيق الإرتباط الفكري والسلوكي بهم .

فالقرآن الحكيم حينما يتحدث عن قصة أصحاب الكهف يشير إلى عزم المؤمنين ـ آنذاك ـ على تعظيم مدفنهم ثم بناء مسجد فوقه لتخليد ذكرهم ، يقول تعالى : ﴿**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا**﴾ ٢١ ـ الكهف .

وإذا ما تأملنا مناسك الحج نجدها تتضمن التعظيم والتخليد لآثار الأولياء السابقين فقد بنى نبي الله إبراهيم (عليه السلام) عريشاً إلى جانب الكعبة ليكون مأوى لزوجته هاجر وإبنه إسماعيل وقيل ليكون زرباً لغنم إسماعيل وأصبح فيما بعد مدفناً لنبي الله إسماعيل وأُمه هاجر وليبقى هذا المكان الأثري رمزاً مخلداً فقد منحه الإسلام قداسة وتعظيماً إذ إعتبره جزءاً من الكعبة لابد وان يطوف حوله الطائفون .

وحينما عكف نبي الله إبراهيم (عليه السلام) على بناء الكعبة إستخدم صخرة من الحجر كسلم يصعد فوقه لمباشرة البناء فأراد الله تعالى تخليد هذا الأثر لنبيه إبراهيم ولعملية بناء البيت الحرام ، حيث دعا المسلمين إلى الصلاة عند تلك الصخرة ، قال تعالى : ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ بل قد

حفظ الله تعالى آثر قدمي إبراهيم على تلك الصخرة لتبقى خالدة إلى يومنا هذا بعد مرور أكثر من أربعة آلاف سنة ـ كما يقدر المؤرخون ـ ومازالت محفوظة في مكانها ضمن صندوق بلوري سميك على قاعدة من الرخام .

وهكذا بالنسبة للنبع الّذي أجراه الله ليطفأ ظمأ نبي الله إسماعيل يوم كان وليداً رضيعاً وقد إشتد به العطش ففحص الأرض برجله فانبجس بئر زمزم الّذي أصبحت له قداسة وحرمة حيث وردت أحاديث عديدة عن فضل ماء زمزم ولذلك حافظ عليها المسلمون ولا زالوا يتبركون بمائها .

ولعل في تشريع الله تعالى للسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط تذكيراً للاجيال بسعي هاجر ومحاولاتها الجادة في البحث عن ماء تروي به عطش وليدها هناك بين الجبلين .

ورمي الجمرات الثلاث هو الآخر نسك ينطوي على تخليد أثر وموقف لنبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) حينما رجم الشيطان بالحجارة اذ إعترض طريقه ليثنيه عن تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى كما تشير إلى ذلك الروايات .

من جهة ثانية يؤكد القرآن بوضوح على ان الله تعالى يريد للاماكن والبيوت التي يقطنها الانبياء والصالحون ان تشيد وتخلد عبر القرون والأجيال لتكون مناراً للهدى وتذكيراً برجالات الإخلاص والطهر يقول تعالى : **﴿في بيوت أذن الله ان ترفعَ ويذكر فيها إسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر . . .﴾** ٣٦ ـ ٣٧ النور .

وقد روى الحافظ السيوطي عن أنس بن مالك وبريده أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قرأ قوله تعالى **﴿في بيوت أذن الله ان ترفع . . .﴾** فقام إليه رجل وقال : أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : بيوت الأنبياء . فقام إليه أبو بكر وقال : يا رسول الله

وهـذا البيت منها ؟ وأشـار إلى بيتَ علي وفاطمـة (عليهمـا السـلام) . فقـال النبي : نعم من أفاضلها[1] .

من هذا المنطلق كانت الأجيال المؤمنة تتوارث الإهتمام والإحترام لمراقد ومسـاكن الأنبياء والأوليـاء ، فحول بيت المقـدس هناك قبـر نبي الله داوود في القدس وهكذا قبور أنبياء آخرين إبراهيم وبنيه إسحاق ويعقوب ويوسف الـذي نقله النبي موسى (ع) من مصر إلى بيت المقدس وبالتحديد في بلد الخليـل ، وكلها مبنية قد شيدت بالحجارة العادية العظيمة من قبل الإسلام وبقيت مشيدة حتى بعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس حيث أقـرها وتـركها الخليفـة عمر بن الخـطاب لما فتح بيت المقدس . . وينقـل إبن تيميـة في كتـابـه (الصـراط المستقيم) ان البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل (عليه السلام) كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة .

وممـا يكشف لنا أهميـة الآثار والمعـالم التاريخيـة مـا ورد في أحـاديث الأسراء والمعراج انه كان من برامج تلك الرحلة الإلهية الإعجازية تجوّل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وزيارته لمواقع الأنبياء السابقين حيث ورد ان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في رحلة المعـراج نزل في « المـدينة » و « طـور سيناء » و « بيت لحم » وصلى فيها ، فقال له جبرائيل : يا رسول الله أتعلم أين صليت ؟ إنك صليت في « طيبه » وإليها مهاجرتك وصليت في « طـور سيناء » حيث كلم الله موسى تكليما ، وصليت في « بيت لحم » حيث ولد عيسى[2] .

وتأسيساً على هذا الفهم الحضاري والديني وبدافع وجداني فطري أولى المسلمون الأوائل إهتماماً كبيراً بحفظ كل ما يتصل بحياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من أقـوال نطق بهـا أو أعمال صـدرت عنه أو معـالم وأشياء

---

(١) عن تفسير الدر المنثور : ج٥ ص٥٠ .
(٢) الوهابية في الميزان : ص١٥٧ ، عن الخصائص الكبرى للسيوطي .

باشرها في حياته وخلال تحركه ، فكانوا يعظمون ويقدسون ويتبركون بكل شيء يمت بصلة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

فكان إهتمام المسلمين بشأن آثار النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسيره وسلوكه إلى حد بلغ فيه أنهم سجلوا دقائق أُموره وخصائص حياته ومميزات شخصيته ، حتى أنهم سجلوا ما يرتبط بخاتمه وحذائه وسواكه وسيفه ودرعه ورمحه وجواده وأبله وغلامه ، وحتى الآبار التي شرب منها الماء والأراضي التي أوقفها لوجه الله سبحانه ، والطعام المفضل لديه ، بل وكيفية مشيته ونومته وأكله وشربه ، وما يرتبط بلحيته الشريفة وخضابه لها ، وغيره ذلك ، وما زالت آثار البعض منها باقية إلى يومنا هذا[1] .

وقد خصص البخاري في صحيحه باباً أسماه (باب ما ذكر من درع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك ـ مما لم يذكر قسمته ـ ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته)[2] .

ومن مظاهر إهتمام المسلمين بآثار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعالم حياته ضبط مؤرخيهم حتى للآبار التي شرب منها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو توضأ أو أغتسل من مائها ، وقد جمع العلامة السمهودي في كتابه (وفاء الوفاء) الجزء الثالث أسماء تلك الآبار وتحقيقات المؤرخين حولها .

أما إذا عثر أحد من المسلمين على شعرة واحدة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فانها تصبح محل إجلال وتعظيم ووسيله تبرك وتقديس من قبل

---

(١) الوهابية في الميزان : ص٧٢ ، وراجع طبقات الصحابة لابن سعد : ج١ ص٣٦٠ إلى ٥٠٣ حول الموضوع نفسه .

(٢) صحيح البخاري : ج٤ ص٨٢ المطبوع سنة ١٣١٤هـ .

كافةِ المسلمين وكما يقول إبن حجر الهيثمي انه يسن بل يتأكد التبرك بشعره (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسائر آثاره ، وتوجد حتى الآن بعض الشعيرات المنسوبة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في العديد من البلدان الإسلامية .

كما كان المسلمون الأوائل يحتفظون ويتوارثون بإهتمام بالغ بعض الأواني والأوعية التي إستخدمها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في حياته كالقدح الذي شرب به ماء فقد كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يتبرك بالشرب في قدح النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وينضح من مائه على وجهه ، كما ان أنس بن مالك كان يحتفظ بقدح النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد بقي حتى رآه البخاري في البصرة فتبرك بالشرب منه حيث ذكر القرطبي في مختصر البخاري انه رآى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري : قال أبو عبدالله البخاري رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت منه وكان اشترى من ميراث النضر بن أنس بثمانمئة ألف[1] .

أما بالنسبة لاهتمام المسلمين بملابس رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والإحتفاظ بها للذكرى والتبرك ، فأن كتب التاريخ والأدب تناقلت بصورة مستفيضة قصة (البردة) التي أعطاها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للشاعر العربي كعب بن زهير مكافأة له لقاء قصيدة ألقاها في مدح رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد بلغ من حرص كعب على الإحتفاظ بتلك (البردة) انه رفض مختلف العروض والإغراءات المادية لشرائها منه حتى بذل له معاوية بن أبي سفيان عشرة آلاف درهم ، فقال كعب : ما كنت لاوثر بثوب رسول الله أحداً ، فلما مات بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهماً فأخذها منهم فتوارثها الخلفاء والسلاطين من بعد معاوية فكانوا يلبسونها

---

(١) التبرك (الشيخ علي الأحمدي) ص١٢٨ ـ ١٣٠ .

في الأعياد والمناسبات[1] . وقد عقد السيوطي في (تاريخ الخلفاء) فصلاً في شأن البردة النبوية .

وكان متاع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عند عمر بن عبد العزيز في بيت ينظر إليه كل يوم فإذا إجتمعت إليه قريش أدخلهم ذلك البيت ثم أستقبل ذلك المتاع فيقول : هذا ميراث من أكرمكم الله وأعزكم به ، قال وكان سريراً مزملاً بشريط ومزققه من أدم محشوة ليفاً ، وجفنه ، وقدحاً ، وثوباً ، ورحى ، وكنانة فيها أسهم ، وكان في القطيفة اثر رشح عرق رأسه أطيب من ريح المسك[2] .

وذكر السمهودي في (وفاء الوفاء) أن سيف عبدالله بن جحش الذي أعطاه له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم أحد لم يزل يتوارث حتى بيع من (بغا التركي) بمئتي دينار[3] .

وقال إبن كثير في (البداية والنهاية) إشتهر في حدود سنة ٦٠٠هـ وما بعدها عندرجل من التجار يقال له (إبن أبي الحدرد) نعل مفرده وذكر انها نعل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه بمال جزيل ، فأبى ان يبيعها فاتفق موته بعد حين فصارت إلى الملك الأشرف المذكور فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى (دار الحديث الأشرفية) إلى جانب القلعة جعلها في خزانه منها وجعل لها خادماً وقرر له من المعلوم كل شهر أربعون درهماً وهي موجودة الآن في الدار المذكورة[4] .

---

(١) المصدر السابق : ص١٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ص١٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ج١ ص١٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ج٦ ص٧ .

وحتى الطريق التي سلكها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمواقع التي نزلها في أسفاره وصلى فيها أصبحت موضع إهتمام وتقدير المسلمين لحفظ دقائق الأمور من حياة رسول لله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والتبرك والتعظيم لآثاره ويعتبرون ذلك عملاً دينياً ، فعن موسى بن عقبة قال : رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن اباه كان يصلي فيها وانه راى النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) يصلي في تلك الامكنة ويعلق على ذلك ابن حجر الهيثمي في (فتح الباري) بقوله: عرف من صنيع بن عمر استحباب تتبع آثار النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والتبرك بها[1] . .

هكذا كان المسلمون يولون اهتماماً بآثار الإسلام ومعالم حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وكذلك آثار أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) والصحابة الاخيار ، يدفعهم إلى ذلك الفطرة والوجدان كما يحثهم الدين والعقل على الاهتمام بالتاريخ وحفظ معالمه وآثاره .

وبطبيعة الحال فان القسم الاكبر من الاثار والمعالم التاريخية الإسلامية المرتبطة بنشأة الإسلام وبداية ظهوره ، وبسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) والبررة من آله واصحابه توجد في منطقة الحجاز من الجزيرة العربية ، فهناك ولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ونشأ وتربى ، وهناك كان يتعبد في غار حراء حيث هبط عليه الوحي ، وهناك البيت الحرام والكعبة المشرفة ومناسك الحج ، ومن مكة إلى الطائف إلى المدينة تنقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وفي تلك الربوع كانت غزواته ومعاركه مع المشركين ، واخيراً تشرفت تلك البقاع بمثوى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) والعديد من أهل بيته وصحابته .

(١) المصدر السابق : ج١ ص٤٧١ .

وتأسيساً على ذلك فإن كل ذرة تراب في الحجاز تحكي تاريخاً مشرقاً ، وكل قطرة ماء هناك تحمل ذكريات عظيمة، وكل نسمة هواء في الحجاز تبعث فينا روح الاصالة وتثير في نفوسنا الحنين وتشدنا إلى ماضي الرسالة الزاهر ، من هنا كانت الحجاز تبعث فينا روح الاصالة وتثير في نفوسنا الحنين وتشدنا إلى ماضي الرسالة الزاهر ، من هنا كانت الحجاز مأوى الافئدة ومبعث الشوق وسجل الذكريات العزيزة على قلوب المسلمين طوال التاريخ . . فالحجاز محور تدور حوله حركة التاريخ الاسلامي .

ومما يبعث الالم والاسى أن تتعرض هذه الديار المقدسة في هذا العصر لمؤامرة خطيرة تستهدف تاريخ الاسلام وآثار ومعالم الرسالة الالهية ، حيث تسلط على الجزيرة العربية آل سعود وهم يحملون مخططاً رهيباً يهدف إلى ازالة آثار الإسلام ومعالم تاريخه الأول وذلك بناء على الافكار التي بشر بها محمد بن عبد الوهاب حليف آل سعود في إقامة حكمهم وسلطانهم ، فقد بادر آل سعود واتباع محمد بن عبد الوهاب إلى هدم جميع البيوت والمشاهد والقبب والمساجد التي شيدت لحفظ آثار الرسالة وتعظيم مضاجع الائمة والشهداء والصحابة، ففي مكة هدموا المنزل الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومحل ولادة ابي بكر، وقبة السيدة خديجة ، وفي « تاريخ الجبرتي » انهم هدموا ايضاً قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة وتتبعوا جميع المواضع التي تضم آثار الصالحين فهدموها ، وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون ويبالغون في شتم القبور ويقولون (إن هي إلا اسماء سميتموها)[1] .

وقال (الجبرتي) ايضاً : لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدموا

---

(١) كشف الإرتياب : ص٢٢ .

القباب التي فيها وفي ينبع ومنها قبة ائمة البقيع بالمدينة ، لكنهم لم يهدموا قبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وحملوا الناس على ما حملوهم عليه بمكة واخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها حتى انهم ملؤا أربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر .

ولما دخل الوهابيون الى الطائف هدموا قبة ابن عباس . . وفي مكة هدموا قباب عبد المطلب جد النبي وابي طالب عمه وخديجة أم المؤمنين، وخربوا مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومولد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولما دخلوا جدة هدموا قبة حواء وخربوا قبرها، وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها والطائف ونواحيها وجدة ونواحيها من القباب والمزارات والامكنة التي يتبرك بها ، ولما حاصروا المدينة المنورة هدموا مسجد حمزة ومزاره لانهما خارج المدينة وشاع انهم ضربوا بالرصاص على قبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)[٣] .

وحتى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ارادوا هدمه لولا الخوف من انفجار الاوضاع في العالم الاسلامي ضدهم لأن رأي محمد بن عبد الوهاب حول القبور والاثار شامل لا تخصيص فيه لنبي ولا لرسول وقد صرح اخيراً أحد دعاتهم ومرتزقتهم (ابراهيم سليمان الجبهان) في كتابه (تبديد الظلام) بنوايا آل سعود تجاه قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وانهم يعتبرون بقاءه منكراً وانحرافاً ، قال: « نحن لا ننكر أن بقاء الأبنية على قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) مخالفاً لما أمر به الرسول » وأضاف « وان ادخال قبره في المسجد أشد إثماً وأعظم مخالفة » ، وبعد أن يستنكر الجبهان لادخال قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد النبوي

(٣) المصدر السابق .

في العصور الأولى للإسلام ينتهي للقول بأن « سكوت المسلمين على بقاء البنية لا يصيرها أمراً مشروعاً »[1] .

واننا في هذه السطور القليلة العاجلة لا نود مناقشة الأدلة والدعاوي الواهية التي يتخذ منها آل سعود مبررات وذرائع للتجرأ على آثار الإسلام ومعالم تاريخ الرسالة فهي دعاوي وأدلة مرفوضة ومردودة باجماع المسلمين في الماضي والحاضر على تعظيم آثار الأولياء ومراقد الشهداء والصالحين ، هذا بالاضافة إلى وجود ثغرات واضحة مبطله لادلتهم قبالة الأدلة الراجحة المعارضة لها .

وقد اعترف بسيرة المسلمين وتوافقهم على تعظيم المراقد والآثار الصنعاني الوهابي في رسالته (تطهير الإعتقاد) حيث قال : « ان هذا أمر عم البلاد وطبق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام الا وفيها قبور ومشاهد بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد »[2] .

من هذا المنطلق فاننا نناشد المسلمين ان يتفهموا أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة على تاريخهم ومعالم حضارتهم فهي وجه آخر للمحاولات الإستعمارية الهادفة إلى فصل المسلمين عن دينهم وقطعهم عن أصالتهم وماضيهم ليكونوا أمة ضائعه بلا هوية ولا تاريخ ، ذلك أننا نلحظ في هجوم الغرب الكافر على الإسلام في هذا العصر تركيزه على هزّ ثقة المسلمين بدينهم وتشويه سيرة سلفهم الصالح ولان بقاء آثار الإسلام ومعالم الرسالة يشكل عامل انشداد وانجذاب قوي من المسلمين للدين الإسلامي ولعصوره الزاهرة فكان لابد للاستعمار وان يسعى لازالة تلك الآثار والمعالم ولكن كيف يستطيع ذلك والمسلمون يضفون كل تقديس وتعظيم لكل ما يرتبط بحياة وسيرة نبيهم

(١) تبديد الظلام : ص٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ص١٧ ـ ١٩ طبع المنار بمصر .

المصطفى والطيبين من آله وأصحابه ؟ .

فتفتق فكر الإستعمار ودهاؤه عن هذا المخطط السعودي الوهابي الخطير حيث تم للاستعمار ما أراد على أيديهم وتحت غطاء شرعي مزيف ومبررات دينية كاذبة ، والآن وقد تيقظت جماهير الأمة وأدركت أبعاد مؤامرات الإستعمار الفكرية والسياسية ، أما حان الوقت للتصدي لجرأة السعوديين على انتهاك حرمات ومقدسات الإسلام ومعالم تاريخ المسلمين والتي هي ملك للأمة جمعاء ولا يحق لاحد ـ كائناً من كان ـ ان ينفرد أو يستبد بالتصرف فيها .

صحيح اننا نواجه مؤامرات وأخطار رهيبة على ثروة وإستقلال بلاد المسلمين من قبل الإستكبار العالمي ، ولكن ذلك لا يعني التغافل والتسامح في التصدي للمؤامرات والأخطار التي تستهدف أصالتنا وهويتنا وتاريخنا ، أن مثل هذه المؤامرات تصيب المسلمين كافة في العمق والجذور والصميم .

ان المسلمين اليوم مطالبون بان يضعوا حماية المقدسات والآثار الإسلامية في الحجاز ضمن أولويات برامجهم وتحركهم الإسلامي ، فان هدم اثر لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أو إزالة معلم من معالم سيرته وحياته وكذلك سيرة أهل بيته وأصحابه الأبرار لا يقل شأنا وخطورة عن أي إساءة

أو اعتداء يمارسه اليهود الصهاينة في فلسطين ضد المسجد الأقصى والمعالم المحيطة به . . بل لعل ما يصنعه السعوديون أكثر نكاية وخطورة حيث تزال مقدسات الإسلام على أيدي أُناس يحسبون على المسلمين وبغطاء شرعي زائف .

وهذا الكتاب الذي يتحرك على أنامل القارىء الكريم انما هو صرخة رسالية لأثارة إهتمام وهمم المسلمين تجاه ما يحدث لمقدساتهم وآثار تاريخهم ومعالم حياة سلفهم الصالح في الحجاز على أيدي الوهابيين السعوديين ،

فجزى الله مؤلفه الفاضل خير الجزاء ووفقه لمواصلة الجهاد دفاعاً عن المبادىء والمقدسات . . وعسى ان تجد هذه الصرخة الإيمانية آذاناً صاغية مستجيبة في الأُمة ، تهب لدراسة وضع تلك الآثار والمقدسات المهدمة ، وتتحرك لإعادة تشييد وبناء تلك المراقد الطاهرة والمعالم الخالدة . . وما ضاع حق خلفه مطالب . . والله ولي التوفيق .

حسن الصفار

١٥/ ٥/ ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا يكاد المرء يصدق وهو يتجول في أحياء المدينة المنورة (أو سائر مدن الحجاز الأخرى) أنه في بلاد مهبط الوحي ، وانها آوت سيد المرسلين (ص) لثلاث وستون عاماً وآوت الأئمة الهداة (ع) ، والأصحاب الخلص لعشرات السنين . . . حيث لا تجد لهؤلاء من أثر يذكر يبقى لتمجيدهم . . .

ـ مقبرة المعلا في مكة المكرمة التي تحوي قبور الأجلاء من أهل البيت والصحابة الخلص . . منهم قبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (ع) ، وقبر أمنة بنت وهب أم الرسول (ص) ، وقبر أبو طالب (ع) والد الإمام علي (ع) ، وقبر عبد مناف ، وقبر عبد المطلب حيث هدمت قببهم أثناء الإحتلال السعودي لمكة . .

ـ قبر أمنا حواء في جدة .

ـ قبر والد النبي (ص) في المدينة المنورة .

ـ بيت الأحزان الخاص بفاطمة الزهراء عليها السلام في المدينة .

ـ مسجد سلمان في المدينة المنورة .

ـ بيوت بني هاشم في المدينة .

- مسجد الشمس في المدينة .

- مشهد ذي النفس الزكية في المدينة .

- بيت رسول الله (ص) الذي أقام فيه أول ما قدم إلى المدينة .

- الخندق الذي حفره المسلمون في غزوة الخندق .

- قبر نبي الله اليسع (ع) في قرية الأوجام بالقطيف .

- مسجد جواثا وهو ثاني مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله (ص) ، ويقع في منطقة الأحساء .

- مسجد العباس بن علي (ع) في قرية المطيرفي بالأحساء .
- البيت الذي ولد فيه الرسول الأكرم (ص) بشعب الهواشم في مكة .
- بيت السيدة خديجة بنت خويلد (ع) .
- بيت الحمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص) .
- قبور شهداء بدر ومكان العريش الذي نصب للرسول (ص) في مكان الموقعة .
- دار الإمام الصادق (ع) في المدينة المنورة .
- مسجد ثنية الوداع .
- مسجد البغلة .
- محلة بني هاشم في المدينة المنورة .

- بالإضافة إلى عشرات المساجد والحسينيات التابعة للشيعة في الأحساء والقطيف والمدينة المنورة ومكة المكرّمة .

- ومقبرة جنة البقيع التي تحوي ثرى أربعة من الأئمة الهداء (ع) وهم :

الإمام الحسن بن علي (ع) .

والإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع) .

والإمام محمد بن علي الباقر (ع) .

والإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) .

وقبر السيدة فاطمة الزهراء (ع) على المشهور .

وقبر فاطمة بنت أسد أم الإمام علي (ع) .

وقبر إبراهيم إبن الرسول (ص) ، وقبر العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) وقبور عمتيه صفية وعاتكة ، وبناته زينب وأم كلثوم ورقية ومرضعته حليمة السعدية وزوجاته أمهات المؤمنين .

بالإضافة إلى قبور مئات من الصحابة والصالحين قدروا بأكثر من عشرة آلاف . .

البقيع التي ذكرت في التوراة . وكان رسول الله (ص) يزورها في ليالي عائشة (كما تروي) ، وكان (ص) يقول « إني أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع »[1] وكان يقول « من زار الحسن في بقيعه ثبت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام »[2] .

البقيع التي كانت متألقة بقبابها ومشاهدها المقدسة ، والتي لا يمتلك من يراها سوى الحديث عنها . . يمر عليها إبن جبير فيصف قبري الإمام الحسن والعباس بن عبد المطلب فيها فيقول : « وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق مرصعة بصفائح الصفر ومكوكبة بمساميره

(١) وفاء الوفاء ـ السمهودي ـ ص١٧٨ .

(٢) بحار الأنوار ـ ج١٠٠ ـ ص١٣٩ .

على أبدع صفة وأجمل منظر »[1] ، ويصف إبن بطوطة قبة الإمام الحسن (ع) فيقول : « هي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الأحكام »[2] .

البقيع التي كانت قبلة الزائرين ومركز إشعاع روحي للمؤمنين في أنحاء العالم يتسلط عليها مجموعة من المتزمتين والمتحجرين يفسرون الدين وفقاً لرغباتهم ويعتبرون البناء علىٰ القبور من المحرمات (. . .) ويقومون بهدمها بكل صلافة متجاهلين مشاعر ملايين المسلمين في أنحاء العالم ، وضاربين بتعهداتهم بالمحافظة عليها عرض الحائط . . هذا في الوقت الذي يحرصون فيه على المحافظة على تراث عائلتهم المالكة فيحتفظون بلباس أبيهم عبد العزيز وأثاث منزله وحتى سريره الخاص وأدواته الخاصة ويقيمون مؤسسة ضخمة لهذا الغرض[3] ولدراسة جوانب حياته ويعقدون المؤتمرات الخاصة لذلك ، ولا زالوا يحافظون على آثاره في مدينة الدرعية حيث بداية حكم جدهم محمد بن سعود (١٧٤٥م) ، وأنفقت الحكومة السعودية ١٢ مليون ريال سعودي لصيانة قلعة سعودية في الدرعية .

. . . . لا بل يحتفظون بالآثار اليهودية في المدينة المنورة مثل حصن كعب بن الأشرف رأس اليهود . . حيث تحافظ عليه السعودية من كل سوءٍ . .

---

(١) رحلة إبن جبير ـ ص١٥٣ .

(٢) رحلة إبن بطوطة ـ ص٨٩ .

(٣) المؤسسة هي (دارة الملك عبد العزيز) والتي اسست بقرار ملكي صدر في ١٣٩٢/٨/٥هـ وجاء في المادة الثالثة لنظام إنشائها ما يلي : « تقوم الدارة تحقيقاً لأغراضها بالأُموار التالية : ـ إعداد بحوث ، ودراسات ، ومحاضرات ، وندوات ، عن سيرة الملك عبد العزيز الخاصة ، وعن المملكة ، وحكامها ، وأعلامها قديماً وحديثاً بصفة عامة . وإنشاء قاعة تذكارية تضم كل ما يصور حياة الملك عبد العزيز ، وآثار الدولة السعودية منذ نشأتها » أنظر مجلة الفيصل ـ العدد ١٢٣ ـ ص٦٢ .

بل تحذر من يحاول هدمه بالعقاب الصارم !![1] حيث وضعت لوحة إلى جانبه كتب عليها :

« تحذير منطقة آثار : يحظر التعدي عليها تحت طائلة العقوبات الواردة بنظام الآثار بالمرسوم الملكي رقم و/٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/١٢هـ » . .

كما انهم قاموا بتوسعة مسجد قباء وأدخلوا فيه المكان الذي كان عليه مسجد ضرار الَّذي بناه المنافقون وأمر الرسول (ص) بهدمه ولما نزلت آية ﴿**لا تقم فيه أبداً**﴾ كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد[2] وروى عن جابر بن عبدالله وغيره أنه قال : رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله (ص) وروى أن رسول الله (ص) رآه حين انهار حتى بلغ الأرض السابعة ، ففزع لذلك رسول الله (ص) . . . وقيل عنه : كان الرجل يدخل فيه سعفة فتخرج سوداء محترقة[3] . . هذا المكان المشؤوم يسعى آل سعود لإعماره بحجة توسعة مسجد قباء .

لقد كان لحادثة هدم البقيع وقع الصاعقة على المسلمين في أنحاء العالم وكانت ردود فعلهم والضغوطات التي مارسوها على النِّظام السعودي مما يثلج الصدور حيث عبرت عن قوة المشاعر الدينية لديهم وعن ولائهم الكبير للأئمة وأهل البيت (ع) ولصحابة الرسول (ص) ، وتكشف عن مدى تضامن المسلمين في أنحاء العالم مع بعضهم البعض أثناء المحن ، كما تعبر عن مدى تعاطفهم مع شعب الجزيرة العربية في محنته مع التزمت المقيت للتدين السعودي ، ولو قدر لردودالفعل هذه أن تستمر لكان بإمكانها أن تشكل عامل ضغط حاسم على

---

(١) انظر صورة الحصن والتحذير في نهاية الكتاب .

(٢) المهدم من آثار المدينة المنورة ـ ص٤٠ .

(٣) المصدر السابق ـ ص٤٠ .

النظام السعودي لإعادة بناء العتبات المقدسة في جنة البقيع والآثار الإسلامية الأخرى . . .

. . . . واليوم حيث تمر أكثر من خمس وستين عاماً علىٰ الجريمة الكبرى فإن المسؤولية لا زالت ملقاة على عواتقنا لإزالة آثارها وإعادة الإعتبار لمقدساتنا المهانة في الحجاز وإنطلاقاً من ذلك فقد تدارس علماء الدين والمفكرون في الجزيرة العربية الموضوع وخرجوا بفكرة ضرورة إحياء يوم الثامن من شوال (وهو الذكرى السنوية لهدم البقيع) وإعلانه يوماً للتضامن مع شعب الجزيرة العربية ، والقيام بنشاطات إعلامية وسياسية واسعة في أنحاء العالم لإحياء هذه الذكرى والمطالبة بإعادة بناء البقيع .

وهذا الكتاب ما هو إلَّا خطوة متواضعة على هذا الطريق ، حيث كانت فكرته تلح على الكثيرين ، وكنت أتألم شخصياً لعدم وجود كتابٍ يبين مظلومية البقيع ويدعو لتبني قضيتها ، وربما لم يكن بإستطاعتي الإسراع في كتابته لولا نذر نذرته بكتابة بحث حول البقيع إذا ما شفيت من مرضٍ ألمَّ بي لأكثر من عامٍ كامل ، ولقد شفيت منه بفضل الله تعالى في حوالي أسبوع من الزمان فقط بعد طول معاناة . .

ولقد كانت الكتابة حول موضوع من هذا القبيل شاقة للغاية نظراً لعدم وجود كتابات سابقة حوله ولكونه أصبح في عالم النسيان منذ مدة وبعث موضوع من هذا القبيل وجعله في دائرة الإهتمام يستدعى حشد هائل من المعلومات القديمة والحديثة حوله لإعادة الإعتبار الحقيقي إليه .

وهذا ما حرصت على القيام به في بحثي هذا .

أرجو من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل بأحسن القبول ، وأن يجعله زاداً لي يوم المعاد انه نعم المولى ونعم النصير .

يوسُف الهَاجري

٢٠/٢/١٤١٠ هـ

الفصل الاول

بقيع الغرقد .. وصف وتعريف

البقيع في اللغة : ـ

يطلق على مقبرة البقيع كذلك إسم بقيع الغرقد . فالبقيع هو المكان الَّذي فيه أُرُوم[1] الشجر من ضروب شتى .

والغرقد قيل كبار العوسج[2] ، وهو جمع عوسجة وهو شجيرات من فصيلة الباذنجانيات أغصانه شائكة وأزهاره مختلفة الألوان[3] .

وقيل عن الغرقد : شجر من شجر الغضا وهي بالقصر شجر ذو شوك وخشبة من أصلب الخشب وفي فحمه صلابة[4] .

وورد في « عمدة الأخبار في مدينة المختار »[5] ان « البقيع : في اللغة المكان ، وقال قوم : لا يكون بقيعاً إلَّا وفيه شجر ، وبقيع الغرقد كان ذا شجر ،

---

(١) الأَروم جمعها أُرُوم وهو أصل الشيء . . وتعني أصل الشجرة وما يبقى منها في الأرض بعد قطعها ـ المنجد في اللغة والإعلام ـ ص٩ .

(٢) مرآة الحرمين ـ الجزء الأول ـ ص٤٢٥ .

(٣) المنجد في اللغة والإعلام ـ ص٥٠٥ .

(٤) تحفة الحرمين وسعادة الدارين ـ ص٢٢٦ .

(٥) عمدة الأخبار في مدينة المختار ـ ص١٤٨ .

وذهب الشجر وبقي الإسم ، وهو مقبرة بالمدينة الشريفة من شرقها ، ويقال لها كفته بفتح أوله وإسكان ثانيه بعدها تاء معجمة باثنين من فوقها : إسم لبقيع الغرقد وهي مقبرة » .

وهذا الإسم مشتق من قوله عزَّ وجلَّ ﴿**ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا**﴾ سميت بذلك لأنها تكفت الموتى أي تحفظهم وتحرزهم .

وذكرها الحموي في (معجم البلدان)[1] فقال : أصل البقيع في اللغة الموضع الَّذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمي * بقيع الغرقد - والغرقد - كبار العوسج . . قال الراجز :

* أَلِفْنَ ضالاً ناعماً وغرقداً *

. . وقال الخطيم العكلي :

أواعس في برث من الأرض طيب   وأودية ينبتن سدراً وغرقداً

وقد أطلق لفظ البقيع على عدة أماكن في المدينة وغيرها . .

منها بقيع الزبير : « بالمدينة فيه دور ومنازل »[2] .

وبقيع الخيل : « بالمدينة أيضاً عند دار زيد بن ثابت »[3] وهو « سوق قرب البقيع عرفت ببقيع الخيل ، كان بنو سليم يجلبون إليها الخيل والإبل والغنم والسمن وكان أكثر ما يباع في هذا السوق الحيوانات »[4] . . وقال عنه

---

(١) معجم البلدان - المجلد الثاني - ص٢٥٣ .
(٢) المصدر السابق - ص٢٥٤ .
(٣) المصدر - ص٢٥٤ ، أخبار المدينة المنورة - إبن شبة - ص٣٠٦ .
(٤) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، أحمد إبراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، مصر - الطبعة الثانية - ص٣٦٦ .

البكري[1] : « بقيع الخبجبة ، بخاء معجمة وجيم وبائين ، كل واحدة منهما معجمة بنقطة واحدة : بالمدينة أيضاً ، بناحية بئر أبي أيوب ، والخبجبة شجرة كانت تنبت هناك » وسماه البعض (الخبْخبة) بخائين .

وورد في دائرة المعارف الإسلامية (المعرَّبة) عن البقيع تعريف لم أجده في المصادر الأخرى : « هو مقبرة المدينة . وهذا الإسم يدل على أرض كانت في الأصل مغطاة بنوع من شجر التوت مرتفع »[2] .

وقيل عن البقيع أيضاً : انه « قاع ينبت الذَّرّق »[3] .

---

(١) معجم ما إستعجم من إسماء البلاد والمواضع ـ الجزء الأول ـ ص٢٦٥ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ـ ص٣٥٠ .
(٣) معجم ما إستعجم من أسماء البلاد والمواضع ـ ص٢٦٥ .

البقيع قبل الاسلام:

لم تكن للبقيع أية شهرة معروفة سوى انها كانت حديقة من الحدائق الواقعة شرق يثرب ، وقد ذكرها صاحب (مرآة الحرمين)[1] فقال :

« وبقيع الغرقد هذا هو الذي ورد ذكره في مرثية عمرو إبن النعمان البياضي لقومه ، وقد دخلوا في بعض حروبهم حديقة من حدائقهم وأغلقوا بابها عليهم ثم إقتتلوا فلم يفتح إلَّا بعد ان قتل بعضهم بعضاً فقال في ذلك :

خلت الديار فَسُدت غير مُسوّد … ومن العناء تَفَرّدي بالسؤدد
أين الذين عهدتهم في غبطة … بين العقيق إلى بقيع الغرقد
كانت لهم أنهاب كل قبيلة … وسلاح كل مدرّب مستنجد
نفسي الفداء لفتية من عامر … شربوا المنيَّة في مقام أنكد
قوم هم سفكوا دماء سراتهم … بعض ببعض فعل من لم يرشد
يا للرجال لفتية من دهرهم … تركت منازلهم كأن لم تعهد »

وقال ياقوت الحموي[2] : « انها منسوبة إلى رجل من خثعم وفي أولها زيادة على هذا » .

---

(١) مرآة الحرمين ـ الجزء الثاني ـ ص٤٢٥ .

(٢) معجم البلدان ـ المجلد الثاني ـ ص٢٥٤ .

البقيع في التوراة :

في رواية وردت (عمدة الأخبار في مدينة المختار) ان إبن الـزبير روى بسنده عن كعب الأحبار ، قال : « نجدهـا في التوراة كفتـه محفوفـة بالنخيـل وموكل بها ملائكة ، وكلما إمتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها في الجنة » . قال إبن النجار : يعني البقيع »[1] .

وروي عن سعيد المقبري قال : « قدم مصعب بن الزبير حاجاً أو معتمراً ومعه إبن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة قال إبن رأس الجالوت : « انها لهي » ، قال مصعب : ومـا هي قال : « انـا نجد في كتاب الله صفة مقبرة في شرقيها نخل ، وغربيها بيوت ، يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، وقد طفت مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة ، وفي لفظ لما أشرف إبن رأس الجالوت على البقيـع قال : هذه التي نجد في كتاب الله كفته لا أطؤهـا» ، قال : « فـانصرف عنهـا إجلالاً لها »[2] .

وورد في تاريخ المدينة لابن شبة

« حدثنا خليح بن محمد اليماني قال ، حدثنا محمد بن سعيد المقبـري قال ، حدثني أخي ، عن جدَّه ، أن كعب الأحبار قال : نجد مكتوباً في الكتاب أن مقبرة بغربي المدينة على حافة سيل ، يحشر منهـا سبعون ألفـاً ليس عليهم حساب . . وأن أبا سعيد المقبري قال لإبنه سعيـد : ان أنا هلكت فـادفني في مقبرة بني سلمة التي سمعت من كعب »[3] .

---

(١) عمدة الأخبار في مدينة المختار ـ ص١٥٠ .
(٢) المصدر السابق ـ ص١٥٠ .
(٣) تاريخ المدينة المنورة ـ إبن شبة ص٩٢ .

البقيع كمقبرة:

الظاهر من المصادر التاريخية ان أول من دفن بالبقيع هو عثمان بن مظعون وهو أخو الرسول (ص) من الرضاعة كما قيل . . وبعده دفن إبن الرسول (ص) إبراهيم ، « ففي وفاء الوفاء للسمهودي روى إبن زبالة عن قدامة إبن موسى ان أول من دفن رسول الله (ص) بالبقيع عثمان بن مظعون قال : وروى أبو غسان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه لما توفى إبراهيم إبن رسول الله (ص) أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون فرغب النَّاس في البقيع وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها . قال : وروى إبن أبي شبه عن قدامة بن موسى كان البقيع غرقداً فلما (هلك !)[*] عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه »[1] .

وهكذا فقد إتجه النَّاس آنذاك إلى الدفن في البقيع للتبرك بمن دفن هناك ، خاصة ان رسول الله (ص) كان يزور البقيع ويدعو لأهلها فقد ورد في سنن البيهقي[2] : عن عائشة : كان (ص) يخرج إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون . وأنَّا بكم ان شاء الله لاحقون ، اللهم إغفر لأهل بقيع الغرقد » .

* القوسان وعلامة التعجب للكاتب .

(١) كشف الإرتياب في إتباع محمد بن عبد الوهاب ـ ص٢٩٧ .

(٢) الجزء الرابع ـ ص٧٩ .

وفي حديث آخر[1] : روى مسلم في الصحيح عن عائشة انها قالت : كان رسول الله (ص) كلما كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول :

« سلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، وانا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم إغفر لأهل بقيع الغرقد » .

وحدث محمد بن عيسى عن خالد عن عوسجة قال : كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار فمر بي جعفر بن محمد (ع) فقال لي : أعن أثر وقفت ها هنا ؟ قلت : لا . .

قال : هذا موقف نبي الله (ص) بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع[2] .

ولا تزال البقيع هي مقبرة المدينة الوحيدة منذ عهد الرسالة إلى اليوم[3] .

موقع ومساحة البقيع :

تقع جنة البقيع غير بعيد عن المسجد النبوي من جهته الجنوبية الشرقية[4] خارج سور المدينة القديم الذي إختفى حالياً ، ويصلها بالمدينة باب في ذلك السور (من جهة الشرق) كان يسمى باب البقيع[5] .

« أما اليوم فانها تقع داخل المدينة وتحيط بها الشوارع من الجهات الأربع . . وقد كانت أبعادها ١٥٠ × ١٠٠ متر وهي الآن مسورة من جميع النواحي بالجص ، وقد أصلحت أسوارها حديثاً وانشئت بها الممرات الأسمنتية

(١) موسوعة العتبات المقدسة ـ الجزء الثالث ـ ص١٠١ .
(٢) المصدر السابق ـ ص١٠١ ـ ١٠٢ .
(٣) آثار المدينة المنورة ـ عبد القدوس الأنصاري ـ ص١٧٥ .
(٤) دليل المدينة المنورة ـ ص٣٦ .
(٥) The Encyclopaedia of Islam- P. 957, Shorter Encyclopaedia of Islam - P. 58 and
المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري ـ صالح لمعي مصطفى ـ ص١٥ .

ليسهل المرور والدفن ، لا سيما وقت المطر »[1] ، وقد أدخلت بها أراضٍ جديدة وإتسعت اليوم أكثر من هذا .

كما ان قسماً من البقيع كان يسمى (بقيع العمات) حيث دفنت به عمات الرسول (ص) تقدر مساحته بـ ٣٤٩٣ متر مربع[2] ، كان يفصله عن البقيع العام زقاق إسمه زقاق عمقة مساحته ٨٢٤ متر مربع[3] ، « وقد ضم البقيعان اليوم إلى بعضهما ، وأزيل زقاق عمقة ، وهو ما نسميه اليوم درب صيران باب الجمعة »[4] ، وقد أزال السعوديون الجدار عام ١٣٧٣ هـ .

واليوم فان البقيع يحيط به سور من الجهات الأربع كان منذ عهد العثمانيين وقد قام السعوديون بترميمه فيما بعد[5] ، وكان يقع إلى شمالها أرض تابعة لوقف عثمان بن عفان التابع للمغاربة وقد أخذها مكتب التوسعة وأحاطها بسور حديدي ، كما يقع إلى الشمال من هذه الأرض أرض أخرى كانت تابعة للأشراف فاشتراها أحد الأشخاص ثم تحولت ملكيتها إلى الحكومة السعودية[6] . .

---

(١) المدينة المنورة التركيب الوظيفي . . النمو والمتغيرات ـ ص١٤ .
(٢) مدينة شناسي ـ ج١ ـ ص٣٩٤ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٣٩٤ .
(٤) المدينة بين الماضي والحاضر ، إبراهيم بن علي العياشي ـ ص١٦٩ .
(٥) آثار المدينة المنورة عبد القدوس الأنصاري ـ ص١٧٦ .
(٦) أنظر المصدر السابق ـ ص١٧٦ .

البقيع في الشعر القديم:

وقد قيل من الشعر كثيرٌ في مقبرة البقيع في صدر الإسلام فقد قال حسان بن ثابت هذا الشعر فيها :

مـا بـل عينـك لا تنـام كـأنمـا	كحلت مـآقيهـا بـكحـل الأرمـدِ
جزعاً على المهدي أصبح ثـاويـا	يـا خيـر من وطيء الثـرى لا تبعـدِ
وجهي يقيـك التـرب لهفـاً ليتني	غيبت قبلك في (بقيـع الغـرقـدِ)
بـأبي وأمي مـن شهـدت وفـاتـه	في يـوم الأثنين الـنبـي المـهتـدي
فـضللت بـعـد وفـاتـه متـلبـداً	مـتـلدداً يـا لـيتـني لـم أولـد
أأقيم بعـدك (بـالمـدينـة) بينهم	يـا لـيتني صـبحّـت سـم الأسـود

وقال الشاعر أبو بكر العيدي أو العيذي[1] :

لي بـالحجاز غـرام لست أدفعـه	ينقـاد قلبي لـه طـوعـاً ويـتبعـه
يهـرني البـرق (مكيًّـا) تبسمـه	إذا تـراءى (حجـازيـاً) تـطلّعـه
وفي ربى (يثرب) غايات كلّ هـوى	شمـوسه مستجـاش النصـر متبعـه
حيث النبـوة مضـروب سـرادقهـا	والفضـل شامـخ طود الفخـر أفرغـه

(١) موسوعة العتبات المقدسة : جزء٣ ـ ص١١٥ ـ ١١٦ .

وحيث كـان طـريق الـوحي متضحاً ... بين السمـاء وبين الأرض مـهيعـه
وخـاتم الأنبيـاء المصـطفى شـرفـاً ... محمـد بـاهـر الأشـواق مضجعـه
صلى الإلـه عليـه مـا تكـرر بـالصـ ... ـلاة فـرض مـصـلّ أو تـطوّعـه
ولـلشـفـاعـة أبـواب مـفـتـحـة ... مـشفـع من بمـفنـاهـا تـشفّعـه
محـل قـدس وتشـريف يُجَـرّ بـه ... ذيل الجمال على ذي المـال يدفعه
يشب نيـران أشـواقي غليـل هـوى ... إلـيـه ليس سـوى مـرآة يـنـقّـعـه
ويستمـد حنيني كـل منحنـاً ... مـنـه وعـامـرُهُ الـزاكي وبـلقعـه
(عقيقـه) و (قباه) و(البقيـع) وما ... يحـد (أحد) لمن في الله مصـرعـه
مستنـزل الفـوز والغفـران مهبـطه ... ومـلتقى كـل رضـوان ومجـمعـه
أحـبَّـه وأحـب الـنَّـازلـيـن بـه ... ومـا تـضـم نـواحـيـه وأربـعـه
طبعـا جُبِلتُ عليـه في الغـرام بـه ... وأين من طبـع من يهـوى تَـطَبُّعُـهُ

وقال فيها الشريف المرتضى :

هـل لـيـاليّ بـالـمـنـفى رجـوع ... مـثلمـا كـنَّ لـي ونـحـن جـمـيـعُ
اذ قـنـاتـي مـحـتـدة وشـفـيـعـي ... من شبـابي إلى الـحسـان شـفيـعُ
سـاحباً (بـالبقيـعِ) من نشـواتي ... فضـلَ ثـوبي اذ الـبقيـعِ بقيـعُ
وطـنٌ طـاب جـوُّه وثـراه ... فـكـأن الـمـصيف فيـه ربيـعُ

وفي قصيدة لأحد العلماء في المدينة المنورة وهو إبن معصوم المدني قال فيها عن البقيع وعن الرسول الأكرم (ص) وآله الأطهار(ع) :

يـا عينُ هـذا المصـطفى أحمـدُ ... خيـرُ الـورى والسيِّـدُ الأمجـدُ
وهـذه الـقـبَّـةُ قـد أشـرقَـتْ ... دون عُـلاهـا الـشمسُ والـفـرقـدُ
وهـذه الـرَّوضـةُ قـد أزهـرت ... فيهـا الـمُنـى والسُّـؤْلُ والمقصِـدُ
وهـذه طـيـبـةُ فـاحـتْ لـنـا ... أرجـاؤهـا والـسَّـفـحُ والـغَـرْقَـدُ
وعَـيـنُـهـا الـزَّرقـاءُ راقـت ولـم ... يَـحـلَّهـا الأثـمِـدُ والـمِـرْوَدُ

فما لأحزانيَ لا تَنجلي — وما لنيرانيَ لا تخمدُ
هذا المصلّى والبَقيعُ الذي — طاب به المنهلُ والموردُ
أرضٌ زكَتْ فخراً ونافَتْ عُلاً — فالأنجمُ الزُّهرُ لها حُسَّدُ
حصباؤها الدرُّ وأحجارُها — وتُربُها الجَوهرُ والعسجدُ
تمنَّت الأقمارُ والشهبُ لو — كانت نَواصِيها بها عُقَّدُ
فما على من كُحلَتْ عينُه — بتُربها لو عافها الإثمِدُ
بها مَزايا الفَضلِ قد جُمِّعَتْ — وفضلُها في وصفِه مُفرَدُ
يغبطُها البيتُ وأرْكانُه — وزمزمٌ والحِجْرُ والمسجِدُ
مشهدُ سَعدٍ فضلُه باهرٌ — ملائكُ الله به سُجَّدُ
وكيفَ لا وهو مقامٌ لِمن — له على هام العُلى مَقْعَدُ
وموطنُ الصَّفوة من هاشمٍ — يا حبَّذا الموطِنُ والمشهَدُ
خيرُ قُريشٍ نَسَباً في الورى — زكا به العُنصرُ والمَحْتِدُ
وخِيَرةُ الله الذي قد عَلا — به العُلى والمجدُ والسُّؤددُ
غُرَّتُه تجلو ظلامَ الدُّجى — وهو الأعزُّ الأشرفُ الأسعدُ
الفاتحُ الخاتِمُ بحرُ النَّدى — وبَرُّه والمنهجُ الأقصَدُ
فضَّلهُ الله على رُسْلهِ — وسائرُ الرسل به تَشهدُ
آياتُه كالشَّمس في نورها — أبصَرَها الأكمَةُ والأرمدُ
حنَّ إليه الجذعُ من فُرقةٍ — وفي يديه سبَّح الجَلْمدُ
والماءُ من بين أصابيعهِ — فاضَ إلى أن رَوِيَ الوُرَّدُ
والقمرُ انشقَّ له طائعاً — وراح بالطَّاعة يُسْتَسْعَدُ
والشمسُ عادَت بعد ليلٍ له — وعَوْدُها طوعاً له أحمدُ
وكم له من آيةٍ في الوَرى — دانَ لها الأبيضُ والأسودُ
حديثُها ما كان بالمُفترى — والصبحُ لا يَخفى ولا يُجْحَدُ
فيا رسولَ الله يا خيرَ من — يقصدُهُ المُتِهمُ والمُنجِدُ

سمعاً فدتك النَّفسُ من سامع ... دعوةَ داعٍ قَلبُه مُكمَدُ
دعاكَ والوجدُ به مُحدِقٌ ... لعلَّ رُحْماكَ له تُنجِدُ
طالَ بيَ الأسرُ وطالَ الأسى ... وما على ذلك لي مُسْعِدُ
قد نفدَ الصَّبرُ لما نالني ... وكيف لا يَفنى ولا يَنفَدُ
فالغارةَ الغارةَ يا سيِّدي ... فأنَّكَ الملجأ والمَقصِدُ
حبُّكَ ذُخري يومَ لا والدٌ ... يُغني ولا والدةٌ تُسعِدُ
وأنتَ في الدَّارين لي موئلٌ ... اذا جفا الأقربُ والأبعدُ
فاكشفْ بَلائي سيِّدي عاجلاً ... علَّ حَراراتِ الأسى تَبرُدُ
وأدْنِني منك جِواراً فقد ... ضاقَ بيَ المضجَع والمرقَدُ
وبَوِّئَنِّي طَيبَةً مَوطناً ... فأنَّها لي سابقاً مَولِدُ
وهي لَعمري مقصِدي والمُنى ... لا الأبلقُ الفردُ ولا ثَهمَدُ
ثُم سلامُ الله سبحانَهُ ... عليك صَبٌّ دائمٌ سَرمدُ
وآلِك الغرِّ الكرام الآلى ... لهم أحاديثُ العلى تُسندُ
ما غرَّدت في الروض أيكيَّةٌ ... وما زهت أغصانُها المِيَّدُ
وما غدا ينشدُنا مُنشدٌ ... يا عينُ هذا المصطفى أحمدُ

وفي قصيدة أخرى لأحد علماء المدينة وهو الشيخ عبد اللطيف المدني حول المدينة المنورة يقول في مطلعها(١) .

إرحل لطيبة لا تؤم سواها ... فعساك أن تحظى برؤية طاها
وإذا وصلت لها أكتحل من تربها ... هو أثمد العينين منه جلاها
دار الهنا فيها الغنا مع المنار ... دار الحبيب قلوبنا تهواها
هي طيبة طابت وطاب أصولها ... ومدينة رب السَّماء بناها

---

(١) فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول (ص) ـ في هامش كتاب العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ـ جمعة أحمد بن الشيخ محمد الحضرامي ـ ص٣ ـ ٥ .

ويعدد ما بها من آثار حتى يصل إلى البقيع فيقول :

وبهـا البقيـع وأهله في روضـةٍ شهداؤهـا في جنـة مـأواهـا
وبه كذاك سراجُ طيبة في الوجا عثمـان ذو النـورين سـاد ولاهـا
وكذاك عباساً وسيدنا الحسن في قبـةٍ والنـور من أعـلاهـا
وبه الرضيـة أم سيـدنـا علي وكـذا حليمة ان مـررت تـراهـا
وكذاك عمة خير من وطيء الثرى في قبـة شـرفت رقت لعـلاهـا
ونسـاء خيـر المـرسلين قبـورهم مشهـورة وسط البقيـع تـراهـا

وورد في شعر كثير عن البقيع قوله[1] :

إذا أمسيت بطن مجاح دونِي وعمق دون عَـزَّة فـالبقيـع
فليس بلائمي أحدٌ يصلى إذا أخذت مجاريها الدموع

---

(١) على طريق الهجرة . . رحلات في قلب الحجاز ـ عاتق بن غيث البلادي ـ ص٨٥ .

المدفونون في البقيع:

كما ذكرنا بأن أول من دفن بالبقيع هو الصحابي المعروف عثمان بن مظعون وذلك في السنة الخامسة للهجرة[1] ، حيث قام الرسول (ص) نفسه بعملية الدفن وعن ذلك يقول صاحب (وفاء الوفاء) انه « لما مات عثمان بن مظعون ودفن أمر النبي (ص) رجلاً أن يأتي بحجر فلم يستطع حمله فقام إليه رسول الله (ص) وحسر على ذراعيه (قال الراوي) كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله (ص) حين حسر عنهما ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي »[2] .

وورد عنه في تاريخ إبن شبة[3] :

« هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمع بن عمرو إبن هصيبص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الجمعي ، يكنى أبا السائب أسلم قديماً وكان إسلامه بعد ثلاثة عشرة رجلاً ، وهاجر إلى الحبشة هو وإبنه الهجرة الأولى ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وكان من أشد النّاس إجتهاداً في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل ، ويجتنب الشهوات ويعتزل النساء ، واستأذن رسول الله (ص) في التبتل والاختصاء فنهاه عن ذلك ، وهو

---

(١) دايرة معارف فارسي ـ به سرپرستى غلامحسين مصاحب ـ الجزء الأول ـ ص٤٣٥ .

(٢) كشف الإرتياب ـ ص٣٠٤ .

(٣) تاريخ المدينة المنورة ـ إبن شبة ـ ص١٠٠ .

ممن حرم الخمر على نفسه وقال :

لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني » .

وبعده دفن إبراهيم إبن الرسول (ص) ، فقد روى أبو غسان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه لما توفي إبراهيم إبن رسول الله (ص) أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون فرغب النّاس في البقيع وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية[1] .

وقد دفن بالبقيع فاطمة الزهراء (ع) وأربعة من أئمة أهل البيت (ع) ، نعرض هنا المختصر عن حياتهم قبل أن نذكر عدداً من المدفونين في البقيع :

١/ فاطمة الزهراء (ع) :

أبوها الرسول الأكرام (ص) .
أمها خديجة بنت خويلد .

ولدت بعد مبعث الرسول (ص) بخمس سنين ، في العشرين من جمادى الآخرة . .

وقد قال الرسول (ص) فيها : « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني » . .

وقال (ص) وسلم : « فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها ويغضبني ما يغضبها » .

من أولادها : الحسن المجتبي ، والحسين السبط ، والمحسن السقط ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم .

توفيت (ع) وهي في الثامن عشر من عمرها ، وتعددت الأقوال في مدة بقائها بعد أبيها هل هي أربعون يوماً أو خمسة وسبعون أو خمسة وتسعون أو أكثر من ذلك . . .

---

(١) كشف الإرتياب ـ ص٢٩٧ .

وإتفق على ان عمرها بعد أبيها لم يكن أكثر من ثمانية أشهر ولا بأقل من أربعين يوماً[1] .

ودفنت في البقيع ولم يشيعها أحد غير الإمام علي (ع) حسب ما أوصت به .

٢/ الإمام الحسن بن علي الزكي(ع) :

ولد في ليلة النصف من رمضان المبارك في السنة الثالثة من الهجرة . .

هو سبط الرسول الأعظم (ص) الذي قال فيه وفي أخيه (الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة) .

وعن سعيد بن جبير عن إبن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت **﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال : علي وفاطمة والحسن والحسين[2] .

وروى أحمد بن حنبل ـ إمام المذهب ـ بسنده عن أبي هريرة قال : فجاء النبي (ص) فجلس بفناء بيت فاطمة (ع) (إلى أن قال) فجاء الحسن (ع) يشتد حتى عانقه وقبله وقال : اللهم أحبه وأحب من يحبه[3] .

وروى الحمويني بسنده عن أمير المؤمنين (ع) قال : ان النبي (ص) أخذ بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة[4] .

وقد روي انه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وكان إذا توضأ إرتعدت

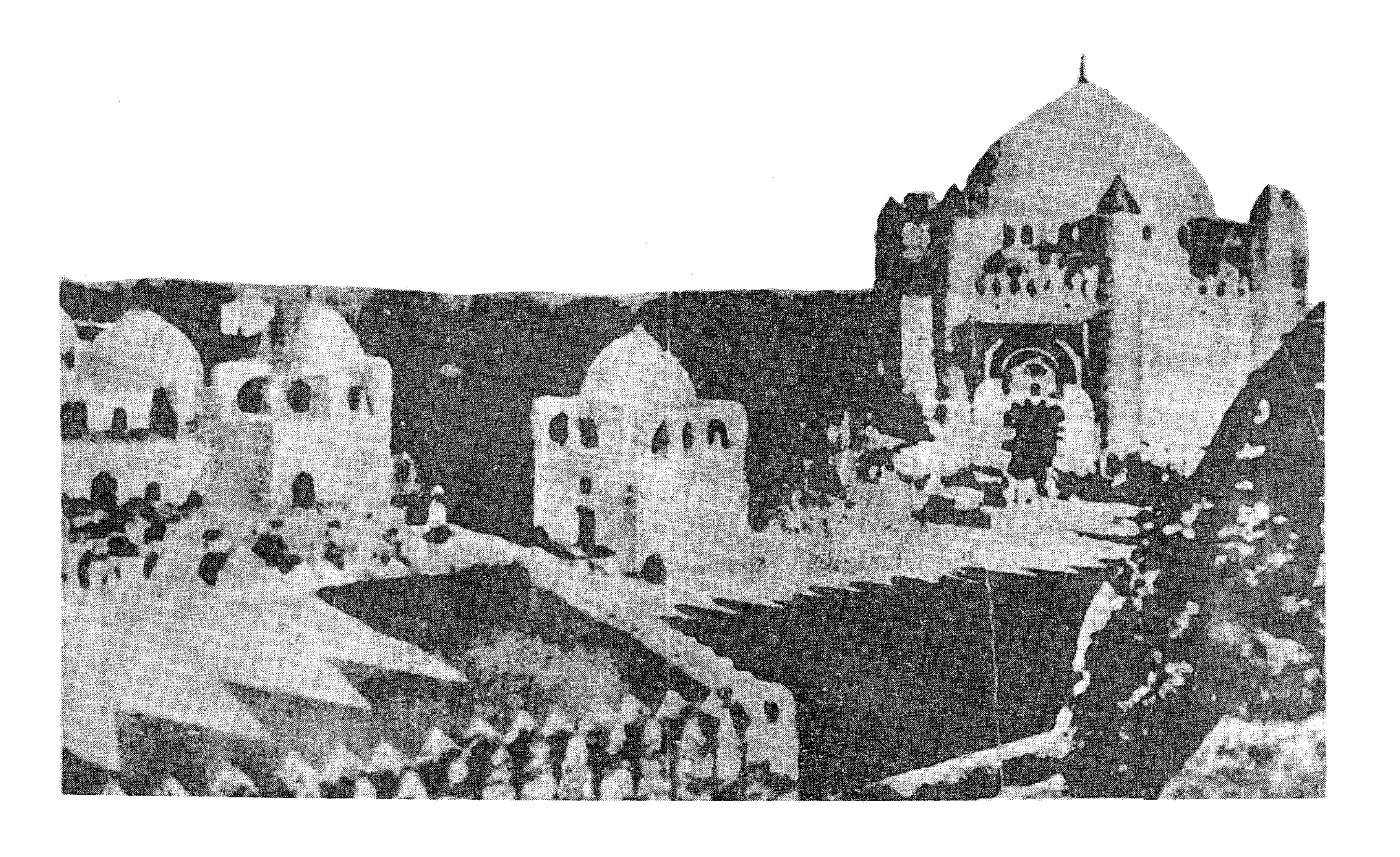
---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ـ الجزء الأول ـ ص١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٢) أئمتنا ، علي محمد علي دخيل ، الجزء الأول ـ ص١٠٦ .

(٣) المصدر السابق ـ ص١٠٨ .

(٤) المصدر السابق ـ ص١٠٩ .



قبور أئمة أهل البيت (ع) في البقيع قبل ان يهدمها آل سعود .

مفاصله ، وإصفر لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال : حق على من وقف بين يدي رب العرش ان يصفر لونه ، وترتعد مفاصله[1] . ومن كلماته القصار (ع) :

- المزاح يأكل الهيبة ، وقد أكثر من الهيبة الصامت .

- الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود .

- لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً[2] .

- ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد .

وفاته ودفنه في البقيع :

أغرى معاوية زوجة الحسن (ع) جعدة بنت الأشعث بن قيس ووعدها بان يزوجها إبنه يزيد ويدفع لها مائة ألف درهم ان هي دست إليه السَّم ومات منه ، فوافقت على طلبه ووضعت له السم في طعامه فتقطع كبده منه[3] . وعندما توفي (ع) في السنة الخمسين للهجرة جهزه الإمام الحسين (ع) وأخرجه ليدفنه إلى جانب جده رسول الله (ص) ، « فخرجت عائشة ومعها بنو أمية وقالت : لا يدفن الحسن مع جده أوتجز هذه ؟ وأشارت إلى ناصيتها وكاد الشر أن يقع بين الفريقين ، وكانت قد خرجت على بغلة شهباء فقال لها القاسم بن محمد بن أبي بكر : يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء » . . . . ولما إشتد الأمر بين الفريقين عدل به الإمام أبو عبدالله الحسين إلى البقيع ودفنه إلى جانب أُمه فاطمة الزهراء (ع)[4] .

---

(١) المصدر السابق - ص١١٣ .

(٢) المصدر السابق - ص١٣٠ .

(٣) انظر سيرة الأئمة الاثني عشر ، هاشم معروف الحسيني - ص٦٢٦ .

(٤) المصدر السابق - ص٦٢٧ .

وينسب إلى الإمام الحسين (ع) قوله بعد دفن أخيه الإمام الحسن (ع) :

يـا قبر سيـدنـا المجن سمـاحـة　　　صـلى عـليـك الله يـا قـبـر
مـا ضـر قـبـر أنـت سـاكـنـه　　　ان لا يـحـل بـربـعـه الـقـطر[1]

٣/ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام :

ولد في المدينة في الخامس من شهر شعبان سنة ٣٨ للهجرة ، أمه هي شاه زنان (أي ملكة النساء) بنت يزدجر بن شهريار بن كسرى ملك الفرس .

تولى الإمامة بعد إستشهاد أبيه الإمام الحسين (ع) في معركة كربلاء .

ومن أقواله (ع) :

- أبغض النَّاس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله .

- كمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة مرائه وحلمه وصبره وحسن خلقه .

- ان الله أخفىٰ أربعة في أربعة : أخفى رضاه في طاعته ، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم ، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم ، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم ، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيدالله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم[2] .

وقد قال الفرزدق فيه القصيدة المشهورة التي منها :

يـا سـائلي أين حـل الجـود والكـرم　　　عنـدي بيـان إذا طـلابـه قـدمـوا

(١) وفاة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ـ المرحوم الشيخ علي بن الشيخ محمد آل سيف الخطي ـ ص٥٥ .
(٢) أئمتنا ـ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ .

هـذا الذي تعـرف البطحـاء وطـأتـه والبيت يعـرفـه والـحـل والحـرم
هـذا إبـن خيـر عـبـاد الله كـلـهـم هـذا التقي النقي الـطاهـر الـعلم

وفاته ومدفنه :

تـوفي (ع) في الخامس والعشـرين من محرم سنـة ٩٥ للهجرة ودفن في البقيع مع عمه الحسن (ع) .

٤/ الإمام محمد بن علي الباقر (ع) :

أبوه الإمام علي بن الحسين زين العابدين .

أمه فاطمة بنت الإمام الحسن (ع) .

ولد في غرة شهر رجب عام ٥٧ للهجرة .

تولى الإمامة بعد وفاة أبيه .

روى جابر بن عبدالله الأنصاري قـال : قال لي رسـول الله (ص) : انك ستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي أشبه النَّاس بي ، إسمه على إسمي ، إذا رأيته لم يخف عليك ، فأقرأه منى السلام . .

قال جابر رضي الله عنه : فأخر الله مـوتي ، حتى رأيت الباقـر ، فقرأتـه السَّلام عن جده رسول الله (ص)[1] .

ومن أقواله (ع) :

ـ من صدق لسانه زكا عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن بره بأهله زيد في عمره .

ـ ما دخل قلب أُمرىء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك .

(١) أئمتنا ـ ص٣٤٠ .

ـ الـظلم ثلاثـة : ظلم يغفره الله عـزَّ وجلَّ ، وظلم لا يغفـره ، وظلم لا يدعه ، فأما الظلم الَّذي لا يغفره فالشرك بالله عزَّ وجلَّ ، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجـل نفسه فيمـا بينه وبين الله عـزَّ وجلَّ ، وأمـا الظلم الَّـذي لا يدعـه فالمداينة بين العباد[1] .

وفاته ودفنه (عليه السلام) :

توفي الإمام الباقر (ع) يوم السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هـ ، وعمره سبع وخمسون عاماً ، ودفن في البقيع مع أبيه الإمام زين العابدين وعمه الحسن (ع) . .

٥/ الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) :

أبوه : الإمام الباقر (ع) .

أمه : أم فروة (فاطمة) بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر . .

ولـد في المدينـة المنـورة يـوم السـابـع عشـر من ربيـع الأول سنـة ٨٠ أو ٨٣ هـ .

تولى الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر (ع) .

أسس جامعة إسلامية كبرى ضمت مئات الطلاب ، وكان له دور كبير في تطور علم الكيمياء الَّذي علمه لجابر بن حيان .

من أقواله (ع) :

ـ لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه ثلاث خصال : الفقه في الدين ، وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على الرزايا .

ـ إذا فشت أربعـة ظهرت أربعـة : إذا ظهر الـزنا ظهـرت الزلازل ، وإذا

---

(١) المصدر السابق ـ ص٣٦٧ .

أمسكت الزكاة هلكت الماشية وإذا جار الحاكم في القضاء أمسك القطر من السماء ، وإذا خضرت الذمة نصر المشركون على المسلمين .

ـ ثلاثة من إستعملها أفسد دينه ودنياه : من أساء ظنه ، وأمكن من سمعه ، وأعطى قياده حليلته .

ـ الغضب مفتاح كل شر[١] .

وفاته ومدفنه :

توفي (ع) في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٤٨ ، وعمره ٦٨ سنة وقيل ٦٥ ، ودفن في البقيع مع أبيه الباقر وجده زين العابدين وعمه الحسن صلوات الله عليهم أجمعين .

وممن دفن كذلك في البقيع :

ـ فاطمة بنت أسد : هي أم الإمام علي (ع) وقد ولدته في داخل الكعبة المشرفة ، وكان الرسول (ص) يكن لها الحب الكثير . . وقد تأثر كثيراً لوفاتها في السنة الرابعة للهجرة ، وقد دفنت في الركن الشمالي الشرقي للبقيع .

ـ العباس بن عبد المطلب : هو عم الرسول (ص) ، أمه نُتَيْلة بنت خباب ، وقد ولد قبل الرسول (ص) بسنتين أو ثلاث[٢] .

توفي عام ٣٣ للهجرة ودفن بالبقيع عند قبر فاطمة بنت أسد في أول مقابر بني هاشم الّتي في دار عقيل .

ـ صفية بنت عبد المطلب : هي عمة الرسول (ص) ، زوجها هو عوام بن خويلد ، خرجت لبعض المعارك مع المسلمين ، وفي أحد كانت على رأس

---

(١) المصدر السابق ـ ص٤٤٤ ـ ٤٤٦ .

(٢) مدينة شناسي ـ ج١ ، ص٣٤١ .

النساء اللاتي خرجن . .

ـ عاتكة بنت عبد المطلب : عمة رسول الله (ص) ، زوجها أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله ، وأمها فاطمة بنت عمر بن عايد بن عمران .

ـ عقيل بن أبي طالب .

ـ بنات رسول الله (ص) ، وهن :

ـ زينب : ولدت قبل البعثة أي قبل وفاة الرسول (ص) بثلاثين عاماً ، تزوجها أبو العاص بن ربيع ، وربيع هذا من أبناء عبد العزى بن عبد شمس صهر رسول الله (ص) .

ـ أم كلثوم : زوجة عتبة بن أبي لهب ، وقيل عتيبة على إختلاف بينها وبين أختها رقية حيث ان ابني أبي لهب تزوجا بنتي الرسول (ص) ، وعندما طلقها زوجها تزوجها عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية الَّتي كانت زوجته .

توفيت في السنة التاسعة للهجرة ، وأنجبت ولداً لعثمان توفي في المدينة ، وقد دفنت في البقيع بجوار اختيها زينب ورقية .

ـ رقية : يختلف المؤرخون فيمن أكبر سناً رقية أم أم كلثوم كما يختلفون في أزواجهما عتبة وعتيبة (ويرجح البعض الأول على أنه زوجها) ، ولكنه طلقها بعد ذلك بطلب من أبيه أبي لهب ، وقد تزوجت من عثمان بن عفان بعد ذلك وهاجرت معه إلى الحبشة ، ثم عادت إلى المدينة ، وأولدت له ولداً في الحبشة أسمياه عبدالله ولكنه توفي في السنة الرابعة للهجرة .

ـ حليمة السعدية مرضعة رسول الله (ص) :

ـ زوجات الرسول (ص) :

ـ أم المؤمنين أم سلمة وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن محزوم توفيت سنة ٦٠ هـ وقيل ٦١ هـ .

قباب البقيع قبل أن يهدمها آل سعود (أخذت الصورة سنة ١٣٢١هـ) وهي من اليمين كالتالي : قبة عمات الرسول (ص) في بقيع العمات ، ثم الزقاق الذي يفصلها عن بقيع الغرقد ، قبة إبراهيم بن الرسول(ص) ، قبة عقيل ، قبة زوجات الرسول (ص) ، ثم قبة أئمة أهل البيت (ع) .

ـ أم المؤمنين مارية القبطية أهداها حاكم مصر هي وأختها سيرين إلى النبي (ص) فوهب الرسول (ص) سيرين لحسان بن ثابت توفيت عام ١٦ هـ في خلافة عمر بن الخطاب .

ـ أم المؤمنين أم حبيبة وهي رملة بنت أبي سفيان كان زوجها عبيدالله بن جحش الَّذي هاجر للحبشة ولكنه ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية ولكن زوجته بقيت مسلمة وعندما توفي زوجها في الحبشة عادت فتزوجها الرسول الأكرم (ص) . . توفيت عام ٤٢ وقيل ٤٤ هـ ودفنت بالبقيع .

ـ أم المؤمنين زينب بنت خزيمة إبن الحارث بن عبدالله بن عمر إبن عبد مناف بن هلال ، اختلف حول سنة وفاتها .

ـ أم المؤمنين جويرية بنت حارث أسرت مع أبيها في غزوة بني المصطلق ، وتزوجها الرسول (ص) وتوفيت عام ٥٠ وقيل ٥٦ للهجرة ودفنت في البقيع .

ـ أم المؤمنين صفية بنت حي بن أخطب الإسرائيلية . . تزوجت إثنان قبل الرسول (ص) ثم تزوجها الرسول (ص) وتوفيت عام ٥٠ هـ ودفنت بالبقيع .

ـ أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس كانت زوجة لسكران بن عرد الَّذي هاجر للحبشة وعندما عاد إلى مكة توفي هناك وقيل في الحبشة فتزوجها الرسول (ص) . . توفيت عام ٥٠ أو ٥٤ للهجرة ودفنت بالبقيع .

ـ أم المؤمنين ريحانة بنت زيد . تزوجها الرسول (ص) في السنة السادسة للهجرة . . وتوفيت في حياة الرسول (ص) .

ـ أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب : توفيت سنة ٤٥ للهجرة .

ـ أم المؤمنين زينب بنت جحش : أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة الرسول (ص) ، وتوفيت عام ٢٠ للهجرة عن عمر يناهز الخمسين .

ـ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر .

ويقال ان جميع أمهات المؤمنين قد دفنّ في البقيع عدا إثنتان هما خديجة ، وميمونة[1] .

ـ محمد بن الحنفية : من أبناء الإمام علي (ع) ، توفي عام ٨٣ هجرية[2] .

ـ عبدالله بن جعفر الطيار : وهو زوج زينب بنت الإمام علي (ع) .

ـ الحسن بن الحسن المجتبى ، زوج فاطمة بنت الحسين (ع) الذي مات عن عمر يناهز الخامسة والثلاثين .

ـ عبدالله بن محمد بن يوسف بن موسى بن عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن المجتبى .

ـ أم البنين : هي بنت حزام بن خالد ، زوجة الإمام علي (ع) ، حيث ولدت له أربعة أولاد هم : العباس وجعفر وعثمان وعبدالله ، وقد قتلوا جميعاً في واقعة كربلاء مع الإمام الحسين (ع) ، وقد دفنت أم البنين في البقيع قرب مقابر عمات الرسول (ص) .

ـ أسعد بن زرارة الخزرجي : قيل أنه توفي في شوال من السنة الأولى للهجرة قبل بدر ، وكان أول من دفن في البقيع من الأنصار ، ولكن يقال ان المهاجرين يعارضون هذا الخبر ويقولون ان أول من دفن بالبقيع هو عثمان بن مظعون ، ويقع قبره وسط البقيع[3] .

---

(١) مرآة الحرمين ـ ج١ ـ ص٤٢٦ .
(٢) منتخب التواريخ ـ ص١٠٢ .
(٣) منتخب التواريخ ـ ص١٠٤ ، أُنظر تاريخ المدينة المنورة لإبن شبة ـ ص٩٦ .

- أبو سعيد الخدري .

- عبدالله بن مسعود .

- محمد بن مسلمة : من الصحابة توفي سنة ٤٣ للهجرة وقيل قتل .

- أسيد بن الحضير .

- حويطب بن العزى .

- مالك بن التيهان (أبو الهيثم) : من الأنصار .

- زيد بن سهل .

- زيد بن ثابت : من الصحابة توفي عام ٤٥ وقيل ٥٠ للهجرة .

- عبدالله بن سلام : توفي عام ٥٤ للهجرة .

- جابر بن عبدالله إبن عمرو بن قزام : شارك في ١٩ غزوة وتوفي سنة ٩٠ للهجرة .

- نافع القرا مولى عبدالله بن عمر .

- أبو هريرة .

- سفيان بن الحارث .

- سعد بن معاذ ، قيل ان قبره في نفس القبة المنسوبة للسيدة فاطمة بنت أسد (ع)[1] .

- حكيم بن حزام بن خويلد وهو ابن أخ أم المؤمنين خديجة (ع) ، توفي عام ٥٤ للهجرة .

---

(١) المصدر السابق - ص١٠٤ .

ـ أبو السيد ساعدي : توفي سنة ٣٠ للهجرة ، وقيل ٦٠ وهو آخر من مات من البدريين .

ـ ركانة بن عبد يزيد .

ـ زيد بن حسن من التابعين .

ـ مغيرة بن عبد الرحمن بن سعد من التابعين ، مات في المدينة وأوصى بدفنه مع شهداء أحد إلا أن أهله دفنوه في البقيع .

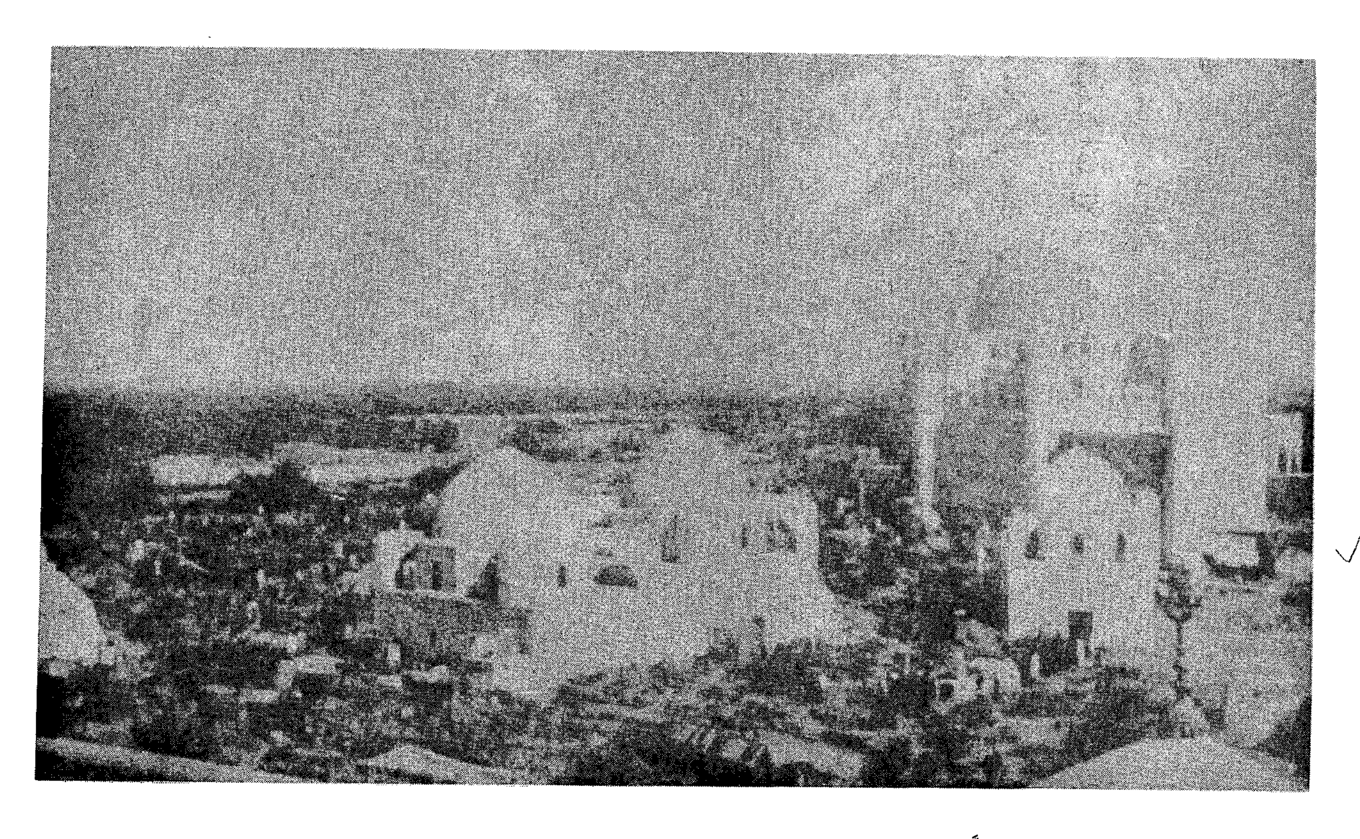
ـ عثمان بن عفان : ويقع قبره حالياً في آخر البقيع من الجهة الشرقية ، توفي عام ٣٥ للهجرة ، وكان أهله يودون دفنه إلى جوار النبي (ص) ، إلاَّ أن إعتراض البعض على ذلك حال بينهم وبين ذلك فقد جاء في تاريخ المدينة المنورة .

« حدثنا علي بن محمد ، عن رجل ، عن الزهري ، قال : جاءت أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما ، فوقفت على باب المسجد فقالت : لتخلن بيني وبين دفن هذا الرجل : أو لأكشفن ستر رسول الله (ص) . فخلوها ، فلما أمسوا جاء جبير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وعبدالله بن الزبير وأبو الجهم بن حذيفة ، وعبدالله بن حِسْل ، فحملوه فانتهوا به إلى البقيع ، فمنعهم من دفنه إبن بحرة ـ ويقال إبن نحرة الساعدي ـ فانطلقوا به إلى حش كوْكب ـ وهو بستان في المدينة ـ فصلى عليه جبير ، ودفنوه وانصرفوا »[1] وحش كوكب هو « موضع في أصل الحائط الذي في شرقي البقيع الذي يقال له : خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان »[2] ، وقد هدم الأمويون الجدار وأدخلوا البستان في البقيع فأصبح قبره فيه[3] .

(١) تاريخ المدينة المنورة ـ إبن شبة ـ ص١١١ ـ ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١١٣ .

(٣) The Encyclopaedia of Islam - VOL.I- P.957.



صورة لجنَّة البقيع في العهد العثماني (آخذت الصورة ١٣٢٧هـ) .

- سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وهو من التابعين .

- نافع المدني (أبو عبدالله) : من التابعين توفي سنة ١١٧ للهجرة وقيل ١٢٠ .

- كعب بن عمر السلمي المعروف بأبي اليسر ، توفي سنة ٥٥ للهجرة .

- عويم بن ساعدة توفي في خلافة عمر .

- خنيس بن حذافة السهمي[1] .

- سعد بن معاذ الأشهلي .

- أبو عبس : توفي سنة أربع وثلاثون للهجرة .

- صهيب بن سنان ، توفي في شوال سنة ثمان وثلاثون للهجرة .

- نوفل بن حارث بن عبد المطلب .

- سهل بن سعد الساعدي : من الأنصار المخلصين توفي سنة ٨٨ للهجرة عن عمر يناهز المائة .

- إبن عمرو بن نفيل المعروف بأبي الأعور : توفي سنة ٨٨ للهجرة .

- معاذ بن عفراء أول من إنتقل من المدينة إلى مكة وأعلن إسلامه .

- مسطح بن أثاثة إبن عباد بن المطلب : يكنى أبو عبادة ، وقد حضر الغزوات من بدر إلى صفين ، وتوفي عام ٣٤ للهجرة .

- أرقم بن أبي أرقم .

- جبير بن مطعم توفي سنة ٨٠ أو ٩٥ للهجرة .

---

(١) مرآة الحرمين ـ الجزء الأول ـ ص٤٢٦ .

ـ سعد بن زيد ابن عم عمر بن الخطاب ، وأخته عاتكة زوجة عمر ، توفي عام ٥١ للهجرة عن عمر يناهز الرابعة والسبعين .

ـ مالك بن أنس بن مالك .

ـ عبدالله بن عتيك .

ـ أبو سلمة بن عبد الأسد .

ـ براء بن معرور .

ـ عمرو بن حزم توفي عام ٥١ للهجرة .

ـ جبار بن صخر .

ـ قتادة بن نعمان .

ـ عبدالله بن أنيس : توفي أيام حكم معاوية .

ـ عبدالله بن عمرو (إبن أم مكثوم) : توفي في خلافة عمر بن الخطاب .

ـ أسامة بن زيد : صحابي جليل توفي سنة ٥٤ هجرية .

ـ مَخْرَمَة بن نوفل يكنى أبو صفوان : توفي سنة ٥٤ للهجرة .

ـ حاطب بن أبي بلتعة .

ـ عبد الرحمن بن عوف : توفي سنة ٣٢ للهجرة ، عن عمر يناهز ٧٢ عاماً وقيل ٧٥[١] .

ـ سعد بن أبي وقاص .

ـ أم رومان : هي بنت عامر بن عويمر ، زوجة أبو بكر وأم عائشة ، توفيت

---

(١) صفة الصفوة ـ ج١ ـ ص١٣٥ .

في السنة السادسة للهجرة .

ـ أروى بنت كرير : هي أم عثمان بن عفان .

(١) منتخب التواريخ ـ ص١٠٤ .

فضل زيارة أئمة البقيع

وردت روايات كثيرة حول فضل زيارة أئمة البقيع ، وثواب ذلك نعرض لقسم منها :

١ ـ عن إبن زكريا القطان ، عن إبن حبيب عن إبن بهلول ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مهران ، عن الصَّادق (ع) قال : « إذا حج أحدكم فليختم حجَّه بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج »[1] .

٢ ـ قال أمير المؤمنين (ع) : « أتموا برسول الله (ص) حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله ، فانَّ تركه جفاء وبذلك أمرتم ، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عزَّ وجلَّ زيارتها وحقها واطلبوا الرزق عندها »[2] .

٢ ـ عن أبي إدريس ، عن أبيه ، عن إبن أبي الخطاب ، عن عثمان بن عيسى ، عن العلاء بن المسيب ، عن الصادق ، عن آبائه (ع) قال : قال الحسن بن علي (ع) لرسول الله (ص) : يا أبه ما جزاء من زارك ؟ فقال : من زارني أو زار أباك أو زارك أو زار أخاك كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة حتى

---

(١) بحار الأنوار ـ ج١٠٠ ـ ص١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١٣٩ .

أخلصه من ذنوبه[١] .

٤ ـ عن إبن موسى الأسدي عن النخعي ، عن النوفلي ، عن إبن البطايني عن أبيه ، عن إبن جبير ، عن إبن عباس ، عن النبي (ص) قال : من زار الحسن في بقيعه ثبت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام[٢] .

٥ ـ عن أبي عبدالله (ع) قال : بينما الحسين بن علي (ع) في حجر رسول الله (ص) إذا رفع رأسه فقال : يا أبه ما لمن زارك بعد موتك ؟ فقال : يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة ، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة ، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة ، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة[٣] .

٦ ـ روي عن الصادق (ع) انه قال : من زارني غفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً[٤] .

٧ ـ عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) انه قال : من زار جعفراً وأباه لم يشك عينه ولم يصبه سقم ولم يمت مبتلى .

٨ ـ عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن علي بن محمد بن سالم ، عن محمد بن خالد ، عن عبدالله بن حماد البصري ، عن عبدالله بن عبد الرحمن الأهم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله (ع) انه قال في حديث له طويل : انه أتاه رجل فقال : هل يزار والدك ؟ فقال : نعم ، قال : فما لمن زاره ؟

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٤١ .
(٢) المصدر السابق ـ ص١٤١ .
(٣) المصدر السابق ـ ص١٤٢ .
(٤) المصدر السابق ـ ص١٤٥ .

قال : الجنة ان كان يأتمّ به قال : فما لمن تركه رغبة عنه ؟ قال : الحسرة يوم الحسرة[1] .

٩ ـ للسيد المرتضى نقلاً عن شيخه المفيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) للحسن : من زارك بعد موتك أو زار أباك أو زار أخاك فله الجنة[2] وقال له (ع) في حديث آخر : تزورك طائفة يريدون به برّي وصلتي ، فإذا كان يوم القيامة زرتها في الموقف فأخذت بأعضادها فأنجيتها من أهواله وشدائده[3] .

١٠ ـ قال الرسول الأكرم (ص) في الإمام الحسن (ع) ومصابه : فمن بكاه لم يعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام[4] .

١١ ـ قال الإمام الصادق (ع) : من زار واحداً منا كان كمن زار الحسين (ع)[5] .

١٢ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

ان الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنة ، وعرصة من عرصاتها ، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه ، وصفوة من عباده تحن اليكم ، وتحتمل المذلة والأذى ، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ، ومودة منهم لرسوله ، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١٤٥ .

(٣) المصدر السابق ـ ص١٤٥ .

(٤) ثواب الأعمال وعقابها ـ علي محمد علي دخيل ـ دار المرتضى ـ بيروت ـ ص٣٠٠ .

(٥) المصدر السابق ـ ص٣٠٧ .

حوضي ، وهم زواري غداً في الجنة ، يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داوود على بناء بيت المقدس[1] .

زيارة البقيع وفضيلتها عند أهل السنة :

لسنا في صدد إثبات مشروعية زيارة البقيع فهذا له بحثه الخاص وقد أشبعه الكتّاب بحثاً وتحقيقاً ولكنا ارتأينا سرد عرض سريع لبعض الأحاديث من المصادر السنية من أجل سد ثغرة قد يراها البعض لتكاملية البحث .

ورد في وفاء الوفاء للسمهودي :

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما كان ليلتي التي رسول الله (ص) فيها عندي انفلت فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف ازاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلّا ريثما ظن إني قد رقدت فأخذ ازاره رويداً وإنتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً وجعلت درعي في رأسي وأختمرت وتقنعت أزاري ثم إنطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم إنحرف فإنحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلّا أن إضطجعت فدخل فقال مالك يا عائشة حشيا رابية قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي قلت نعم فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ثم قال أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله قالت مهما يكتم الناس يعلمه الله قال نعم قال فان جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشيني فقال ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فنستغفر لهم قال قلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولي السلام عليكم أهل الديار

---

(١) المصدر السابق ـ ص٣٤٩ .

من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين[1] .

وفي حديث آخر عن إبن شبة عن أبي موهبة مولى رسـول الله (ص) قال اهبني رسول الله (ص) من جوف الليل فقال إني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهـرهم قال السـلام عليكم يا أهـل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح النَّاس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى ثم استغفر لهم طـويلاً (وفي) رواية ثم إستغفر لهم ثم قال يا أبا موهبـة إني قد أوتيت مفـاتيح خـزائن الدنيـا والخلد فيها الخيرات بين ذلـك وبين لقاء ربي ثم الجنـة قلت بأبي وأمي خـذ مفاتح خزائن الدنيا والخلد فيها قال لا والله يا أبا موهبة لقد أخترت لقاء ربي ثم الجنة ثم رجع رسول الله (ص) فبدأ به وجعه الَّذي قبض فيه (وعن) عطاء بن يسار قال أتى النَّبي (ص) البقيع فقال السلام عليكم قوم موجلون أتانا وأتاكم ما توعدون اللهم إغفر لأهل بقيع الغرقد[2] .

وفي حديث آخر عن الحسن قال أتى النَّبي (ص) على بقيع الغرقد فقال السلام عليكم يا أهل القبور ثلاثا لو تعلمون ما الذي نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم قال ثم التفت فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنا كما آمنوا وأنفقنا كما أنفقوا وجاهدنا كما جاهدوا وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر فقال ان هؤلاء قد مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئا وقد أكلتّم من أُجوركم ولا أدري كيف تصنعون بعدي[3] .

(وروى) الطراني في الكبير ومحمد بن سنجر في مسنـده وإبن شبة في أخبار المدينة من طريق نافع مـولى حمنة عن أم قيس بنت محصن وهي أخت

(١) وفاء الوفاء ـ السمهودي ـ ص١٧٨ .
(٢) وفاء الوفاء ـ ٧٩ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٧٩ .

عكاشة انها خرجت مع النبي (ص) إلى البقيع فقال يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وكأن وجوههم القمر ليلة البدر فقام رجل فقال يا رسول الله وأنا فقال وأنت فقام آخر فقال يا رسول الله وأنا قال سبقك بها عكاشة قال قلت لها لمَ لم يقل للآخر فقالت أراه كان منافقاً[1] .

وورد في كتاب التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة[2] في حديث عن الرسول (ص) انه قال مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا البقيع بقيع المدينة ومقبرة بعسقلان[3] .

(١) المصدر السابق ـ ص٨٠ .
(٢) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ـ ص٤٥ ، وأخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة ـ تأليف الإمام الحافظ محمد بن محمود بن النجار ـ تحقيق وتعليق صالح محمد جمال ـ ص١٢٥ .
(٣) نفس المصدر السابق .

وصف البقيع في القرن السادس الهجري:

مـر الرحـالة المشهـور أبو الحسين محمـد بن أحمـد بن جبيـر الكنـاني الأندلسي البلنسي ـ المعروف بإبن جبير ـ مرَّ بالمـدينة المنـورة فوصف البقيـع الوصف التالي[1] :

« وبقيع الغرقد شرقي المدينة تخـرج إليه على بـاب يعرف ببـاب البقيع وأول ما تلقى عن يسارك عند خروجك من الباب المـذكور مشهـد صفية عمـة النبي (ص) أم الزبير بن العوام رضي الله عنه وأمام هذه التربة قبر مالك بن أنس الإمام المدني رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي (ص) وعليه قبة بيضاء وعلى اليمين منها تربة إبن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إسمه عبد الرحمن الأوسط وهو المعروف بأبي شحمة وهو الَّذي جلده أبوه الحد فمرض ومات رضي الله عنهما وبإزائه قبر عقيـل بن أبي طالب رضي الله عنه وعبدالله بن جعفر الطيار رضي الله عنه وبإزائهم روضة فيها أزواج النبي (ص) وبإزائها روضة صغيـرة فيها ثـلاثة من أولاد النبي (ص) ويليها روضة العباس بن عبد المـطلب والحسن بن علي رضي الله عنهما وهي

---

(١) رحلة إبن جبير ـ أبي الحسين محمد إبن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي ـ المكتبـة العربية ـ بغداد ـ سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٣٧م ـ ص١٥٣ ـ ١٥٤ .

قبة مرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه ورأس الحسن إلى رجلي العباس رضي الله عنهما وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق مرصعة بصفائح الصفر ومكوكبة بمساميره على أبدع صفة وأجمل منظر وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم بن النبي (ص) ويلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت رسول الله (ص) ويعرف ببيت الأحزان يقال انه الذي آوت إليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى (ص) وفي آخر البقيع قبر عثمان الشهيد المظلوم ذي النورين رضي الله عنه وعليه قبة مختصرة وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما وعن بنيها ومشاهد هذا البقيع أكثر من أن تحصى لأنه مدفن الجمهور الأعظم من الصحابة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين وعلى قبر فاطمة المذكورة مكتوبة ما ضم قبر أحد كفاطمة بنت أسد رضي الله عنها وعن بنيها » .

وصف إبن بطوطة للبقيع :

مر إبن بطوطة على المدينة المنورة بعد إبن جبير بمائة وخمسين عاماً فوصف البقيع وصفاً مشابها لوصف إبن جبير في كتابه تحفة النظام في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار[1] فقال :

« فمنها بقيع الغرقد وهو بشرقي المدينة المكرمة ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع فأول ما يلقى الخارج إليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهما وهي عمة رسول الله (ص) وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه وأمامها قبر إمام المدينة أبي عبدالله مالك بن أنس

---

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ إبن بطوطة ـ المطبعة الخيرية ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٣٢٢ ـ ص٨٩ ـ ٩٠ .

رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء وامامه قبر السلالة الطّاهرة المقدسة النّبوية الكريمة إبراهيم بن رسول الله (ص) وعليه قبة بيضاء وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو المعروف بأبي شحمة وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وقبر عبدالله إبن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وبإزائهم روضة يذكر ان قبور أمهات المؤمنين بها رضي الله عنهن ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وهي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الأحكام عن يمين الخارج من باب البقيع ورأس الحسن إلى رجلي العباس عليهما السلام وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح بديعة الالصاق مرصعة بصفائح الصفر البديعة العمل وبالبقيع قبور المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة رضي الله عنهم إلاّ انها لا يعرف أكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان بن عفان رضي الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي إبن أبي طالب رضي الله عنها وعن إبنها » .

وصف آخر للبقيع في القرن السادس الهجري :

وقد مر صاحب كتاب (الإستبصار في عجائب الأمصار) على البقيع في القرن السادس الهجري ، وقدم وصفاً مناقضاً للوصفين السابقين . . . ومؤلف الكتاب مجهول ويقول عنه جعفر الخليلي[1] :

كتاب حققه وعلق عليه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، وهو من منشورات هذه الكلية ومطبوعات جامعة الإسكندرية ، وقال محققه الدكتور سعد عن مؤلف الكتاب

(١) موسوعة العتبات المقدسة ـ الجزء الثالث ـ ص١٠٤ .

المجهول : انه كاتب مراكشي من كتّاب القرن السادس الهجري ، والذي يقرأ وصف البقيع إلى ما يقرب القرن الثامن الهجري عند الرحالة والمؤرخين يجد تبايناً كبيراً بين وصف البقيع عندهم ووصفه عند مؤلف هذا الكتاب من حيث خراب القبور وإندراسها وتلاشي معالمها وتبعثر الجماجم والعظام بحيث يحار القارىء في كيفية التوفيق بين آراء أولئك وفي طليعتهم إبن النَّجار (القرن السَّابع) ورأي هذا الكاتب المراكشي ، صحيح ان إبن النَّجار ينفي وجود المعالم للقبور العامة في القرن السابع ولكنه لا يذكر شيئاً ولا بعض شيء مما ورد في كتاب الإستبصار المذكور إضافة إلى انه يصف الروضات وصفاً تاماً ويعين مثلاً روضة الإمام الحسن بن علي (ع) والمدفونين في قبته ، ويسهب في تعيين مواقع هذه الأضرحة ، فإذا صح ما روى الكاتب المراكشي في كتاب الإستبصار فيجب ان تكون هنالك حوادث وقتية حدثت فآلت إلى مثل ذلك الخراب الشَّامل والحرث الَّذي أخرج الجماجم والعظام وبعثرها ثم عاد البقيع بعد ذلك إلى ما كان عليه مما فاتنا نحن الوقوف على أخباره » .

يقول صاحب كتاب (الإستبصار في عجائب الأمصار)[1] :

« بقيع المدينة من ناحية الشرق ، فأول ما تلقى إذا خرجت إلى البقيع : قبر مالك رضي الله عنه وهو قبر مهمل مبني بالحجر والطين ، مزتفع (كذا ورد) من الأرض نحو ٤ أشبار ، وعند رأسه حجر أدكن منقوش تاريخه من يوم مات ، ثم تسير منه قليلاً وقد بصقت القبور موتاها !!* ورفضت الأرض جميع ما دفن فيها من صغير وكبير !! ولم يبق في بطنها منهم شيء إلا رفضته على وجهها فلم يبق عضو من أعضائها ، ولا عظم من عظامها ولو كان مقدار خردلة إلَّا وخرج على الأرض من ناس أهل المدينة خاصة !! وترى البقيع شبه المقتلة من دفن

---

* علامات التعجب من وضع الكاتب .
(١) المصدر السابق - ص١٠٤ - ١٠٥ .

قديم وحديث ، وجماجم الموتى بالية قديمة ، وأخرى حديثة ، فهذا عبرة لمن إعتبر !! ثم تسير قليلاً فتلقى روضة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ثم روضة إبراهيم ولد النبي ، ثم روضة عثمان بن عفان ، وروضات كثيرة » .

ووصف صاحب كتاب التعريف المتوفي في القرن الثامن الهجري (٧٤١ هـ) البقيع وذكر ما فيها من القباب فقال :

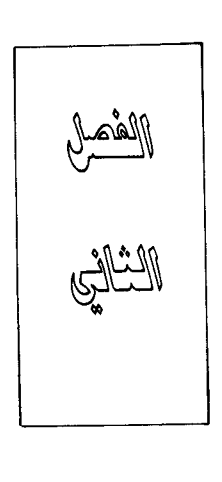
« ذكر الشيخ محب الدين الطبري في كتابه ذخائر العقبى في فضائل ذوي القربى من تأليفه رحمه الله قال أخبرني أخ لي في الله تعالى ان الشيخ أبا العباس المرسي كان إذا زار البقيع وقف أمام قبلة العباس وسلم على فاطمة رضي الله عنها ويذكر انه كشف له قبرها هناك والله أعلم ومع الحسن رضي الله عنه إبن أخيه علي بن الحسين زين العابدين وإبنه الباقر وإبنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم ، وعليهم قبة عالية البناء بناها الخليفة الناصر أبو العباس أحمد ابن المستضيء ثم قبر عقيل بن أبي طالب ومعه في القبر إبن أخيه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وعليهم قبة والمنقول ان قبر عقيل في داره ثم قبر إبراهيم بن سيدنا رسول الله (ص) وعليه قبة فيها شباك من جهة القبلة وهو مدفون عند جنب عثمان بن مظعون رضي الله عنه كما ورد في الصحيح ان رسول الله (ص) حين مات إبراهيم (ع) انهم قالوا أين نحفر له قال عند فرطنا[1] عثمان وورد أيضاً عن عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت أرسلت إليه عائشة رضي الله عنها ان هلم إلى أصحابك يعني النَّبي (ص) وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال لست بمضيق عليك بيتك اني كنت قد عاهدت إبن مظعون أينا مات دفن إلى جنب صاحبه إدفنوني إلى جنب عثمان فدفن إلى جانبه فعلى هذا يزار مع إبراهيم (ع) وفي قبة عقيل رضي الله عنه حظير مبني بالحجارة

---

(١) فرطنا : الفرط الذي تقدمه الجماعة ليهيء منزلهم ولوازمهم . المؤلف عن عمدة الأخبار في مدينة المختار ـ ص١٠٥ .

فيه قبور أزواج رسول الله (ص) فيسلم عليهن هناك ثم قبر أمير المؤمنين أبي عمرو عثمان بن عفان رضي الله عنه شرقي البقيع في موضع يعرف بحش كوكب وعليه قبة عالية بناها أسامة بن سنان الصلاحي أحد أمراء صلاح الدين يوسف إبن أيوب سنة إحدى وستمائة ثم قبر أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنه وعنها في آخر البقيع شمالي قبة عثمان رضي الله عنه في موضع يعرف بالحمام وعليها قبة صغيرة ثم قبر أم الزبير صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها على يسار الخارج من باب المدينة ويقال انها دفنت عند موضع الوضوء عند دار المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وعليها بناء من حجارة أرادوا أن يعقدوا عليه قبة صغيرة فلم يتفق ذلك لقربها من السور والباب ثم قبر الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي أمام دار الهجرة في قبة صغيرة إذا خرج الإنسان من باب المدينة كان مواجهاً له من جهة الشرق ثم قبر إسماعيل بن جعفر الصادق في مشهد كبير مبيض غربي قبة العباس رضي الله عنه هو ركن سور المدينة من جهة القبلة والشرقي وبابه من داخل المدينة بناه بعض ملوك مصر العبديين ويقال ان هذه العرصة التي فيها هذا المشهد وما حولها من جهة الشمال إلى الباب هي كانت دار زين العابدين علي بن الحسين رضوان الله عليهم أجمعين وبين باب الأول وباب المشهد بئر منسوبة إلى زين العابدين وكذلك بجانب المشهد الغربي مسجد صغير مهجور يقال انه أيضا مسجد زين العابدين وليس بالبقيع قبر معروف ـ للسلف الصالح غير ما ذكر وسمي ـ »[1] .

(١) التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة ـ ص٤٦ ـ ٤٧ .



آل سعود والبقيع

الهدم الأول للبقيع

نبذة عن قيام الدولة السعودية الأولى :

في عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥م) إتفق كل من الأمير محمد بن سعود (أمير الدرعية) والشيخ محمد بن عبد الوهاب على العمل معاً على نشر الدعوة الوهابية على أن تكون للأول السلطة السياسية وللثاني الدينية . . وقد حدثت معارضة شديدة لهذا الإتفاق من قبل أُمراء المناطق المجاورة خاصة عندما بدأ المتحالفان بالتوسع خارج نطاق الدرعية وقد وقعت معارك عديدة بين محمد بن سعود وأُمراء مناطق نجد والاحساء لم يتم حسمها بشكل كامل في حياة محمد بن سعود والذي توفي عام ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) .

خلف محمد بن سعود في الحكم عبد العزيز بن محمد الَّذي توسع في الحكم فاحتل عدداً من المناطق المجاورة مثل الرياض (١١٨٧ هـ) ، والقصيم (١١٨٩ هـ) والأحساء (١٢٠٨هـ) . كما قام بمهاجمة قطر والبحرين وعمان والكويت ومناطق أخرى عديدة ، كما قام بغزو جنوب العراق حيث هجم على مناطق عديدة منه ودخل جيشه مدينة كربلاء المقدسة في ٢٠ إبريل ١٨٠١م ـ (١٢١٦هـ) بقيادة إبنه سعود وعاث فيها الفساد وهدم مشهد

سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) ونهب محتوياته ، ويقول الدكتور عبد الرحيم[1] عن هذه المجزرة :

« قاد الأمير سعود بنفسه جيشاً كبيراً ودخل حدود العراق وبعد مناوشات بينه وبين عربان المنتفق والظفير ظهر فجأة أمام كربلاء مدينة الشيعة المقدسة ، وعندما تمكنت القوات السعودية من دخول المدينة أمر سعود بهدم ما بها من قباب ومشاهد وهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين وقتلت القوات السعودية غالب أهل المدينة في الأسواق والبيوت دون تمييز بين كبير أو صغير وإستولت على ما في مشهد الحسين من مجوهرات ، ومصاحف ثمينة كانت مهداة من الملوك وشيعة الهند وإيران إلى ذلك المشهد المقدس عندهم . . خرجت القوات السعودية بعد ذلك من المدينة بسرعة عائدة إلى الدرعية » .

كما ان القوات السعودية قامت بغزو مناطق كثيرة في الاردن والشام .

تطور العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والأشراف في الحجاز :

كانت العلاقات بين الجانبين على غير وئام منذ البداية وذلك نتيجة الإختلافات المذهبية والتنافس بينهما على التوسع وفرض الهيمنة وإستمر الحال من الركود في العلاقات « حتى تولى أمر الشرافة (في الحجاز) الشريف غالب إبن مساعد (١٢٠٢هـ ـ ١٧٨٧م) ، الذي لعب دوراً بارزاً في العلاقات السعودية الحجازية ، وفي عهده بدأت هذه العلاقات تتخذ طابعاً جديداً تطور إلى الصدام المباشر بين الطرفين »[2] رغم ان الشريف غالب قد طلب من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب إرسال أحد علماء الوهابية لمعرفة حقيقة هذه الدعوة ومناظرة علمائها وحصلت مراسلات عديدة بين الجانبين إلاَّ انها لم تكن ذات جدوى حيث نشبت معارك بينهما لم يكن

---

(١) الدولة السعودية الأولى ـ ص٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١٣٧ .

الحسم فيها من نصيب أي منهما ، قال عنها صاحب خلاصة الكلام انها تنوف عن خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف إلى سنة عشرين ومائتين وألف[١] .

وفي عام ١٢٠٩هـ (١٧٩٤م) قام الأمير سعود بن عبد العزيز بتجهيز جيش كبير وهجم على المناطق الحجازية المتاخمة لنجد وإستطاع تحقيق مقدار من النجاح بعد إنضمام مجموعة من القبائل إليه لتتخلص من البطش الذي تميزت به الهجمات السعودية ، وقد أصبح موقف الشريف غالب نتيجة ذلك ضعيفاً وأنزلت به هزائم كبيرة ورغم انه إستنجد بالدولة العثمانية إلَّا انها لم تتجاوب معه ، الأمر الذي دفعه إلى طلب الصلح مع الدرعية وتم عقده في نهاية جمادى الأولى سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) وقد قلص هذا الصلح من نفوذ الشريف غالب حتى أصبح « قاصراً على المناطق التي حول مكة والمدينة والطائف وما عداها من المناطق الحجازية أصبح خاضعاً لسلطات الدرعية »[٢] .

وإستمر الصلح بينهما ستة أعوام أستغله السعوديون في تعزيز نفوذهم وأحداث إنشقاقات داخل الحجاز كان أهمها إنشقاق عثمان بن عبد الرحمن المضايفي وزير الشريف غالب وصهره وإنضمامه إلى جانب آل سعود . . وقد كانت هذه ضربة موجعة إليه إعتبرها نقضاً لمعاهدة الصلح بينه وبين السعوديين .

وقد تولى المضايفي إمارة الطائف وما حولها وإنضمت إليه القبائل المجاورة ، وبذلك إزداد طمع السعوديين في الإستيلاء على الحرمين الشريفين لتحصيل السمعة الدينية لدى مسلمي العالم بالإشراف عليهما .

---

(١) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ـ أحمد زيني دحلان ـ ص١٦١ .
(٢) الدولة السعودية الأولى ـ ص١٤٩ .

وقد قام بهجومه على مكة (في ١٢١٨ هـ - ١٨٠٢م) ودخلها ثم قام بتهديم قببها وآثارها الدينية . . وعن ذلك يقول صاحب خلاصة الكلام : « فما أصبح الصباح إلاَّ وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من النَّاس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولاً ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي (ص) ومولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومولد سيدنا علي رضي الله عنه وقبة السيدة خديجة رضي الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا في شتم القبور التي هدموها »[1] ، ويقول المؤرخ الوهابي إبن بشر عن هذه الواقعة[2] « ولبث المسلمون !![*] في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون . يباكرون إلى هدمها كل يوم . وللواحد الأحد يتقربون !! حتى لم يبق في مكة شيئاً من تلك المشاهد والقباب إلاَّ أعدموها وجعلوها تراباً » .

قصة الهدم الأول :

مما يؤسف له حقاً بان المصادر التاريخية لم تذكر عن الهدم الأول للبقيع إلاَّ نزرا يسيراً نذكر جانباً منه هنا . . ففي سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) دخل السعوديون المدينة بعد ما زعم عن مبايعة البعض لهم ويذكر إبن بشر تفاصيل القضية فيقول[3] :

« وفي أول هذه السنة قبل مبايعة غالب بايع أهل المدينة المنورة سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وهدمت جميع القباب التي وضعت

---

* علامات التعجب للكاتب .

(١) خلاصة الكلام - ص٢٧٩ .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد - الجزء الأول - ص١٣٧ .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد - الجزء الأول - ص١٣٧ ، وأنظر تاريخ العرب - الطبعة السابعة - ص٨٣٩ .

على القبور والمشاهد وذلك ان آل مضيان رؤساء حرب وهما بادي وبداي إبني بـدوي بن رمضـان ومن تبعهم من عـربـانهم أحبـوا المسلمين ووفـدوا على عبد العزيز وبايعوه ، وأرسل معهم عثمـان بن عبد المحسن أبـا حسين يعلمهم فرائض الدين ويقرر لهم التوحيد . فأجمعوا على حرب المدينة ونزلوا عواليها ، ثم أمر عبد العزيز ببناء قصر فيها فبنوه وأحكموه وإستوطنوه ، وتبعهم أهل قبـاء ومن حولهم وضيقوا على أهل المدينة وقطعوا عنهم السوابل وأقامـوا على ذلك سنين ، وأرسل عليهم سعود وهم في موضعهم ذلك الشيـخ العالم قـرناس بن عبد الرحمن صاحب بلد الرس المعروف بالقصيم . فأقام عندهم قاضياً معلماً كل سنة يأتي إليهم في موضعهم ذلك . فلما طال الحصار على أهـل المدينـة وقعت المكـاتبات بينهم وبين سعـود من حسن قلعي وأحمد الـطيـار والأعيـان والقضاة وبايعوا في هذه السنة » .

ويروي صاحب لمع الشهاب القصة بتفصيل أكثر عندما يقول[1] :

« فلما قرب إلى المدينة أرسـل إلى أهلها بـدخولـه ، فأبـوا وإمتنعوا من ذلك . فحمل عليهم كراراً حتى دخلها بعد وصوله بخمسة وعشرين يوماً ، فقتل منها بعض النَّاس حيث سمى أهلهـا الناكثين ، لـذلك إستبـاح دمهم حتى بعد الحرب ، فدخل مسجد رسول الله (ص) وزاره ، ولبث فيها عشرة أيام لم يحرك منها ساكناً . . » .

ويضيف :

« ويـوم الحادي عشـر ، جاء هـو وبعض أولاده ومن يعز عليـه ، فطلب الخدم السودان الَّذين يخدمـون حرم النَّبي ، فقـال : أريد منكم الـدَّلالة على خزائن النَّبي ، فقالوا بأجمعهم . . نحن لا نوليك عليها ، ولا نسلطك ، فأمـر

(١) عن مجلة الثورة الإسلامية ـ العدد ٧٤ ـ رمضان ١٤٠٦هـ ـ ص٧١ .

بضربهم وحبسهم ، حتّى أضطروا إلى الإجابة ، فدلوه على بعض من ذلك فأخذ كل ما فيها ، وكان فيها من النقود ما لا يحصى ، وفيها تاج كسرى أُنوشروان ، الذي حصل عند المسلمين لما فتحت المدائن ، وفيها سيف هارون الرشيد ، وعقد كان لزبيدة بنت مروان زوجته ، وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته (ص) تزينا لقبته (ص) . وأخذ قناديل الذهب ، وجواهر عديدة ، ثم انه رتب في المدينة أحداً من آل سعود ، وخرج إلى البقيع يريد نجداً ، فأمر بتهديم كل قبة كانت في البقيع ، وتلك القبب قبة الزهراء فاطمة بنت الرسول « رضي الله عنها » وقبة الحسن بن علي « رضي الله عنه » ، وقبة علي بن الحسين « رضي الله عنه » ، وقبة محمد الباقر ، وقبة جعفر الصادق ، وقبة عثمان « رضي الله عنهم أجمعين » .

ويقول الجبرتي في تاريخه عن يوم ١٥ رجب ١٢٢٠هـ (٩ أكتوبر ١٨٠٥م) : « وفيه : وردت الأخبار بان الوهابيين إستولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ـ بعد حصارها نحو سنة ونصف من غير حرب ، بل تحلقوا حولها ، وقطعوا عنها الوارد ، وبلغ الأردب الحنطة بها مائة ريال فرانساً . فلما إشتد بهم الضيق سلموها . ودخلها الوهابيون ولم يحدثوا بها حدثاً ، غير منع المنكرات وشرب التنباك في الأسواق ، وهدم القباب(*) ، ما عدا قبة الرسول (ص) »[1] .

وقيل بان الشريف غالب عاهد الوهابيين على « ترك ما حدث في النّاس من الإلتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات وما أحدثوه !! من بناء القباب على القبور والزخارف وتقبيل الأعتاب !! والخضوع والتذلل ، والمناداة والطواف ، والنذور والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم

* وهل حدث أعظم من هدم قبور آل البيت عليهم السلام ؟!! .
(١) من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ـ ص١٠٤ .

لها . . . فعاهده على منع ذلك وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة لأنها من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهده »[1] .

(١) المصدر السابق ـ ص١٠٦ ـ ١٠٧ ، وعلامات التعجب من وضع الكاتب . .

البقيع بعد الهدم الأول:

مر الرحالة الحاج عبدالله بورخارت[1] بالمدينة المنورة في أواخر القرن التاسع عشر وذلك بعد تهديم الوهابيين للبقيع فوصفها وصفاً مؤثراً جاء فيه[2] :

« في اليوم الذي يلي أداء الحاج واجباته للمسجد والحجرة ، تجري العادة بذهابه إلى مقبرة المدينة تكريماً لذكرى القديسين الكثيرين المدفونين بها ، وهي تجاور أسوار البلد على مقربة من باب الجمعة وتسمى (البقيع) صورتها مربع مكون من بضع مئات من الأذرع يحيط به جدار يتصل من الجنوب بضاحية المدينة ، وتحيط به من سائر نواحيه مزارع النخيل ، وهذا المكان حقير جداً بالنظر إلى قداسة الأشخاص الَّذين يحتوي رفاتهم ، ولعله أشد المقابر قذارة وحقارة بالقياس إلى مثله في أية مدينة شرقية في حجم (المدينة) فليس به متر واحد حسن البناء ، كلا بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة إتخذت غطاء للقبور ، إنَّما هي أكوام من تراب أحيطت بأحجار غير ثابتة » ، ويضيف بورخارت بالقول : « ويعزى تخريب المقبرة إلى الوهابيين فيشير إلى بقايا القبب والمباني الصغيرة التي عمدوا إلى تخريبها من فوق قبور العباس وبعض الأئمة وعثمان وستنا فاطمة وعمات النبي (ص) ، والموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من

(١) وقيل ان إسمه الحاج بوخارت إبراهيم .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم المدينة ـ ص١٠٥ .

التراب المبعثر ، وحفر عريضة ومزابل »[1] . !!

إخراج آل سعود من المدينة المنورة :

لقد حز في نفوس المسلمين في العالم الأفاعيل الشائنة التي قام بها السعوديون في المدينة المنورة من قبل النَّاس وتهديم للآثار الإسلامية وإهانة لمقابر الأولياء والصالحين فيها . . ولذلك فقد عم الغضب الإسلامي سائر البلاد الإسلامية ، وإرتفعت وتيرة المطالبات الشعبية بتحرير الأماكن المقدسة من القيود السعودية وإعادة الهيبة والإحترام إليها كما كانت فيه على الدوام .

وقد شجعت هذه الأجواء (بالإضافة إلى الرغبات العثمانية في الهيمنة على الحجاز) الدولة العثمانية على التفكير في إستردادها ، ولذلك فقد طلبت من واليها على مصر محمد علي باشا البدء في الإستعداد لإستعادة السيطرة على الحجاز في عام ١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٧م[2] وهكذا بدأ محمد علي باشا في إرسال قواته إلى الحجاز بعد تردد وكانت أول دفعة أرسلها في ١٩ رجب ١٢٢٦هـ ـ ٨ أغسطس ١٨١١م عن طريق البحر تلتها قوة أخرى في ٥ شعبان ١٢٢٦هـ ـ ٢٦ أغسطس ١٨١١م كما أرسل قوات برية بقيادة إبنه طوسون عن طريق العقبة إلى ينبع المكان الَّذي إتفق ان يكون « مكان التَّجمع والإلتقاء للقوات البحرية والبرية »[3] ، وقد بلغ عددها ثمانية آلاف جندي[4] ولم تجد القوات بقيادة طوسون صعوبة في النزول في ينبع وذلك لمساعدة الشريف غالب لها .

وقد تمكنت هذه القوات من إنزال أول هزيمة بالقوات السعودية في البداية وبدأ طوسون في التخطيط للزحف نحو المدينة المنورة . . وهكذا كان ، لكن القدر كان على موعد سيء معه حيث هزمت قواته في وادي الصفراء وقتل

---

(١) المصدر السابق ـ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ .
(٢) انظر الدولة السعودية الأولى ـ ص٣٠٦ .
(٣) المصدر السابق ـ ص٣١٢ .
(٤) المصدر السابق ـ ص٣١١ .

عدد كبير منها وفر الباقون (ثلاثة ألاف جندي) إلى ينبع في حالة الذعر والفزع كبيرة .

وقد أرسل طوسون في طلب المدد من أبيه محمد علي باشا حيث وصله فيما بعد فبادر إلى نقل مواقعه إلى بدر (١٢٢٧هـ - ١٨١٢م) وقام بتنظيم قواته وترتيبها ثم زحف إلى وادي الصفراء وأحتله ثم توجه نحو المدينة المنورة . . وقد « وصلت قوات طوسون تساندها قبائل حرب وجهينة إلى المدينة المنورة ، بعد رحلة مضنية نتيجة لوعورة الطريق ، وبعد المسافات ، وشدة الحر ، التي إضطرت الجيش أن يسير بالليل ويستريح في النهار ، وحاصر طوسون بقواته المدينة مدة طويلة ، تمكن في أثنائها من فتح ثغرات في سورها ، بواسطة المتفجرات فأضطرت القوات السعودية الّتي كانت متحصنة بها إلى الإستسلام ، بعد ان فتكت الأمراض بها نتيجة لطول مدة الحصار وقطع المياه والطعام عنها ، وأرسل طوسون لوالده بشائر النصر مصحوبة بثلاثة آلاف من آذان القتلى ، ومفاتيح الحرم النبوي الشريف »[1] وكان دخول المدينة المنورة في التاسع من شهر ذي القعدة وقد سقطت بعد عدة أيام من دخولها[2] .

بعد إستتباب الأمر لطوسون في المدينة قام بمراسلة الشريف غالب (الذي لم يكن ليحب السيطرة السعودية) ليسمح له بدخول جدة حيث دخلها سلماً في ١٢ محرم ١٢٢٨هـ - ١٥ يناير ١٨١٣م ، ثم توجه إلى مكة المكرمة بمساعدة الشريف غالب كذلك ودخلها دون قتال إيضاً . . وتطورت المعارك بعد ذلك لغير صالحه عندما قامت القوات السعودية بإستدراجه إلى وسط الجزيرة العربية حيث الحر والجوع والعطش الأمر الذي رجح الكفة لغير صالحه .

---

(١) المصدر السابق - ص٣١٨ .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها - صلاح الدين المختار - ص١٢٤ .

وقد دفع هذا بمحمد علي باشا إلى السير بنفسه إلى الجزيرة العربية حيث حقق إنتصارات كبيرة وتأرجحت كفتي الطرفين في الغلبة والهزيمة حتى تمكن إبراهيم باشا من هزيمة القوات السعودية في نجد وإستسلم الأمير عبدالله بن سعود إلى إبراهيم باشا في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ ـ ٩ سبتمبر ١٨١٨م وبهذا سقطت الدولة السعودية الأولى .

وأخذ عبدالله بن سعود إلى مصر حيث أدخل على محمد علي باشا وإستلم منه محتويات ونفائس الحجرة النبوية التي كان قد سرقها أبوه أبان غزوه للمدينة المنورة ـ كما ذكرنا آنفاً ـ .

وضع البقيع بعد ذلك:

عندما إستعادت الدولة العثمانية المدينة أعادت إليها عمارتها وقامت ببناء الآثار الإسلامية التي هدمها الوهابيون ، وقد « أعادوا بناء الكثير من القباب وشادوها على صورة من الفن تتفق مع ذوق العصر »[1] ، « ساعدها في ذلك تعاون العلماء مع دولة الخلافة العثمانية بالإضافة إلى التَّبرعات السَّخية والأضرحة الجاهزة التي كانت تأتي من كافة العالم الإسلامي »[2] ، وقد عدد صاحب (مرآة الحرمين) القباب المبنية فيها في وصفه للبقيع فقال :

« فلذلك لا تعرف قبور كثيرة منهم إلَّا أفراداً معدودة أقيمت على قبور بعضهم قباب ، ومن أولئك الأفراد إبراهيم ورقية وفاطمة أولاد الرسول (ص) ، وفاطمة بنت أسد أم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما وعبد الرحمن إبن عوف وعبدالله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وأسعد بن زرارة وخنيس إبن حذافة السهمي والحسن بن علي ، ومعه في قبره إبن أخيه زين العابدين علي بن الحسين وأبو جعفر الباقر محمد بن زين العابدين وجعفر الصادق بن الباقر ،

(١) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم المدينة ـ ص١٠٦ .

(٢) مجلة الثورة الإسلامية ـ عدد ـ ص .

وممن علم قبره بالبقيع العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وسعد بن معاذ الأشهلي وأبو سعيد الخدري ، وكل زوجات الرسول (ص) دفن بالمدينة إلَّا خديجة فبمكة وإلَّا ميمونة فبسرف رضي الله عن الجميع ، والعباس والحسن بن علي ومن ذكرناه معه تجمعهم قبة واحدة هي أعلى القباب التي هناك كقبة إبراهيم وقبة عثمان التي بناها السلطان محمود سنة ١٢٣٣هـ ، وقبة الزوجات وقبة إسماعيل بن جعفر الصادق وقبة الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ، وقبة نافع شيخ القراء وهناك قبة تسمى قبة الحزن يقال انها في البيت الذي آوت إليه فاطمة بنت النبي والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها رسول الله (ص) ، وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون »[١] .

وفي عام ١٨٥٣م زار الرحالة البريطاني السير ريتشارد بورتن الأماكن المقدسة في المدينة المنورة وأعطى وصفاً مفصلاً لمقبرة البقيع[٢] : « . . . وهو يقول عند الوصول إليها ان هناك خبراً يقول ان سبعين ألف قديس ، وفي رواية مائة ألف ، سوف يبعثون يوم القيامة من البقيع ، وان عشرة آلاف صحابي ، وعدداً لا يحصى من السادة ، قد دفنوا في هذه المقبرة على مر السنين فاندرست قبورهم لأن القبور في الأزمنة القديمة لم تكن توضع عليها شواهد ، وأول من سيبعث يوم النشور النَّبي الأعظم (ص) ، وبعده أبو بكر ، وبعد عمر ، ثم أهل البقيع ، ثم دفناء مقبرة « جنة المعلا » في مكة المكرمة .

وكان أول شخص في الإسلام دفن في البقيع عثمان بن مظعون ، لأن أول من توفي في المدينة من المهاجرين ، ففي اليوم الثالث من شعبان سنة ٣ للهجرة قبَّل النَّبي جبين جثته وأمر بدفنها في مدى الرؤية من مقره ، وكان المكان في تلك الأيام حقلاً ينتشر فيه عدد من أشجار الغرقد ، فقطعت الأشجار وسويت

---

(١) مرآة الحرمين ـ الجزء الأول ـ ص٤٢٦ .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم المدينة ـ ص٢٨٠ ـ ٢٨٥ .

الأرض فدفن إبن مظعون في وسطها ، ثم وضع النَّبي بيديه الكريمتين حجرين شاهدين كبيرين فوق رأس صاحبه وقدميه ، ويقول بورتون في حاشية له ان مروان بن الحكم رفع هذين الحجرين بعد ذلك حينما قرر عدم تمييز هذا القبر ، لكن المسلمين إستهجنوا هذا العمل من وكيل معاوية ، ولعل إبن مظعون كان من خصوم الأمويين ، وهذا وقد أنشئت بمرور الزمن قبة فوق هذا القبر ، ثم دفن إلى جنبه إبراهيم الإبن الثاني للنبي محمد ، فأصبح البقيع من بعد ذلك مقبرة مشهورة .

ومدفن الأولياء هذا له شكل متطاول غير منتظم تحيط به جدران متصلة بالضاحية من زاويتها الغربية ، ويحجزه درب الجنازة عن سور المدينة ، كما يحده من الشمال طريق البادية الشرقي الذي يخرج من باب الجمعة ، وتعتبر هذه المقبرة صغيرة إذا ما لوحظ ان جميع من يتوفاه الله في المدينة من أهلها ومن الغرباء يتأملون ان يدفنوا فيها إلَّا الرافضة والكفرة . . ولذلك فلا بد لها من أن تضيق بجثث الموتى الَّذين لا يمكن أن تستوعبهم لولا ان الطريقة التي يدفن بها المسلمون موتاهم تساعد على التفسخ والإندراس . . وليس في داخل المقبرة أزهار ولا أشجار باسقة ، ولا كل شيء مما يخفف كآبة المدافن المسيحية في العادة حتى ان الأبنية التي فيها تعد شيئاً بسيطاً للغاية أو حقيراً في الحقيقة ، ولقد هدم الأبنية والنصب القديمة التي كانت موجودة فيها الأمير سعود وأتباعه الوهابيون الَّذين شنوا حملة شعواء ضد ما لا بد من انهم كانوا يعتبرونه شيئاً باذخاً من الأضرحة ، لأنهم يعتقدون بأن خير القبور الدوارس ، وكان منظر هذه المقبرة حينما زار بورخارت من قبل (١٨١٤) عبارة عن « . . أكوام مبعثرة من التراب ، وحفر واسعة ، وأنواع من الزبل ، من دون شاهدة واحدة على أي قبر ، ويرجع الفضل لما بني منها بعد ذلك إلى السلطانين عبد الحميد ومحمود . . . » .

ويقول بورتون كذلك : « . . وقد دخلت المقبرة المقدسة مقدماً رجلي

اليمنى كما لو كنت أدخل إلى المسجد ، وحافي القدمين لأتحاشى إعتباري من الرافضة ، فمع ان أهالي المدينة يدخلون إليها بأحذيتهم فانهم يغتاظون كثيراً حينما يرون الإيرانيين يفعلون مثلهم ، ثم بدأنا بقراءة الزيارة العامة المألوفة . . وأعقبناها بقراءة سورة الإخلاص والشهادة ، وبإنتهائها رفعنا أيدينا وقرأنا الفاتحة قراءة خافتة ومسحنا على وجوهنا وتحركنا » .

وحينما سرنا في ممر ضيق يؤدي من جهة البقيع الغربية إلى الجهة الشرقية دخلنا مرقداً متواضعاً أقيم فوق قبر الخليفة عثمان . . فعندما قتل أراد أصحابه أن يدفن في « الحجرة » ، لكن ثوار مصر قابلوا ذلك بعنف وأقسموا أن لا يدفن هناك ولا يصلى عليه ، وإنَّما سمحوا فقط بنقله بعد تهديد حبيبة أم المسلمين (وبنت أبي سفيان) لهم ، وفي خلال الليلة التي أعقبت وفاته نقل عثمان إلى البقيع من قبل أصحابه ، لكنهم طردوا من هناك أيضاً فاضطروا إلى إيداع حملهم في بستان تقع في الجهة الشرقية الخارجية من مقبرة الأولياء هذه ، وكانت تدعى « حصن كوكب » حتى أدمجها مروان بالبقيع ، وقد وقفنا على مرقد عثمان هذا وتلونا الزيارة . . وبعد ذلك دفعنا الصدقات وأرضينا الخادم بعشرة قروش .

وبعد هذا سرنا خطوات قليلة إلى الشمال وتوجهنا نحو الشرق فزرنا أبا سعيد الخدري صاحب النَّبي الَّذي يقع قبره في خارج البقيع ، وكان المكان الثالث الَّذي زرناه قبة تحتوي على قبر السيدة حليمة البدوية (السعدية) مرضعة النَّبي محمد . . ومن هناك توجهنا إلى الشمال فوقفنا أمام مبنى صغير يحتوي على أكوام بيضوية الشكل من الأحجار المتناثرة ، وهي قبور شهداء البقيع الَّذين قتلهم مسلم قائد كبير الفاسقين يزيد ، ويقول بورتون في حاشية له هنا (الص ٣٧ ـ ج٢) ان الإمام الشافعي يسمح لأتباعه بسب يزيد بن معاوية الذي جعلته قساوته مع آل البيت ، وجرائمه وموبقاته ، يهودا الأسخريوطي المسلم ، وقد سمع بورتون مسلمين أحنافا يسبون يزيداً كذلك ، أما الوقفة الخامسة

فكانت بالقرب من وسط المقبرة على قبر إبراهيم إبن النبي الذي توفي وعمره ستة أشهر ، أو سنتان على قول البعض ، وكان إبن مارية القبطية التي أهداها إلى النَّبي (ص) جارح مقرقس الإسكندرية في مصر ، فقد أهال النبي التراب بيديه الكريمتين عليه ، ورشه بالماء ثم وضع الحجارات الصغيرة فوق ذلك وقرأ السلام الأخير عليه ، ولهذا السبب دفن الكثيرون من الرجال في هذا الجزء من المقبرة ، لأن كل أحد كان يطمع في أن يلحد في الأرض التي شرفتها يدا النَّبي ، وزرنا بعد هذا النافع إبن عمر المسمى نافعا القاري عادة ، لأن كان يجوّد القرآن ، وإلى جنبه مالك بن أنس إبن المدينة ورجلها الفذ ، وكانت الوقفة الثامنة على قبر عقيل بن أبي طالب أخي الإمام علي ، وهنا يعلق بورتون في حاشية له ويقول ان عقيلاً توفي في دمشق على عهد معاوية ، لكن البعض يذكر انه دفن هناك بينما يقول غيرهم ان جثمانه نقل إلى المدينة بعد ذلك ودفن في مكان كان يقوم فيه بيته من قبل وكان يسمى دار عقيل . . وقد زرنا بعد هذه البقعة التي دفنت فيها أزواج النبي جميعهن عدا خديجة التي دفنت في مكة وكان محمد (ص) قد تزوج خمس عشرة إمرأة عاش منهن بعده تسع ، وبعد أمهات المؤمنين قرأنا الفاتحة على قبور بنات محمد اللواتي يقال أنهن كن عشراً .

وبعد أن يصف بورتون (الص ٢٩ ـ ج٢) الشحاذين وأنواعهم وكيف يستقبلون الزوار يقول : . . وقبل أن نترك البقيع وقفنا وقفتنا الحادية عشرة في القبة العباسية ، أو قبة العباس عم النَّبي ، وهنا يعلق في الحاشية بقوله ان البعض يرون ان مراسيم الزيارة كانت ولا تزال تبدأ هنا لكن ترتيب الزيارات يختلف ولا يتفق عليه إثنان ، وكانت مسؤولية ما فعله تقع على ما فعله مزوّره الشيخ حميد ، لأنه لم يشأ المجازفة بشيء من عنده . . ثم يستأنف وصف القبة ويقول :

وهذه القبة التي بناها الخلفاء العباسيون من قبل في ٥١٩ للهجرة أكبر

وأجمل جميع القبب الأخرى ، وتقع على يمين الداخل من باب المقبرة ، ويدل على أهميتها تجمع الشحاذين بقربها ، فقد جاءوا إليها وتكأكأوا عليها حينما وجدوا الإيرانيين مجتمعين فيها بكثرة وهم يبكون ويصلون . وبعد ان إجتزت العتبة بصعوبة طفت حول عدد من القبور كانت تشغل وسط المبنى من دون أن يكون بينها وبين الجدار إلاّ ممر ضيق . وهي محاطة بسياج ومغطاة بعدة كساوى من القماش الأخضر المكتوب عليه بأحرف بيضاء . وتبدو هذه كأنها كومة مرتبكة لكنها ربما بدت لي كذلك بسبب الإزدحام المحيط بها . وتوجد في القسم الشرقي قبور الحسن بن علي سبط النَّبي ، والإمام زين العابدين بن الحسين ، وإبنه محمد الباقر (الإمام الخامس) ، ثم إبنه الإمام جعفر الصادق ـ وهؤلاء جميعاً من نسل النَّبي وقد دفنوا في نفس المرقد الَّذي دفن فيه العباس بن عبد المطلب عم النَّبي . . وبعد أن خرجنا وتخلصنا من أيدي الشحاذين الصغار وجّهنا وجهنا نحو الجدار الجنوبي الَّذي يوجد بقربه قبر ينسب إلى السيدة فاطمة وقرأنا الدعاء المعروف . ويقول بورتون في حاشية مستفيضة (الص ٤١ ـ ج٢) : . . ويبدو ان المؤرخين المسلمين يبتهجون بالغموض الَّذي يكتنف مدفن السيدة فاطمة الزهراء (ع) . . فبعضهم يذكر انها دفنت في الحرم الشريف ويستند في ذلك إلى الرواية التي تقول انها حينما علمت بدنو أجلها قامت فرحة مستبشرة فغسلت الغسل الكبير ولبست ملابسها النظيفة ، ثم فرشت حصيراً على أرض بيتها الواقع بقرب قبر الرسول ، وتمددت مستقبلة القبلة فوضعت يدها تحت خدها وقالت لمن حضر بقربها . . لقد تطهرت ولبست ثيابي الطاهرة ، فلا تسمحوا لأحد بأن يكشف عن جسدي بل أدفنوني حيث أنا . . وحينما عاد علي وجد زوجته قد توفيت ، ونفذ رغبتها الأخيرة . وقد كان عمر بن عبد العزيز يعتقد بهذه الرواية فألحق الغرفة تلك بالمسجد ، ولذلك فالإعتقاد العام في الإسلام هو ان الزهراء البتول قد دفنت في الحرم . اما أولئك الَّذين يعتقدون بأنها مدفونة في البقيع فيستندون إلى قول الإمام الحسن :

« . . فإذا لم يسمحوا بدفني عند قبر جدي فادفنوني في البقيع إلى جنب أمي فاطمة . . » وهؤلاء يرون الخبر التالي في هذا الشأن : « . . فقد غسلها وكفنها علي وأم سلمة ، اما غيرهم فيقولون ان أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر كانت بجنب فاطمة حينما اعترضت في ساعتها الأخيرة على حملها للدفن كما يحمل الرجال . لكن أسماء وعدتها بأن تصنع لها نعشا أشبه بمحفة العروس ، من جريد النخل على غرار ما رأته في الحبشة ، وعند ذلك إبتسمت فاطمة للمرة الأولى منذ ان توفى والدها وأخذت عهداً بأن لا يدخل عليها أحد طالما كان جثمانها الطاهر مسجى في البيت . ولذلك لم تسمح أسماء لعائشة بالدخول حينما طرقت الباب عليها بعد ذلك . فذهبت شاكية إلى أبيها وقالت له ان زوجة أبيها ستعمل محفة عرش خاصة تحمل بها جثة الزَّهراء الطَّاهرة إلى مدفنها . فذهب أبو بكر إلى الباب وسمع من زوجته ما كانت قد أوصت به فاطمة . فعاد راجعاً إلى بيته من دون إعتراض . وقد أخفيت وفاة إبنة النَّبي عن الكبير والصغير برغبة منها ، فدفنت خلال الليل من دون أن يشيع نعشها أو يصلي عليها أحد سوى زوجها الإمام علي وعدد قليل من أقربائها . . اما المكان الثالث الَّذي يقال انها دفنت فيه فهو مسجد صغير في البقيع جنوبي قبة العباس بن عبد المطلب ، وكان يسمى « بيت الحزن » لأنها قضت آخر أيامها فيه تندب فقد أبيها الغالي . ويبدو ان قبرها كان موجوداً هنا من قبل ، لكن الزوار يصلون عليها الآن في مكانين : أي في الحرم وفي القبة العباسية . . وبعد أن غادرنا مقبرة البقيع تقدمنا شمالاً تاركين باب المدينة إلى يسارنا حتى أتينا على قبة صغيرة قريبة من الطريق ، تحتوي على قبور عمات النَّبي ولا سيما صفية بنت عبد المطلب أخت الحمزة ، وإحدى بطلات الإسلام في أول عهده . . » .

وفي وصف للبقيع أبان الحكم العثماني بعد إخراج الوهابيين ذكرها علي بن موسى الأفندي رئيس القلم العربي في ديوان محافظ المدينة في زمن العثمانيين في كتاب له بإسم (وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ

سنة ١٨٨٥م)[1] : « وأما الحجرة المعطرة فاعلم انه ما تغير من وضعها القديم شيء في هذه العمارة الأخيرة ، بل كان بناء القبة العليا المعروفة بالخضراء من الخشب ملبسة بألواح الصيني الأخضر ، وكانت عالية عن الوضع الموجود الآن ، فلما أخذ الوهابي الشرقي النجدي المدينة المنورة ، ونهب جميع تعاليق الحجرة من ذهب وفضة وياقوت وجواهر وزمرد وغير ذلك من التبركات المثمنة التي لا نظير لها في الدنيا أمر بهدم قباب البقيع ، فهدمت ، وأمر بهدم القبة الخضراء ليأخذ العلم الذهب الذي عليها فكل من طلع لتنزيل العلم طاح فمات [٤٧][2] فتشاءم منه ، وتشاءم أيضاً بأخبار بعض المتقربين لديه من أخذ الكوكب الدُّري ، وهي الأحجار الألماس الكبار ، المزين أطرافها بأحجار كالبندق من الألماس البرلانطة (؟)[3] المركبة في عامود طول ذراع وموضوعة في محل المسمار الفضة الَّذي كان علامة في القديم على محل الوجه الشريف النبوي ، فلما جاء إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر لإخراج الوهابي من المدينة المنورة وأنزل الله تعالى بالوهابية من البلاء ما أنزل عقوبة لهم ، وتبعهم إلى العارض يقتل فيهم ، وإسترد مما نهبوه البعض ، ولم يجد غالب أموال الحجرة ، رجع بمن قبض عليه من أبناء سعود أمير الديار النجدية وتوابعه من أولاد الشيخ عبد الوهاب الذين أفتنوا بعض النَّاس بدعوى الوهابية وأخذ من المدينة بعض من ساعدهم في تملك المدينة المنورة ، وبعث بهم إلى أبيه ومنه إلى السلطان محمود خان ، ورد ما أحضر من مال الحجرة ، إلى الحجرة الشريفة ونظر إلى صدع كبير في أعلى القبة الخضراء تحت العلم ، فأعرض عن ذلك حتى استحصل الأمر السلطاني بتجديد القبة النبوية ، وبناء قباب البقيع ومسجد المصلى فصندق دون كبوش القبة الخضراء ، ولبَّد على الصندقة باللباد

---

(١) رسائل في تاريخ المدينة المنورة ـ حمد الجاسر ـ وصف المدينة المنورة ـ ص٦٥ .

(٢) كذا ورد .

(٣) كذا ورد .

حتى لا ينزل في الحجرة المعطرة تراباً ، وشرع في تنزيل القبة الخضراء مع كمال الأدب حتّى وصل إلى الكبوش اختار بناءها من الطوب الكبير المربَّع بالخرج القوي فطويت في أسرع وقت على وضعها الموجود الآن وألبسها بصفائح رصاص وردَّ العلم الذهب في أعلاها ، وشال الصندقة ، وجاءت الستائر المزركشة المكتوبة بالخط الجميل لتلبيس الجدار الحائط بالقبة الأصلية التي على بيت السيدة عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وكتب إسمه وإسم أبيه وإسم السلطان محمود في دائرة القبة الشريفة من داخل وبنى قباب البقيع وكتب إسمه وإسم أبيه وإسم السلطان محمود في دائر قبة آل البيت العظام » .

وفي مكان آخر من كتاب علي بن موسى الأفندي جاء[1] :

« . . . . . . ثم من شرقي البقيع قبتين احداهما فيها مرقد الصحابي الجليل سيدنا أبي سعيد الخدري الأنصاري رضي الله تعالى عنه وبجانبها قبة سيدتنا فاطمة بنت أسد والدة سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله تعالى وجهه ـ ثم البقيع الشريف خارج السور السلطاني الجواني مقابل لباب الجمعة المذكور آنفاً وفيه من القباب عشرة وطاجن ومسجد مأثور ويعرف بمسجد الصحابي الجليل سيدنا أبي إبن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ومن قبليّه قبَّة آل البيت العظام وهي أكبر القباب عند عتبة بابها الشامي فسقية يدفن فيها بعض السادة العلوية وعند بابها الغربي طاجن فيه مدافن لبعض أمراء المدينة المنورة من أشراف بني حسين وفيها على الصحيح مرقد السيدة فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا الرسول ومرقد سيدنا العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ومرقد سيدنا الحسن السّبط رضي الله عنه ومرقد سيدنا علي زين العابدين إبن سيدنا الإمام الحسين السبّط رضي الله عنهم ومرقد سيدنا محمد الباقر ومرقد سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنهما ، ومن قبليّها قبة لا شيء فيها وتعرف بقبة الأحزان لا

(١) رسائل في تاريخ المدينة المنورة ـ حمد الجاسر ـ ص١١ ـ ١٣ .

يزورها إلا الشيعة من الأعجام وغيرهم في زمن الموسم ومن شرقي مسجد أبي إبن كعب المذكور مقابر كثيرة فيهم (؟) مراقد صاحب الطريقة الشيخ محمد السمان المدني وأولاده ومن شرقيهم قبة أُمهات المؤمنين المدفونين بالمدينة المنورة منهم سيّدتنا عائشة الصديقة رضي الله عنها وعنهن أجمعين وجملتهم سبعة في قبة واحدة وأما السيدة ميمونة من الزوجات الطاهرات فهي مدفونة في حدود الحرم المكي بالحديبية والسيدة خديجة بنت خويلد جدّة الأشراف مدفونة بشعبة النور بمكة المشرفة ومن شرقي قبة الأزواج قبة بنات النبي (ص) وهن زينب ورقية وأم كلثوم وشامي قبة الزوجات الطاهرات قبة سيدنا عقيل إبن أبي طالب وفيها مرقد سيدنا سفيان بن الحارث وسيدنا عبدالله إبن سيدنا جعفر الطيار وعند باب القبة بجوار ركنها الشامي الشرقي مرقد سيدنا سعد إبن أبي وقاص المهاجري من العشرة المبشرة بالجنة وشامي قبة سيدنا عقيل قبة الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ ومن شرقيّها بإتصالها [٨]* قبة سيدنا نافع القراء مولى سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه ومن شرقيها قبّة سيدنا عثمان إبن مظعون المهاجري رضي الله عنه وهو أول ميَّت دفن بالبقيع الشريف ولحده سيدنا النَّبي (ص) بيده الشريفة في قبره ثم حطَّ الحجر المنصيل (؟)* على رأس القبر بيده ثم دفن إبنه إبراهيم عنده ومعهما على أصحِّ الروايات سيدنا عبد الرحمن بن عوف المهاجري من العشرة المبشرة وقيل ان سيدنا أبا هريرة رضي الله عنه معهم ومن شرقيها في وسط البقيع بالجهة الشَّامية منه بجوار الباب الشَّامي الغربي مراقد الشهداء المنقولين يوم أحد قبل صدور الأمر من المصطفى (ص) بدفن الشهداء في مصارعهم وعند مراقد الشهداء المذكورين فساقي كبار للدفن العام في أيام وقوع الموت الذَّريع وفي آخر البقيع الشريف من جهته الشرقية قبة عظيمة دون قبة آل البيت في الجسامة وفيها مرقد ذي النورين سيدنا

---

* كذا ورد .

* كذا ورد .

عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ومن شاميّها بملاصقة الجدار الشَّامي قبة كقباب الزوجات والبنات الطَّاهرات فيها مرقد السيدة حليمة السعدية مرضعة سيدنا النَّبي (ص) ومن خلفها خوخة صغيرة ومن شرقيها خارج جدار البقيع الشريف قبة سيدنا أبي سعيد الخدري وقبة سيدتنا فاطمة بنت أسد المذكورتان آنفاً .

وان للبقيع الشريف سور مجصَّص حائط به وله أربعة أبواب ثلاثة غربية وبابان شاميان فواحد من الثلاثة الغربية تجاه باب قبة آل البيت العظام الغربي وهو مخصوص لتدخيل جنائز النخاولة التي لا يصلى عليها في الحرم الشريف وباب الثاني الغربي وهو المقابل لباب الجمعة ومنه دخول جنائز الأهالي والمجاورين والحجاج والزوار وهو المفتوح على الدوام واما الباب الثالث الغربي هو في الركن الأوسط من الجهة الشَّامية عند مراقد الشهداء لا يفتح إلاَّ في زمن وقوع الموت الذريع فقط لقربه من الفساقي الكبار وأما الشاميين (؟) فأحدهما عند الفساقي والثاني تجاه قبة سيدنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ويفتح في أيام الأعياد لإزدحام النَّاس لزيارة أهل البقيع بعد فراغهم من صلاة العيد وعيد الأضحى في كل سنة ومن بين البقيع وبقيع العَمَّات الطيبات السيدة صفية والسيدة عاتكة أخوات سيدنا حمزة رضي الله عنهما الطريق النَّافذ إلى جزع باب الجمعة وإلى مسجد الإجابة وإلى زرب هتيم الَّذي فوق طرف الحرة الشرقية ومنه إلى مرقد العريض وما حوله من المزارع وإلى الطَّريق الشرقي وطريق الحناكية وغيره من المسالك .

وبقيع العمات الطيبات هو من البقيع الشريف ولكنه لما صار بناء السور الجواني بالحجر والجص في زمن الغازي القانونجي السلطان سليمان خان في الخمسين بعد التسعمائة من الهجرة إستدخل أكثر البقيع في المدينة المنورة وبنيت بعد نبش القبور التي صارت في المستدخل منه دور كثيرة حتى صارت حارة مستقلة وتعرف الآن بحارة الأغوات خدمة حضرة سيد الكائنات وأحيط

على [٩]** ما بقي بجهة قبة العمَّات بجدار من الحجر مجصص بباب واحد عند قبة السيِّدة صفية المذكورة فلا يدفن فيه الآن وإنَّما يفتح بابه في أيام مواسم الأغراب للزيارة .

وفي الجهة الشرقية من البلدة الطيبة داخل السور الجواني على يسار الداخل من باب الجمعة بملاصقة جدار السور الجوّاني قبة كبيرة فيها مرقد سيدنا إسماعيل إبن سيدنا جعفر الصَّادق رضي الله عنهما .

وفي وصف لتعلق النَّاس بالبقيع آنذاك قال[1] :

« وأما إصطلاح الأهالي في عيد الفطر فإنهم إذا صلوا العيد في الحرم الشريف خرجوا بأجمعهم من باب الجبر إلى البقيع الشريف بعد أن يزوروا قبر المصطفى والصاحبين ، ويأخذون بعد خروجهم من الحرم الريحان والجريد الأخضر ، ويدخل كل واحد لزيارة أمواته وأسلافه ومن في البقيع الشريف من الصحابة وآل البيت والزوجات والبنات ، فإذا قضوا منه كانت المعايدة في ذلك اليوم للحكام جميعاً وأصحاب المناصب وللأقارب وذوي الأرحام إلى غروب الشمس . . . . » .

« . . . . وأما عيد الأضحى فأغلب الأهالي يكونوا (؟) في الحج ، فالموجودون يصلون المشهد ويذهبون إلى البقيع ، ثم يعايدون الحكام . . . . » .

وصف للبقيع عام ١٣٠٦ هـ :

زارت إحدى الشخصيات الإسلامية (من إيران) المدينة المنورة عام ١٣٠٦هـ ، ومر بالبقيع فقدم لنا وصفاً نادراً ودقيقاً لها في تلك الفترة ، نذكر

** كذا ورد .

(١) رسائل تاريخ المدينة المنورة ـ حمد الجاسر ـ ص٧٩ .

مقتطفات منه هنا[1] : « . . . . بعد ساعة من النهار عزمت زيارة أئمة البقيع صلوات الله عليهم ، ذهبنا وأنعمنا على الخدّام كالعادة وتشرفنا ، قرأت الزيارة الجامعة نيابة عن الأصدقاء .

رأيت هذا الشعر على لوح معلق وفيه آثر بليغ :

وحط في بابنا ما شئت من ثقل   وكل شيء ترى صعباً يهون بنا

والبقيع هو المكان الواسع والبعض كتب : فيه أشجار أو ٥ أشجار ولهذا السبب سمُّوا مقبرة المدينة ببقيع الغرقد وتتصل بسور المدينة ، والباب الذي يفتح عليه يسمونه باب الأموات وباب الجنائز ، والغرقد بفتح معجمة وسكون الراء مثل مرقد ، شجر من شجر الغضا وهي بالقصر شجر ذو شوك وخشبه من أصلب الخشب وفي فحمه صلابة ويروى ان الصديقة الطّاهرة بعد فراق أبيها كانت تجلس تستفيء بظلها وكانت في البقيع وكان بيتها الأبدي هناك أيضاً .

الخلاصة ان البقيع هي مقبرة العبرة والوحشة وأطرافه بساتين نخل كثيرة وبساتين مترامية تتصل بأُحد من جهة ومن جهة أخرى بقبا ونفر من الأقارب مدفونون في تلك المقبرة ويشير لأعيانهم .

للبقيع بابان ، باب تحاذي بقعة الأئمة المباركة وهي مسدودة غالباً وباب أخرىٰ تطل على مدخل المدينة تعلوها حجارة كبيرة كتب وحفر عليها بخط فارسي جميل تاريخ تعمير تلك البقاع وسائر أطراف المدينة المشرفة وفوق كل بقعة حفروا إسم صاحب البقعة وكتبوا قصيدة طويلة بالتركية على مدخل البقيع ، نكتفي بذكر البيت الأخير الذي يبين سنة عمارة البقيع وإسم السلطان والنّاظم :

يا صاحب الغرة أدم بقاءه   شمخ البقيع على عهده الشاه محمود سنة ١٢٢٣

---

(١) تحفة الحرمين وسعادة الدارين معصوم بن رحمتعلى ـ ص٢٢٥ ـ ٢٣٢ .

تدخل البقيع وعلى اليمين مسجد مسقف كالغرفة كتبوا على مدخله : (هذا مسجد أبي إبن كعب وصلى فيه النبي غير مرة) .

في بقعة أئمة البقيع دفن الإمام الحسن والإمام زين العابدين والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصَّادق صلوات الله عليهم في ضريح واحد . ويروون ان العباس بن عبد المطلب مدفون هناك ، في تلك البقعة وأمام الأئمة إلى جانب الجدار أثار كالعرش وله ستار يقولون ان الصديقة الطَّاهرة (ع) مدفونة هناك ، كما يروون انها مدفونة في البيت الأخر وذلك إحتمال أيضاً .

وكتبت هذه الكلمات على المدخل مع أبيات شعرية بالتركية :

(هذه قبة العباس وأهل البيعة رضي الله عنهم . . هذا قبر عم النَّبي الطاهر ، أنس أهل البيت فانصر يا رب العالمين سيد النَّاس العباس) .

وخارج البقعة دفن بعض علماء الإثنى عشرية المشهورين ومنهم المرحوم الشيخ أبو القاسم شيخ الإسلام فارس دفن في جهة الباب المقابلة لرأس الأئمة والمرحوم الشيخ كان من الأفاضل والعلماء الجليليين .

زرته في شيراز في السنة التي كان يريد فيها التشرف إلى الحج ، بعد التفرغ من أعمال الحج وزيارة رسول الله (ص) بلغ في ذلك المكان الشريف سن الثمانين ونيف سنة .

وسماحة شيخ الإسلام الحالي خلفه الصدق الآن في شيراز ولا لأحد حيث محكمته الشرعية ، كان قد تشرف أيضاً في ذات السنة بزيارة بيت الله في خدمة أبيه الجليل والحق انه كان إنموذجاً في النجابة والإستقامة .

وفي فارس ما كان أحد ينافسه في أملاكه فما كان له طمع في حقوق النَّاس ولم يسمع عنه حتَّى الآن انه إرتشىٰ من أحد .

وفق الله الشيخ محمد طاهر عرب وبعض السَّادة الآخرين في ان لا

يحكموا بغير العدل لأهله .

والآخر هو المرحوم الشيخ أحمد الأحسائي المدفون مقابل البيت الآخر جنب جدار بقعة الحسن (ع) وحول حَجره وضعوا شباكاً من حديد وحفرت على قبره فوق رأسه هذه الكلمات :

(بسم الله الرحمن الرحيم . . لزين الدين أحمد نور فضل تضيء به القلوب المدلهمة ، يريد الحاسدون ليطفؤه ويأبى الله إلاَّ ان يتمه) .

وفي اللوح الموضوع فوق مزاره كتبوا تفاصيل وشعر حوىٰ تاريخه : (قد سئلتُ الفكر عن تاريخه يوماً ، فأنشد فزت بالفردوس فوزاً يا بن زين الدين أحمد) .

بقعة بنات رسول الله (ص) هناك أيضاً وكتبت أسمائهن جميعاً فوق مدخلها . وقبور زوجات النَّبي اللاتي توفين في المدينة لهن بقعة أيضاً .

ويقولون ان قبر عائشة في تلك البقعة أيضاً ، لكن ذلك بعيد جداً لأن وعلى مدخل بقعة إبراهيم إبن النَّبي (ع) اشعار بالتركية ومصرع بالفارسية يقول : (أمير سلطان الرسل إبراهيم) .

ولعقيل بقعة أيضاً وعلى مدخله أبيات بالتركية وأحد هذه الأبيات هو : (قبة عقيل صاحب النباهة والعقل والدهاء) .

وقبتان متصلتان ببعض ، أحداها لمالك بن أنس وينسب المذهب المالكي له والأخرىٰ لنافع وهو قارىء من القراء المشهورين .

في السابق كان جدار البقيع حاجزاً وبعد هذا الترميم أزالوا الجدار وأضافوه إلى البقيع ، وعلى محاذاة قبة عثمان كتب فوق بابه : (هذه قبة حليمة السعدية رضي الله عنها) وكتبوا هذين البيتين الشعريين : (قبر المرضية فخر العالم حليمة صاحب الحرمة ، ذات في الشرف سعدية أول من خدم محمد) .

في إنتهاء البقيع وعلى جهة البساتين زقاقان فاصلان وقبتـان قريبتـان من بعض أحداها مؤخرة وكتب على بابهـا : (هذه قبـة سعيد الخـدري رضي الله عنه) ، وبالتركية حفر بيتين شعريين على حجره ، والقبة المقدمة هي للطاهرة المطهرة فاطمة بنت أسـد وزوجة الأسـد ووالدة أسـد الله الغالب علي إبن أبي طالب (ع) وسميت بذلك لأن الله تعالى فطمها بالعلم من الطمث ، كانت أول إمرأة هاجرت مع رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من ابرّ النَّاس برسول الله وروي أنها لما ماتت ألبسها رسول الله قميصه وإضـطجع في قبرها .

وعلى مدخل البقعة المتبركة حفرت هذه العبارة وأشعار بالتركية : (هذه قبة الوالدة المحترمة لعلي رضي الله عنه) ، و(لتبقى هذه القبة المنيرة ولتخرب يد الأعداء . . .) .

على اليمين وعند الخروج من البقيع بقعة يقولون ان عمات النبي (ص) مدفونات هناك .

وعند الدخول من باب الجنائز وعلى اليسار صحن وقبة بـروح كبيرة هي لإسماعيل إبن الإمام جعفر الصَّادق (ع) .

الهدم الثاني للبقيع

تمهيد تاريخي :

بعد الإنقلاب العسكري الَّذي قام به إبن سعود ضد إبن عجلان في الرياض عام ١٩٠٢م توجه إلى السيطرة على باقي مناطق نجد ثم قام بإحتلال الأحساء ومناطقها (عام ١٩١٣) ثم إستولى على حائل فعُسير والجنوب . . وهنا بدأ في التفكير في الحجاز الَّتي كان يحكمها الأشراف ، وقد كان الشريف حسين يقف إلى جانب إبن الرشيد (حاكم حائل) ضد إبن سعود وحليفه إبن صباح حاكم الكويت . . وقد كان الأخيران يتلقيان المساعدة من الإنجليز ، بينما كان الشريف مع إبن الرشيد مواليان للأتراك(١) .

ولكن بعد إندلاع الحرب الكونية الأولى غير الشريف ولاءه إلى الإنجليز بعد حصوله على وعود مغرية في تأسيس دولة عربية كبرى وأعلن ثورته في ١٩ شعبان (١٣٣٤هـ) (٢ يونيو ١٩١٦م) وبدأ بتصفية النفوذ التركي في الحجاز بعد تلقيه الدعم الهائل من بريطانيا لدرجة أصبح يقدم الدعم لإبن سعود نفسه . . ولكن بريطانيا بدأت في التخلي عن الشريف حسين بعدما أبداه من معارضة لبعض السياسيات البريطانية في البلدان العربية مثل إنشاء وطن قومي

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر الإسلام والوثنية السعودية ـ فهد القحطاني ـ ص١٠٧ .

لليهود في فلسطين ولذلك فقد بدأ الإنجليز في دعم إبن سعود المطيع ضده وأعطوه الإشارة الخضراء لإحتلال الحجاز .

وعندما عزم إبن سعود على غزو الحجاز قام (كعادته وعادة أبنائه من بعده) بتغليف عمله بغلاف ديني فقام بجمع العلماء وطلب منهم فتوى بإمتلاك الحجاز « لأن الشريف منع أهالي نجد من الحج منذ خمس سنوات »[1] وتم عقد مؤتمر في الرياض عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) خرجت بتوصيات تجيز لإبن سعود دخول الحجاز بالقوة .

الدخول السعودي الثاني للحجاز : ـ

حاول إبن سعود السيطرة على الحجاز عدة مرات بحجة كونها كانت تحت سيطرة أجداده في الدولة السعودية الأولى من جهة ، ومن أجل أن لا تكون تحت سيطرة عائلة معينة من جهة أخرى . . وقد وقعت معركة حدودية بين إبن سعود وحكم الأشراف في الحجاز عام ١٩١٩ في منطقة (تربة) ولكن الإنجليز منعوا إبن سعود من الإستمرار في حملاته نظرا لعلاقاتهم الحسنة مع الأشراف . . . « فانصاع لتحذير الحكومة الإنجليزية وأمر قواته بالعودة للرياض خوفاً من الدخول في خصام مع الحكومة الإنجليزية وهو في حاجة إلى مساندتها وخاصة في تلك الفترة » [2] .

وقد حصلت مواجهات أخرى محدودة بينهما لا نراها تستحق الذكر هنا .

وعندما توترت العلاقات بين الأشراف والإنجليز وسمحت بريطانيا لإبن سعود بغزو الحجاز إستصدر الأخير فتوى من علماء الرياض بغزوها ثم حرك قواته بقيادة سلطان بن بجاد زعيم الغطغط نحو الطائف . . في شهر

---

(١) المصدر السابق ـ ص١١٤ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١١٢ .

صفر ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) ودخلها في السابع منه وقام بمجزرة رهيبة قتل فيها عدد كبير من النساء والأطفال الأبرياء وعدد من رجال الدِّين الَّذين كانوا يصطافون في الطائف منهم مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وأبناء الشيخ عبد القادر الشيبي سادن الكعبة الشريفة .

وقد أثارت أنباء هذه المجازر حالة كبيرة من الرعب والفزع في أوساط الحجازيين في مكة الأمر الذي دفع وجهاءها إلى الإجتماع والخروج بقرار يقضي بضرورة تنازل الشريف حسين عن العرش لإبنه علي . . « وبالفعل بويع الأمير علي ملكاً على الحجاز في ٤ أكتوبر سنة ١٩٢٤ (٥ ربيع أول ١٣٤٣هـ) وإضطر الملك حسين الَّذي أُجبر على التنازل عن العرش إلى مغادرة جدة إلى العقبة في ٢٤ أكتوبر من نفس السنة »[١] .

وبالرغم من أن الشريف الجديد علي انتقل إلى جدة وتحصن بها إلاَّ ان قوات إبن سعود واصلت مسيرها نحو مكة حيث دخلتها بدون قتال بقيادة خالد بن لؤي في ١٦ أكتوبر ١٩٢٤م (١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ) .

وقد أرسل الشريف علي يطلب الصلح من إبن سعود وقام بتوسيط كل من أمين الريحاني ومستر فيلبي وغيرهما الا ان إنتصارات إبن سعود قد جعلته يرفض ذلك ويصر على « ضرورة رحيل الحسين وأولاده عن الحجاز ، على أن يجتمع مؤتمر إسلامي بمكة للنظر في مسائل الحجاز وغيره »[٢] .

بعدها إستولت القوات السعودية على القنفذة[٣] ثم على رابغ[٤] . . وفي

---

(١) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ـ الدكتورة مديحة أحمد درويش ص ـ ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق ـ ص١٠٩ .

(٣) تقع جنوب جدة .

(٤) تقع شمال جدة .

جمادى الثانية ١٣٤٣هـ (يناير ١٩٢٥م) حاصرت مدينة جدة وبعدها المدينة المنورة ولم تسقط جدة بمغادرة الشريف علي لها في ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥م . . بينما سقطت المدينة المنورة في يد الجيش السعودي في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ (٥ ديسمبر ١٩٢٥) بعد حصار طويل عانى منه الأهالي كثيراً ، ويصف الرحالة المستر رتز حالة الأهالي بقوله[١] :

« كانت النتيجة التي أدى إليها الحصار الكريه هذا ان قل عدد السكان فيها إلى ستة آلاف نسمة فقط ، مع ان هؤلاء السكان كان عددهم قد وصل إلى سبعين أو ثمانين ألف نسمة من قبل » . . ثم يأخذ الرحالة رتز بوصف الشوارع والأزقة الفارغة والبيوت المتهدمة ، ويخرج من ذلك إلى وصف محطة القطار المهملة في نهاية المدينة الغربية بالقرب من باب العنبرية .

ويضيف : « ان كثيراً من طلبة العلوم الدينية الَّذين كانوا يقيمون في المدينة سابقاً فروا هاربين إلى بلاد آمنة مع شيوخهم ، لكن قليلاً منهم ظلوا مقيمين فيها خلال مدة الحصار الوهابي . وها هم يدرسون الآن على إبن تركي في الحرم الشريف » وإبن تركي هذا نجدي سلفي معتدل لا يمكن أن يسمى وهابيا لأنه على ما يقول رتز لا يعتقد بجميع تعاليم إبن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب .

« ومن علماء المدينة الآخرين الذين يذكرهم رتز أحمد الطنطاوي المصري الذي امتنع عن التدريس في الحرم منذ قدوم الوهابيين إلى المدينة ، وأخذ طلبته يراجعونه في بيته » .

ويقول جون فيلبي عن حصار المدينة[٢] :

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ـ الجزء الثالث ـ ص٣٢٥ ـ ويقصد الكاتب رتز وليس رتر .
(٢) موسوعة العتبات المقدسة ـ الجزء الثالث ـ ص٣٣٦ .

« ان إبن سعود بعث برسله إلى المدينة طالباً إستسلامها في الحال ، هي وحاميتها وما فيها من أسلحة وعتاد وعدد لاسلكية وسائر الذخائر العسكرية ، إلى قائده في الميدان صالح العاذل من شمر ، الَّذي كان قد وصل مع قوة من البدو إلى الحناكية . وبهذه الشروط وعدت مدينة الرسول بضمان سلامتها وعدم التعرض لها بشيء ، بينما طلب إلى قبائل حرب المحيطة بها بأن تفعل الشيء نفسه لتتجنب مغبة العناد » .

ردود الفعل الإسلامية الاحتياطية قبل الهدم:

انتشرت أخبار المجازر السعودية في الحجاز وهدم الآثار الإسلامية في أوساط المسلمين بسرعة كبيرة عكست مدى التعاطف مع هذه المنطقة ومقدساتها . . فالسمعة التي تركتها ممارسات الجيوش السعودية في المناطق الأخرى للجزيرة كانت سيئة إلى درجة بعثت موجة من الخوف والتساؤل في العالم الإسلامي مما يمكن ان تفعله في الأراضي المقدسة . . .

وكان ممن أبدى تحركاً سريعاً حتى قبل إحتلال جدة والمدينة المنورة هي جمعية الخلافة الهندية التي أرسلت وفداً إلى الحجاز للإطلاع على الوضع عن كثب ومتابعة التطورات الدراماتيكية الحاصلة فيه .

وقد كان ممن تحرك لذلك مسلمو الهند (قبل انفصال الباكستان عنها) ممثلة في حركة الخلافة (جمعية الخلافة) والتي كان يرأس وفدها إلى الحجاز كل من :

١ ـ سيد سليمان الندوي .

٢ ـ مولانا محمد عرفان .

٣ ـ مولانا ظفر علي خان .

٤ ـ سيد خورشيد حسن .

٥ ـ مولانا عبد الماجد .

٦ ـ شعيب قريشي[١] .

بينما كان يرأس الجمعية في الهند شوكت علي .

وقد قاموا بإرسال تقرير إلى المسلمين الهنود لإطلاعهم على الوضع في الحجاز ، وجاء في التقرير الذي كتب باللغة الأردية :

« أبلغنا من مصادر موثوقة ، ان الوهابيين بدأوا بالهجوم على المدينة المنورة ، وقد ألحقت أضرار بقبة الرسول (ص) بينما أزيل مسجد سيدنا حمزة (ع)[٢] .

كما جاء في الصفحة ٣٣ من تقرير اللجنة[٣] :

« في مكة دمرت قباب مقبرة المعلا ، وأزيل البيت الذي ولد فيه الرسول الأكرم (ص) نهائياً ، وتؤكد الحكومة النجدية لنا أنه لن يحدث ذات الشيء في المدينة » .

وقد أجرى مندوبوا جمعية الخلافة إتصالات مع الحكومة الحجازية (التابعة للشريف علي قبل سقوط المدينة المنورة وجدة في أيدى السعوديين) يطلبون فيها التوسط بينهم وبين إبن سعود من أجل إنهاء حالة الحرب حيث جرت مراسلات بين الجمعية والحكومة الحجازية قامت وزارة خارجية الأخيرة فيما بعد بنشرها في الجريدة الرسمية ثم جمعتها في كتاب طبعته تحت عنوان « مهمة الوفد الهندي في الحجاز ـ مخابرات رسمية من يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٣ (٢ يناير ١٩٢٥) إلى ٤ رجب ١٣٤٣ (٣٠ يناير ١٩٢٥) »

وجاء في مقدمة الكتاب[٤] :

---

(١) Sixth World Seminar [The Future of The Haramain (Makkah & Medina; The Muslim Institute, London, Jan 6,7,8 and 9, 1988. P 6.

(٢) Ibid- P.6. From the Report of Khilofut Committee - P.30.

(٣) Ibid- P.7.

(٤) مهمة الوفد الهندي في الحجاز .

« أما بعد فقد وصل إلى جدة صباح يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣ (٢يناير سنة ١٩٢٥) على الباخرة (جهانكير) كل من حضرات الأفاضل المحترمين السيد سليمان الندوي والأُستاذ عبد القادر القصوري والأُستاذ عبد الماجد القادري موفدين من قبل جمعية الخلافة بالهند ، للتوسط في إصلاح ذات البين ، والتعاون على ما فيه خير الحرمين الشريفين ، فرحبنا بهم كما يليق بفضلهم وشرف غايتهم، وشكرنا لهم حسن مساعيهم . وعلى أثر ذلك دارت بيننا وبينهم مخابرات رسمية قيمة ، يهمنا ـ لما لها من الأهمية التاريخية في حوادث الأراضي المقدسة ومبادىء المملكة الحجازية ـ أن نقدمها كما هي بنصوصها بين يدي العالم الإسلامي في الأرض طراً ، ليكون على علمٍ بها ، ووقوف تام على حقيقة ما جرى » .

وقد إحتوت هذه المراسلات على إستفسارات ومطالب من قبل جمعية الخلافة حول عدة أُمور نوجزها بالتالي : ـ

ـ حقيقة إستقلال الحجاز التام وعدم إرتباطه بمعاهدات مع دول أجنبية .

ـ تأسيس حكومة دستورية منتخبة من قبل الشعب .

ـ عقد مؤتمر إسلامي لمناقشة مستقبل الحجاز .

ـ التوسط في الحرب الدائرة بين الحكومتين الحجازية والنجدية .

ـ تشكيل إتحاد عام بين البلدان الإسلامية .

ـ ان لا يكون للشريف حسين (المعزول) علاقة بحكومة الحجاز .

وقد تلخصت أجوبة الحكومة الحجازية على المراسلات بالتالي : ـ

ـ ان الحجاز هو مستقل الآن بالفعل .

ـ وان هناك حكومة دستورية وقانونية وانه سيتم إنتخاب نواب من قبل

الشعب حالما تنتهي حالة الحرب . .

ـ محاولة التملص من عقد مؤتمر إسلامي لمناقشة مستقبل الحجاز .

ـ انه ليس للحكومة الحالية أي إرتباط بالشريف حسين وانها منضوية تحت لواء الملك علي . .

ـ ان الحكومة الحجازية موافقة على إقامة إتحاد للبلدان العربية . .

وقد أرسل الوفد أثناء وجوده في جدة رسالة إلى إبن سعود جاء فيها[1] :

« . . . . فأذنوا لنا بالتمثل بين يدي عظمتكم وعرض ما عندنا للأُمور الصالحة للأمة العربية على مسامعكم الشريفة . وعلى كون الطريق بين جدة ومكة محفوفاً بالخطر شرفونا بالإحاطة علماً بهذه الأُمور لنكون على بصيرة من أمرنا :

(١) المعاهدة البريطانية النجدية الواقعة في سنة ١٩١٦ التي ينسب إلى سلطنة نجد إبرامها مع الحكومة البريطانية والتي هي قاضية على إستقلال الحكومة النجدية وما يدخل في حوزتها من البلاد بعد ، وهي نشرت بنصها في الجرائد العربية ، أهي صحيحة أم مزورة أم حصل فيها تحريف ما من الخصوم ؟

(٢) هل أعطت الحكومة النجدية إحدى الشركات الأجنبية إمتيازاً ما في داخل بلادها ؟

(٣) أيصح ما جرى على الألسنة من هدم البنايات والقبب والقبور التي لا ينبغي هدمها مصلحة وسياسة عند عامة النَّاس عند أكثر المسلمين والآن يلزم للجنود النجدية فيه التحذير التام .

---

(١) مهمة الوفد الهندي في الحجاز ـ ص١٩ ـ ٢٠ .

(٤) وهل لنا ان نتوسط بين الفريقين المتحاربين ، أي بين عظمتكم وجلالة الملك علي بإسم جمعية الخلافة على مبادىء تفيد الإسلام والعرب ولا تمس بإستقلال الحجاز وحرية الشعب الحجازي ؟

(٥) وهل توافق الحكومة النجدية على هذه القرارات التي اقرتها جمعية الخلافة وبعث بها إلى حكومتي نجد والحجاز ؟

ونرجوكم عدم تأخير النجاب .

الإمضاء
السيد سليمان الندوي
رئيس الوفد الهندي
إلى البلاد الحجازية والنجدية

وقد أجاب إبن سعود على هذه الرسالة بمثلها في ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ ، لم يجب فيها على الإستفسارات بل أكتفى بالقول[١] : « إنَّا لقدومكم لمنتظرون . أما ما كتبتموه عن الأسئلة فلا نحب الإطالة من الكتابة ما دمتم قادمين إلينا حيث اننا نحب أن تروا وتطلعوا بأنفسكم على كل شيء . ولا نقول فيما يتقوله علينا خصومنا إلاَّ ما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾[١] .

وقد طلب الوفد في رسالة له إلى وزير الخارجية الحجازية السماح له بالسفر إلىٰ مكة المكرمة لمقابلة إبن سعود[٢] ، ولكن الحكومة الحجازية سعت إلى ثني الوفد عن مهمته بمختلف الوسائل وأرسلت إليهم نواباً من مجلس

(١) المصدر السابق ـ ص٢١ .
(٢) انظر الرسالة في المصدر ـ ص٢٣ .

الوزراء ليقنعوهم بعدم جدوائية ذلك[1] ، ولذلك أبرق الوفد الهندي إلى رئاسة الجمعية في بومباي : « الطريق إلى مكة مقفلة بسبب الحرب . وصلنا جواب إبن سعود يدعونا للمفاوضة ولكن لا يرخص لنا بالذهاب حتى نعترف نحن وإبن سعود خلال المفاوضة على يد الحكومة المحلية بالكتابة ! ان الشريف علي الملك الشرعي للحجاز . أبرقوا إلينا بالتعليمات »[2] فجاء الجواب بالتوقف عن المفاوضات ، فقام الوفد بإرسال مكتوب إلى رئيس الوزارة الحجازية يرفض فيها شروطه للذهاب إلى مكة وغادر الوفد الحجاز بعد أيام . .

وقد يتساءل البعض عن السر في إصرار الوفد الهندي على لقاء إبن سعود أو لحقيقة ان ذلك راجع بالدرجة الأساس إلى الدعوة التي أطلقها إبن سعود لعقد مؤتمر إسلامي عام سيعقد في مكة ودعوته إلى جعل الأمر في الحجاز شورى بين المسلمين[3] ، الأمر الَّذي جعل الجمعية تحسن الظَّن بإبن سعود إلى حدٍ كبيرٍ .

---

(١) انظر رسالة الحكومة في الحجازية إلى الوفد الهندي ورد الأخير عليها في الصفحات ٢٤ ـ ٣٠ .

(٢) المصدر ـ ص٣١ .

(٣) سيرد تفصيل ذلك في الصفحات التالية .

جهود جمعية خدام الحرمين الشريفين

أغدق عبد العزيز على بعض رجال حركة الخلافة الأموال وأحاطهم بعناية فائقة[1] مما جعل بعضهم ينشرون أنباءً لصالح إبن سعود تتنافى مع حقيقة ما حصل في الحجاز .

وقد ورد في الكتاب الذي أصدرته بعد ذلك جمعية خدام الحرمين الشريفيين الهندية[2] :

« . . . . ولكن ظهر ان إبن سعود لم يرتبط بعهوده وبعد أن كان قصده اخراج الحسين وآله وتحرير الحجاز ، وجعله وديعة في يد المسلمين يقرر مصيره مؤتمر إسلامي ويضمن الحجاز للحجازيين عاد فنكل عن الوعود ونسي ما عاهد الله عليه وجاءت الأخبار أيضاً بإقتراف جيوشه المغارم والمظالم والقتل والسلب وهدم المآثر الغراء وسلب الحرية الشخصية والحرية الإعتقادية وكذلك تجلت حقيقة اتحاده مع بريطانيا لا كأمر مضى بل هو موجود ثم رجع الحجاج الهنود وأيدوا صدق هذه الأخبار وكانوا يظنونها دعاية يراد بها التنفير فحسب فوقع الإختلاف بين رجال جميعة الخلافة وظهر ان فيهم أشخاصاً وهابيين فأبى عدد كبير أن ينصر رجلاً متحداً مع الإنجليز وهادماً للمآثر الجليلية والمساجد التي يذكر فيها إسم الله وهاتكاً لحرمة النساء حيث قتل منهم عدد كبير وسالت دماء

---

(١) معجزة فوق الرمال ـ احمد عسة ـ ص٩٦ .

(٢) صور المفاوضات الخطية المتبادلة بين وفد جميعة خدام الحرمين الشريفين الهندية وبين عظمة سلطان نجد في غضون يناير ـ فبراير سنة ١٩٢٦ ـ ص ج . .

الأبرياء فقال الهنود ان الرجل الَّذي يرتكب هذه المظالم لا يعول على وعوده وان الرَّجل الَّذي تحت حماية بريطانيا لا ينبغي أن يكون حاكماً على الحجاز » .

وقد دفع هذا الوضع المسلمين الهنود إلى عقد مؤتمر إسـلامي كبير لهم في لكهنو برئاسة مولانا عبد الباري حيث انتخب المؤتمر وفداً لتقصي الحقائق في الحجاز ، وقد وافت المنية مولانا عبد الباري فتم إنتخاب السيد حبيب مدير جريدة سياسة لاهور كرئيس للوفد ، ومولانا الحاج أحمد مختار صديقي رئيس جمعية العلماء في بمبي كعضو ، وميان عبـد العزيـز من تجار لاهـور كعضو ، ومولانا فضل الله خان مدير جريدة رسالت كعضو وسكرتير[1] .

وقد أبرقت الجمعية لإبن سعود تخبـره بعزمهـا على التوجـه إلى الحجاز وذلك على متن الباخرة المسماة جهانكير في ٣٠ ديسمبر ١٩٢٥ ، ووصلت جدة في ٢٢ يناير ١٩٢٦ حيث إستقبلهم القائمقام في الميناء ثم إستقبلهم إبن سعود في المساء حيث بالغ في الحفاوة بهم وقال لهم : « إني قد جئت جدة لأجلكم ووعد أن يطلع الوفد على الوثائق التي تؤيـد إستقلالـه فطلب الـوفد أن تكـون المفاوضات خطية لكي لا يحصل تحريف فقبل عظمته » . . و « وأراد السلطان ان ينزل الوفـد في ضيافتـه فتمنع الـوفد إستبقـاء على حريـة رأيه وحيـاده وألح السلطان إلحاحاً غريباً بالنزول في دار الضيافة وقال أن الإمتناع يعـرقل أعمـال الوفد فلم يسع الوفد بعد هذا الإلحاح غير القبول »[2] .

وقد كانت أهداف الوفد من السفر هي :

١ ـ تحقيق الأخبار المذاعة عن الوهابيين من القتل والنهب وتدمير الآثار والمقابر الإسلامية .

٢ ـ معرفة رأي أهل الحجاز .

٣ ـ تحقيق علاقة إبن سعود ببريطانيا .

---

(١) المصدر السابق ـ ص ج و د .

(٢) المصدر السابق ـ ص د .

٤ ـ عرض مطالب معينة لإصلاح الأوضاع في الحجاز .

رسالة وفد الجمعية إلى إبن سعود :

كما إتفق عليه في البداية فقد بدأت المراسلات الخطية بين الجانبين حيث قام الوفد في البداية بإرسال رسالة إستيضاحية مفصلة إلى إبن سعود في ١٢ رجب ١٣٤٤هـ (أي قبل أقل من ثلاثة أشهر من حادثة هدم البقيع) نورد نصها نظراً لأهمية ما ورد فيها ولمعرفة مدى تفاعل المسلمين مع ما كان يجري في الحجاز آنذاك . نص الرسالة[١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

إلى جناب صاحب العظمة السلطانية سلطان نجد وما والاها أدام الله سعده .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فأول ما يجب علينا أن نشكر عظمتكم على ما غمرتمونا به من العواطف السنية والمكارم السلطانية من تعيينكم حضرة الشَّيخ علي سلامه رئيس البلدية لإستقبالنا في هذه الديار الغربية والسؤال عن شؤوننا فيما نحتاج من الضروريات اللازمة ثم من مزيد الإنعامات بما جعلتم لنا من التسهيلات في سفرنا إلى مكة المكرمة لفك الإحرام هناك ويعجبنا أن نفتخر بحظنا الوافر من زيارة حضرة الأمير فيصل نجلكم الكريم والحمد لله صرنا ممنونين من سموه العالي والحق أننا عاجزون عن التشكرات والثناء على ما أبدى عظمتكم وخدامكم السلطانية من حسن المداراة والمعاملة معنا في جدة ومكة المشرفة .

إن أول شرف وعزة حصل لنا في سفرنا هذا بعد نزولنا من الباخرة هو زيارة عظمتكم والتكلم مع جلالتكم ونحن مبتهجون غاية الإبتهاج لما وعدتم من إظهار حقائق الأُمور المشتبهة وإجابة ما نسأل في المستقبل خصوصاً لقبولكم

(١) صور المفاوضات الخطية المتبادلة . . .

معروضنا ان تكون أجوبة أسئلتنا في صورة الكتابة حتّى لا يبقى ريب للمرتابين وشك للشاكين وتظهر الحقيقة في أجلى مظاهرها ونحن نشكر في هذا لعظمتكم عنا إصالة وعن عموم مسلمي الهند نيابة .

ولا يخفى على عظمتكم أن الأخبار المتضادة والروايات المتشابهة لشؤون الحجاز لما وصلت إلى الهند هيجتهم تهيجاً عظيماً وتأثروا تأثراً ظاهراً وباطناً فما رأوا بدا إلاّ أن يرسلوا وفداً منهم إلى الحجاز المقدس الّذي هو مهبط الوحي ومركز الإسلام ليحقق الأُمور ويخبرهم عما يرى بعينه فهم عينونا لهذه الفريضة الإسلامية والآن لما تفضل الله عليكم بأن تكونوا صاحب السيطرة والحكم على الحجاز فالحق أن يسألكم المسلمون عن شؤون الحجاز وأحوالها فلهذا نعرض على عظمتكم الأسئلة المهمة التي أقلقت العالم الإسلامي عموماً والعالم الهندي خصوصاً وبعد معرفتنا الأجوبة يرتفع سوء التفاهم بين المسلمين ونكون الواسطة لإظهار الحقائق أمام جمهور العالم .

إنا نرى هذا من واجباتنا أن نظهر أيضاً أن مسلمي الهند وان كانوا تحت سيطرة القوة الأجنبية ولكن هم متقلدون بقلادة الإسلام فهم يرون من حقوقهم المذهبية أن يفتشوا أو يحققوا عن شؤون الحجاز وينظروا إلى حركات حاكمه فإن وجدوه على الحق والعدل عاونوه على حسب إستطاعتهم وان وجدوه على الباطل والظلم خالفوه بكل صراحة وقوة وبعد هذا أملهم مع الله وهو مالك الأُمور ومقلب الأحوال والأسئلة الموجهة لعظمتكم ها هي :

١ ـ خبرونا عن الحالات الصحيحة بما وقع في الطايف من القتل والفتك والنهب .

٢ ـ هل أهل الطايف فتحوا أبواب البلدة على وعد الأمن لأنفسهم وأموالهم .

٣ ـ كيف إبتدأ القتل العمومي ومن إبتدأ فيه .

٤ ـ بينوا لنا عدد السادات والعلماء والأطفال والنساء الَّذين قتلوا في الطايف .

٥ ـ هل صحيح بأن بعض الهاجمين إرتكب الفواحش مع بعض نساء الطايف .

٦ ـ هل نهبت أموال النَّاس .

٧ ـ أصحيح بأن المفتشين لما فتشوا النَّاس جعلوا النساء عرايا وفتشوا أجسادهم .

٨ ـ هل البقية الباقية من أهل الطايف حبسوا ثلاثة أيام في بستان علي باشا المسمى شبره .

٩ ـ هل أُعطيت لهؤلاء البؤساء (عدة دقيق) لمئة نفس .

١٠ ـ هل مثل بأجساد القتلى وجعلوهم عرايا .

١١ ـ هل جرت الحمير أَجساد الشهداء لدفنها .

١٢ ـ هل أمر عظمة السلطان أَو نائبه أو أحد من أمرائه بهذا القتل العمومي .

١٣ ـ هل يستكره عظمة السلطان هذه الحادثة الفاجئة ويستقبحها .

١٤ ـ إن يكن يستقبحها عظمة السلطان فهل جازى المجرمين بعقوبة ما .

١٥ ـ هل أُعطيت دية لورثاء المقتولين أو مال جبراً لخاطرهم .

١٦ ـ إن لم تكن الحكومة الموجودة اعطت إلى الآن شيئاً ما فهل هي تعطي في المستقبل .

١٧ ـ هل عساكر السلطان هدموا مساجد الله .

١٨ ـ ما أسماء المساجد التي هدموها العساكر .

١٩ ـ كم من المساجد المنهدمة بنوها وكم منها باق بناؤه وكم منها في حالة البناء .

٢٠ ـ متى يتم بناء هذه المساجد كلها .

٢١ ـ لم هدموا هذه المساجد .

٢٢ ـ ما رأي عظمة السلطان في الَّذين يخربون مساجد الله .

٢٣ ـ هل عوقب النَّاس الَّذين خربوا مساجد الله وإرتكبوا هذا الذنب العظيم الَّذي تمنع عنه الآيات القرآنية .

٢٤ ـ ما هي التدابير التي جعلت لحفظ المساجد في المستقبل عن الهدم والتخريب وما هي الضمانات التي يعرضها عظمة السلطان على العالم الإسلامي لحفظ هذه المساجد .

٢٥ ـ هل إنهدمت المآثر الإسلامية .

٢٦ ـ من يكون المسؤول عنه أمام العالم الإسلامي لهذا الهدم والتخريب .

٢٧ ـ كم من المآثر المنهدمة بنوها وكم منها باق بناؤها وكم منها في حالة البناء .

٢٨ ـ متى يتم بناء المآثر كلها .

٢٩ ـ لماذا هدموا هذه المآثر وخصوصاً مآثر مكة المكرمة فإن دخول العساكر كان هناك بالأمن والسلم .

٣٠ ـ ما إعتقاد عظمة السلطان في ما يتعلق بهذه المآثر ؟

٣١ ـ هل يعلم حضرة السلطان ان أكثرية المسلمين يريدون بقاء هذه المآثر .

٣٢ ـ ما هي الضمانات التي يعرضها عظمة السلطان لحفظ هذه المآثر في المستقبل .

٣٣ ـ فضلا اعطونا فهرست المآثر المنهدمة .

٣٤ ـ لماذا خربوا مولد النَّبي (ص) ومولد سيدتنا فاطمة رضي الله عنها وما حالهما الآن .

٣٥ ـ كم من مزارات إنهدمت .

٣٦ ـ إخبرونا عن أسماء المزارات التي إنهدمت .

٣٧ ـ من أمر بهدم هذه المزارات ولماذا هدموها .

٣٨ ـ ما إعتقاد عظمة السلطان في هذه المزارات .

٣٩ ـ هل إبتدأَت الحكومة في بنائها .

٤٠ ـ إن إبتدأت فكم منها بنيت وكم منها باقية وكم منها في حال البناء .

٤١ ـ هل يعلم عظمة السلطان أن أكثرية المسلمين يريدون بقاء المزارات .

٤٢ ـ هل خربوا مزار أمنا خديجة الكبرى وبعد تخريبها أساؤا الأدب في شأنها .

٤٣ ـ ما هي الضمانات التي يعرضها عظمة السلطان على العالم الإسلامي لحفظ هذه المزارات .

٤٤ ـ هل إنهدمت القبب .

٤٥ ـ من أمر بهدم هذه القبب .

٤٦ ـ ما إعتقاد عظمة السلطان .

٤٧ ـ لو تسلم حرمة بناء القبب فما الدليل لجواز هدمها .

٤٨ ـ هل إنهدمت قبة عبدالله بن العباس بن عم رسول الله (ص) في الطايف .

٤٩ ـ هل إبتدأت الحكومة في بناء هذه القبب .

٥٠ ـ إن إبتدأت في بنائها فكم منها بنت وكم منها باقية وكم منها في حال البناء .

٥١ ـ هل يعلم عظمة السلطان ان أكثرية المسلمين تريد إبقاء هذه القبب .

٥٢ ـ فما هي الضمانات التي يعرضها على العالم الإسلامي لحفظها .

٥٣ ـ هل إنهدم مسجد سيدنا حمزة ومزاره .

٥٤ ـ ما حالهما الآن .

٥٥ ـ هل أطلقت الرصاصات على قبر النَّبي (ص) .

٦٦ ـ من رمى هذه الرصاصات .

٥٧ ـ كم من ضربات الرصاص على قبة النَّبي (ص) .

٥٨ ـ ما إعتقاد عظمة السلطان في قبة النَّبي عليه الصلاة والتسليم .

٥٩ ـ تفضلا إرسلوا لنا فهرست القبب المنهدمة .

٦٠ ـ هل كانت قاعة الترحيم والتسليم جارية قبل مجيء السلطان إلى الحرم المكي والمدني وهل منعتها الحكومة الجديدة .

٦١ ـ هل شرب الدخان والسجاير ممنوع في مكة المكرمة وبأي دليل منع .

٦٢ ـ كم يدخل في خزينة السلطان من الضريبة على التنباك والدخان .

٦٣ ـ هل يسلم عظمة السلطان بالحرية المذهبية في الحجاز للمسلمين كلهم .

٦٤ ـ إن يكن يسلم بهذه الحرية فلأي سبب وطأ الإخوان كتاب دلائل الخيرات في شوارع مكة .

٦٥ ـ هل يعلم عظمة السلطان أن أكثرية المسلمين تعتقد في حياة النَّبي (ص) .

٦٦ ـ لو هو يعلم هذا فلما منع عن قول يا رسول الله .

٦٧ ـ ما هي الضمانات التي يعرضها عظمة السلطان على العالم الإسلامي لأجل الحرية المذهبية في الحجاز .

٦٨ ـ هل هذا صحيح بأن بعض الإخوان ينادون غيرهم بلفظ يا مشرك ويا كافر .

٦٩ ـ لو هذا صحيح فما التدابير لمنع هذا .

٧٠ ـ هل عظمة السلطان يرضى على أن نعلن في البلاد الحجازية إعلاناً رسمياً يعطي فيه الحرية المذهبية لكل مسلم ويمنع ان يخاطب أحد الثاني بالكافر والمشرك وأيضاً يعطي الإجازة للتسليم والترحيم كما كان في السابق .

٧١ ـ هل أحد من الحجازيين محبوس لأجل الشبهة .

٧٢ ـ هل بعض من الحجازيين الَّذين هم مقيمون في خارج البلاد يخافون من الرجوع إلى بلادهم لأجل الخوف من السلطان .

٧٣ ـ كم من أسلحة قبض السلطان بعد إختتام هذه الحرب .

٧٤ ـ هل هذه الأسلحة كلها موجودة في الحجاز أو أُرسل بعضها إلى الخارج .

٧٥ ـ كم من مكاتب كانت جارية قبل مجيء عظمة السلطان .

٧٦ ـ الآن كم منها جارية وكم منها مقفلة .

٧٧ ـ هل يعلم عظمة السلطان أن المسلمين يرتابون فيه انه سلم بالسيادة البريطانية على نفسه وعلى بلاده .

٧٨ ـ هل عظمة السلطان يكذب هذا القول وينكر سيادة بريطانيا .

٧٩ ـ هل عظمة السلطان راضي ان ينشر نقل المعاهدة النجدية البريطانية الَّتي تتعلق بشؤون نجد وشؤون الحجاز حتَّى تطمأن قلوب المسلمين .

٨٠ ـ يريد نقل المعاهدة سنة ١٩١٦ وسنة ١٩٢٢ والمعاهدة المشهورة بمعاهدة بحرة وجدة .

٨١ ـ كيف قبضت بريطانيا على العقبة ومعان .

٨٢ ـ ما المسؤولية لعظمة السلطان في هذه المسأَلة .

٨٣ ـ هل احتج السلطان على بريطانيا لقبضها على هذه الأمكنة فإن أحتج فنريد صورة إحتجاجه .

٨٤ ـ هل ما اعلن عظمة السلطان أَن هجومه على الحجاز كان لإخراج الحسين وعائلته ولما هم يخرجون منه يترك عظمته الحجاز للحجازيين .

٨٥ ـ الآن فان عظمته على مقصده فما يريد بمتعلق مصير الحجاز .

٨٦ ـ أصحيح ان الحجاز الحق بنجد ولو صح فكيف يطابق هذا العمل

بذاك الإعلان الرسمي .

٨٧ ـ هل يريد عظمة السلطان أن يعطي الإستقلال للحجاز وما هي التدابير التي أخذها في هذا السبيل وبعد كم مدة يترك الحجاز للحجازيين .

٨٨ ـ ما هي التدابير التي أخذت لعقد المؤتمر الإسلامي .

٨٩ ـ متى أرسلت الدعوات لهذا المؤتمر وفضلا أعطونا نقولها .

١٢ رجب سنة ١٣٤٤

ومن الواضح من صيغة هذه الرسالة الصراحة التي تميزت بها والثقة المفعمة في حق المسلمين في جميع أنحاء العالم في التساؤل بقوة عن مصير منطقة الحجاز وسكانها والآثار الإسلامية فيها ، ولكن العجب هو في الرد الَّذي وجهه إبن سعود إلى أعضاء الجمعية التي كانت تمثل جانباً من ضمير الأمة المندهشة من الإجراءات السعودية ضد مقدسات المسلمين ، وذلك على لسان رئيس ديوانه آنذاك عبدالله السليمان الحمدان في ١٤ رجب ١٣٤٤هـ ، حاول فيها التملص من الإجابات الصريحة على تساؤلات الوفد مكتفياً بطرح العموميات[١] .

وقد قام أعضاء الوفد بالرد على هذه الرسالة برسالة مبدين إستغرابهم فيها من الإختصار المخل الوارد في الرسالة .

« نحن محاسيبكم ولو أننا ممنونون ومتشكرون لإسراعكم في الجواب لكن متأسفون على أن أجوبة الأسئلة كانت مختصرة ومجملة بصورة مبهمة غير شافية للغليل ويظهر لنا أن الأصل والمرجع الَّذي كان تم بيننا وبين عظمتكم في اليوم الأول ترك في هذه الأجوبة . كان غرضنا في ذلك اليوم أن الأخبار

(١) انظر نص الإجابة السعودية على رسالة الوفد في الملحق الأول .

المشتبهة والأنباء المتواردة هيجت مسلمي الهند فأرسلونا لنسأل عظمتكم عن الوقائع الماضية والموجودة ونحصل على الأجوبة الصحيحة منكم »[1] .

وتسأءل الوفد في الرسالة (الَّتي أرسلت في ٣ فبراير ١٩٢٦) عن أجوبة أكثر تفصيلية لأسألتهم في الرسالة السابقة حول حوادث الطائف ومساجد الكوثر والجن وحمزة (ع) التي هدمها الجيش السعودي وعن المآثر والمزارات والقبب الإسلامية التي هدمت ، وعن الحرية المذهبية وعن العلاقة مع الدول الخارجية وعن مصير الحجاز ككل وعن المؤتمر الإسلامي المزمع عقده[2] .

ولم يرد جواب سريع على هذه الرسالة فأرسل الوفد رسالة أخرى في ٩ فبراير يطلبون الجواب وفيها تساؤل عن ضرب جماعة الأخوان لسائق سيارة إبن سعود بسبب تدخينه سيجارة «حتى قرب أن يموت والأخبار تشابهت علينا فقيل مات من ألم الضرب » فرد إبن سعود برسالة قصيرة مجملة على تساؤلاتهم ونفى أن يكون الرجل قد ضرب بسبب ذلك . . وطلب ان تحدث مناظرة بين علماءَ المسلمين لتبين الحقيقة في هدم القبور . . فرد الوفد (في ١٣ فبراير ١٩٢٦) إستعداده للمناظرة وطلب تعيين عالم من نجد للمناظرة وطلبوا الإطلاع على المعاهدات المعقودة بين إبن سعود وبريطانيا عامي ١٩١٦ و١٩٢٢م . .

وقد طلب الشيخ حافظ وهبة مستشار إبن سعود من الوفد بعد ذلك (وبعد أن توترت العلاقات بين الجانبين وتبين عدم إمكان إستمالة الوفد إلى جانب إبن سعود) طلب منه إيضاح مطالبه من إبن سعود فأرسل الوفد رسالة مفصلة توضح فيها المطالب ومماجاء فيها[3] :

---

(١) المصدر ـ ص١٩ .
(٢) انظر نص الرسالة في الملحق الثاني .
(٣) المصدر السابق ـ ص٣٣ .

« ان تعمر ديار منكوبي الطائف وتفتح إكتتاب لمعاونة سكان المدينة المنورة والطائف يشترك فيه عظمة السلطان وعائلته وأعضاء حكومته ويعلن إعلاناً رسمياً بعودة الغرباء إلى أوطانهم ويهيأ طعامهم وسكناهم من هذا المال وأن يكون هذا العمل تحت مراقبة هيئة يشترك فيها مندوبان من الوفد . ان يكتب بيان بالمساجد والمآثر والمقابر والقبب المهدمة وان تبنى هذه الأشياء مرة ثانية وان يبتدىء في العمل حالاً ويكمل بناؤها في سنة واحدة وان يعمر من المساجد أولاً مسجد الجن ومسجد الكوثر ومسجد أبي القبيس ومسجد جبل النور ومسجد الكبش وان يبنى ويصلح من المآثر دار خديجة الكبرى رضي الله عنها ومولد النَّبي (ص) ومولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن المزارات مزار أمنا خديجة الكبرى ومزار آمنة ومزار الهواشم وقبة عبدالله بن العباس (في الطائف) وقبة النَّبي (ص) ومزار سيدنا حمزة رضي الله عنه (في المدينة المنورة) وان تفتح حالاً للزوار ، وباب دار الأرقم وباب مولد سيدنا علي كرم الله وجهه وباب مزار أمنا حوا(ع) » .

وفي جانب آخر من الرسالة جاء :

« ان تكون للناس الحرية التامة في زيارة المآثر والمزارات وقراءة الفاتحة عليها والاذكار والأدعية في الحرم » .

وطلب الوفد من إبن سعود أن يسمح ببقاء نائبين من جمعية خدام الحرمين في الحجاز لمراقبة تنفيذ هذه المطالب .

وقد أغضبت هذه الرسالة والرسائل السابقة إبن سعود كثيراً فألمح إلى إبنه ونائبه فيصل بطرد أعضاء الوفد من الحجاز فقام الأخير بتوجيه الرسالة التالية إلى أعضاء الوفد [١] :

(١) المصدر السابق ـ ص٣٣ .

« حضرة الفاضل المحترم السيد حبيب .

بعد التحية أتشرف ان أخبركم بأن الحكومة الحاضرة قد أوسعت صدرها لكل ما أبديتم من الآراء والأفكار سواء كانت مخالفة لخطتها أو موافقة لها إحتراماً للحرية الشخصية وحملاً لكم على حسن النية ولكن تلك الحرية المطلقة إنقلبت إلى فتن ودسائس تعمل ضد النِّظام العام فالحكومة بما لها من الحق المطلق في حفظ النظام وبما وقفت عليه من سعيكم إلى الشغب وإلى حمل النَّاس على الفتنة وعملكم لبث روح الكراهية فحرصا لسلامة البلاد من الفتن والإخلال بالنِّظام قررت إخراجكم من البلاد وقد أمرت مأمور الضابطة بتنفيذ هذا الأمر .

تحريراً في ١٥ شعبان سنة ١٣٤٤ .

نائب الملك

(فيصل)

وقد إتهمت السعودية هذه الجمعية بالتعاطف مع الملك علي بن الحسين ومناصرته[١] .

وقد رد أعضاء الوفد برسالة مفصلة ينفون فيها تورطهم في بث الفتن والإضلال وجاء في جوابهم[٢] :

« . . . . ويظهر ضعف هذا القول من دعوتكم لنا في حفلتكم الكريمة الملوكية اليوم وإكرامكم لنا باجلاسنا بجانبكم والتخاطب معنا بكل إنبساط وسعة صدر ولما رجعنا من عندكم ما مضت إلَّا ساعة حتَّى جاء أمر سمو الأمير بإخراجنا من البلاد فمتى تأملنا هذه الأشياء كلها بعين التدبر نجد أنفسنا مضطرين ان نعتقد بان بيانكم هذا ما كان إلَّا حيلة جعلتموها لتنفيذ أمركم هذا

(١) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ـ ص١٢٦ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٣٥ .

ونـرى من واجبنا ان نبلغكم بـاننا وان نكن مستعـدين بكـل ثبـات قلب لقبـول أوامركم كلها لكن لا يخفى عليكم ان إخـراج المسلمين من بلاد الله التي هي مأمنهم وقبلتهم بهذه الصورة ما هو إلَّا إستبداد مطلق لا ينبغي لمسلم أن يسكت عليه بنوع ما بل عليه ان يقاوم جهد إستطاعته هذه الأُمور الإستبداديـة وسترون إنشاء الله ان العالم الإسلامي سيشاركنا بالإحتجاج على أمركم هـذا ويستيقظ للاجتهاد لإستقـلال البلاد الحجازية في الأمور الدينية والشؤون السياسية » .

وهكذا غادر الوفد الحجاز في ٢ مارس ١٩٢٦ على متن الباخرة منصورة ويقـول الوفـد عن وجوده في الحجـاز انه « أي في رحـابه حـالتين متنـاقضتين المبالغة في الإكرام عندما كان السلطان طامعاً بإستمالته إليه ، وتضييقا شديـداً عندما استعصى عليه أن يستغويه بغير الحجة والدليل »[١] .

وقد سافر وفد الجمعية إلى مصر ونشروا بياناً مفصلاً في جريدة المقـطم بتـاريخ ١٧ مـارس ١٩٢٦[٢] بينوا فيـه تفاصيـل مهمتهم في الحجـاز واسلوب معاملة إبن سعود لهم ، وأعماله المشينة في المناطق الحجـازية . . وقـد لاقى البيان من تجاوب الشعب المصري وتفاعله معه الشيء الكثير . . . . ولربما كان التجاوب أوسع على الصعيد العملي لولا الموقف شبه الحيـادي الَّذي إتخـذته الحكومة المصرية والَّذي يرجع سبب إلى خضوعها للنفوذ البريطاني آنذاك .

مؤتمر الحجاز :

من أجل إزالة سحب الشك التي تجمعت حول ممـارساتـه ، ورغبة من إحراج الحكومة الحجازية في المناطق المتبقية لديها وعزلها إسلامياً ورغبة في تفادي أية ضغوط إقتصادية قد يتعرض لها في المستقبل . . فقد سارع إبن سعود

---

(١) المصدر السابق ـ ص هـ .

(٢) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ص١٢٦ .

إلى إعلان سفره إلى مكة ووجه بلاغ إلى أهالي الرياض قال فيه[1] .

« إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله ، إني مسافر إلى مهبط الوحي لنبسط أحكام الشريعة ونؤيد أحكامها ، فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع ، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطيء للشريعة . ان مكة للمسلمين كافة ، فأمر إدارتها وتنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العالم الإسلامي » .

كما وجه نداءاً إلى ملوك وحكام العالم الإسلامي ورؤساء الجميعات الإسلامية لإرسال مندوبيهم إلى مكة لعقد مؤتمر إسلامي ينظر في مستقبل الحجاز جاء فيه[2] : « أنقذنا بيت الله ، وسنسافر قريباً إلى مكة . . نرجو أن ترسلوا مندوبين من قبلكم ليساعدونا مع باقي الشعوب في وضع إدارة منظمة تضمن راحة الحجيج وقاصدي بيت الله الحرام وتجعل الأماكن المقدسة حرة لكل من يقصدها من الأمة الإسلامية » .

وعاد (الملك الصادق الإمام إبن سعود !!) ليؤكد عند دخوله مكة : ـ

« سنجعل الأمر في هذه الديار ـ بعد هذا شورى بين المسلمين وقد أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لإنقاذ أحكام الله في هذه البلاد المطهرة »[3] .

وقد أكد ابن سعود على ضرورة عقد المؤتمر عبر نشره نص الدعوة الرسمية في جريدة أم القرى في ١٩ ربيع الثاني ١٣٤٤ (٦ نوفمبر ١٩٢٥) .

---

(١) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ـ ص١٢٩ .
(٢) المصدر السابق ـ ص١٢٩ .
(٣) المصدر السابق ـ ص١٢٩ ـ ١٣٠ .

ولكن إبن سعود سرعان ما لعق حبر قراراته وضرب بها عرض الحائط وإستبعد فكرة المؤتمر الإسلامي بعد إسبوعين (لا أكثر) من إعلانه عنه أي في ٢٢ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ (٧ يناير ١٩٢٦م) ، حيث دعا في ذلك اليوم إلى عقد إجتماع لأهالي جدة ومكة خرج بقرار (مبايعة إجماعية !!) له ، فاضطر الملك (المغلوب على أمره !!) إلى (قبول البيعة !!) كما تقول الدكتورة مديحة أحمد درويش[1] .

ولم يستطع كاتب كتب أكثر من ستمائة صفحة في تلميع الوجه السعودي لم يستطع ان ينكر ضعف هذه الحجة حيث قال[2] :

« والحجة القائلة بان المسلمين لم يتجاوبوا ، حجة هشة ، فلا شك أن الوفود ما كان لها ان تتشكل » ولا حتى الدعوة ما كانت لتناقش جدياً قبل معرفة مصير الحجاز . . أي دخول جدة ، إلا إذا كان الملك يريد مؤتمر مصالحة ، وهو ما رفضه بالاصرار على طرد الاشراف من الحجاز . ومنذ دخوله جدة إلى إلغاء المؤتمر والمبايعة ، لم يمر أكثر من إسبوعين ، ومهما قيل عن « حمية » العالم الإسلامي . . وسرعة إتخاذ القرارات فيه . . وكفاءة التنفيذ والإتصال ، فهي ليست مدة كافية . . » ، ولكنه الدين إذا استُخف به ونكثت العهود والمواثيق ، فهو الآن في موقع قوة وقد طرد الأشراف من الحجاز وإستولى عليها ولا حاجة أبداً لعقد مؤتمر . .

«ولكن استمرار ردود الفعل الإسلامية عبر (البرقيات والكتابات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية تطلب عقد المؤتمر) إضطره إلى النزول على رغبتهم والقبول بعقده ، ولكنه أصبح آنذاك في موقع أقوى حيث إعترفت به عدة

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٣٧ .

(٢) السعوديون والحل الإسلامي ـ ص٥٢٩ .

دول كفرنسا وبريطانيا والإتحاد السوڤيتي(١) وأصبح لقبه (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) ، ولذلك فقد وجه الدعوة في ١٢ رمضان ١٣٤٤ (٢٦ مارس ١٩٢٦) هذه المرة لبحث موضوع الوسائـل الكفيلة لراحـة الحجيج فقط دون بحث مصير الحجاز وقد كان إبن سعود يعلم ان مجرد حضور الوفـود إلى مكة يشكل إعترافاً منهم بحكمه على الحجاز(٢) وقد حدد تاريخ المؤتمر في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ إلا انه لم يعقـد إلا في ٢٦ منه (٧ يـونيه ١٩٢٦م) ، ووجـه الدعوة إلى كل من ملك مصر وملك الأفغان ورئيس جمهورية تركيا وشاه إيران وملك العـراق والأمير عبـد الكريم الخـطابي والإمـام يحيـى بن حميـد الـدين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس ورئيس حكومة طـرابلس الغرب والشيخ بدر الـدين الحسني والشيخ بهجت البيـطار من دمشق والنظارة الـدينية المركزية في بلدة أدرنا (روسيا) والقاضي مصطفى شرشلي في الجزائر ورئيس الجمعية الإسلامية في بلدة جوكجا كاوتا من جاوة والجمعية المحمدية في جاوة أيضـاً . وهؤلاء الذين دعـاهم عبد العـزيز لـلإشتـراك في مؤتمـره ، يمثلون ١٨ مقاطعة إسلامية فقط » وقد قاطع المؤتمر الأسرة الهاشمية في كل من العراق وشرق الاردن ، وكذلك إيران ومصر ، ونوقش في المؤتمر اغلب الأُمور المتعلقة بالحج كتنظيم المواصلات إلى الأماكن المقدسة وقضيـة سكة حـديد الحجـاز وأوقاف الحرمين الشريفين في العالم الإسلامي ، والحالة الصحية في الحجاز وإستمر المؤتمر ثلاثون يوماً لم يتطرق خلالها إلى المستقبل السيـاسي للحجاز وإدارة الحرمين الشريفين .

تقرير جمعية الخلافة عن المؤتمر :

(١) Survey of International Affairs 1926, Arnold J. Toynbee- P.512.

(٢) The MiddleEast in World Affairs, George Lencgowski, 2 nd ed., Cornell University press- ITHACHA, N.Y.1956 p.434.

(٣) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ـ ص١٤١ .

جاء في تقرير الجمعية [1] :

« في ٢٢ مايو ١٩٢٦ وصلت الباخرة (أكبري) إلى جدة ، وكان أول الأخبار السيئة التي علمنا بها هي عن التدمير الحزين لقباب جنة البقيع والأماكن الأخرى . وقد كنا مترددين في تصديقها لأن الملك إبن سعود كان قد أكد لنا كتابة في مفاوضاتنا السابقة بأن القباب وغيرها في المدينة سوف تبقى على حالها . ولكن مع دخولنا جدة كان أول أمر سألنا عنه عندما إلتقينا بمسؤول حكومي إسمه الشيخ عبد العزيز عقيقي هو هذا الأمر . . وقد أكد لنا تلك الأخبار وأخبرنا أن النجديين يفهمون تفسير البدعة والكفر ، ولا يهمهم في هذا آراء جميع مسلمي العالم أحبوا ذلك أم لم يحبوه .

وبالرغم من التأكيد الخطي للملك السعودي إبن سعود ، فان جميع قباب المدينة المنورة قد أُزيلت عن آخرها » .

(١) Sixth World Seminar [The Future of The Haramain],... p.7.

قصة الهدم الثاني:

إن مما لا شك فيه أن لردود الفعل الإسلامية التي رافقت إحتلال الطائف ومكة وهدم آثارهما الإسلامية على إقدام إبن سعود على هدم الآثار والمعالم والقبب الإسلامية في المدينة المنورة ، فقد إعتاد المسلمون منذ فجر الإسلام على زيارة القبور والدعاء لأصحابها ومنذ ان سنها الرسول الأكرم (ص) بزيارته للمدفونين بالبقيع وقوله : « اللهم إغفر لأهل بقيع الغرقد » .

ولم يكن قط بدعة أن يتوجه النَّاس إلى زيارة قبور الأولياء في المناسبات الدينية طوال قرون مضت . . بأجماع المذاهب الإسلامية المعروفة ، ولذلك فقد كان وقع المفاجأة كبيراً على عموم المسلمين عندما شاهدوا العبث الذي قام به الوهابيون في الآثار الإسلامية وقد كانت ردات الفعل تجاه ذلك كبيرة بدرجة لم يتوقعها إبن سعود نفسه ، ولذلك فقد حاول جهده أن يمارس الضغط على جيشه لتأجيل عملية هدم مقبرة البقيع والمعالم الإسلامية الأخرى في المدينة ، ولذلك فقد مكث جيشه عدة أشهر (تقل عن الخمسة بقليل) في المدينة لم يمس فيها مقبرة البقيع بسوء . . فبعد ان دخل الجيش المدينة المنورة في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ ، لم تنلها أيد البغي السعودي إلَّا في الثامن من شوال من ذلك العام وقبلها قام بالتمهيد لذلك عبر أحد فقهاء السلاطين وهو قاضي القضاة الشيخ عبدالله بن بليهد حيث أرسله إلى المدينة المنورة في شهر

رمضان ، وبعد دخوله المدينة وجه إلى علمائهـا المغلوبين على أمرهم السؤال التالي[1] :

« مـا قول علمـاء المدينـة زادهم الله فهماً وعلمـاً في البناء على القبـور وإتخاذها مساجد هل هو جائز أم لا وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصـلاة عندهـا أم لا وإذا كان البنـاء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الإنتفاع بالمقدار المبني عليها فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم إستحقاقهم أم لا وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وإيقاد السرج عليها هل هو جائز أم لا وما يفعل عند حجرة النَّبي (ص) من التوجه إليها عنـد الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها وكذلك ما يفعل في المسجد من الترنيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع أم لا افتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلة المستند إليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين » .

وهكذا وفي يومٍ أسود كالح من أيام عـام ١٣٤٤هـ كشر الـوهابيـون عن أنيابهم وسنوا حرابهم وفرضوا على جميع بنائي المدينة الإشتراك في الهـدم ، وتوجهوا إلى جنة البقيع ورفعوا سواعد طالما تغذت على المال الحرام وهووا بها على أطيب بقعـة ضمت رفـات أربعـة من الأئمـة الأطهـار من آل الـبيـت الأبرار (ع)، ولا زالوا بها حتى سووها مع الأرض لا يشير إليها إلا مجموعة الحصى التي عليها . . لا يعرفهـا من يزورهـا إلاَّ بدليـل ولا يظلله عن شمس الحجـاز الحارقة بناء أو ظلال ، يكاد من ينظر إليهـا في وحشتها أن يبكي فـلا يتوقف عن البكاء ، ويكاد لا يبرح مكانـه إلاَّ أن تدفعـه سياط الحـارس الواقف عليهـا لمنع

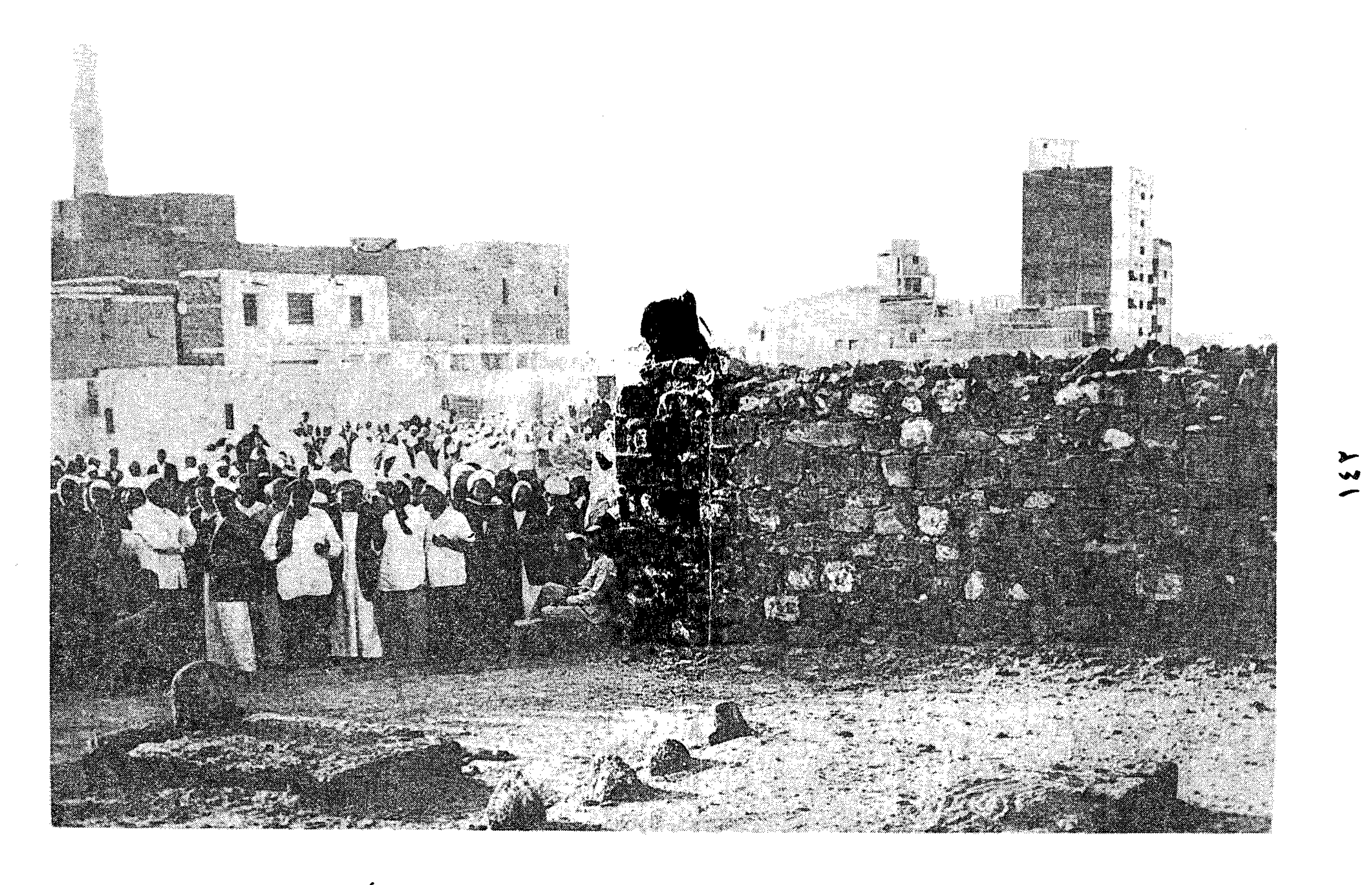
(١) كشف الإرتياب في إتباع محمد بن عبد الوهاب ـ ص٢٨٧ .

الزائرين من الزيارة ، وتنقل لنا رسالة لرجل شيعي كان في المدينة المنورة عند هدم قبور البقيع أرسلها إلى أحد علماء الشيعة في العراق مؤرخة في ٨ شوال ١٣٤٤ تنقل لنا هذه الرسالة صورة لما حصل للمقدسات الإسلامية في المدينة المنورة ومما جاء في الرسالة(١) .

« أعرض لكم ان جميع البلاد الحجازية مقهورة تحت سيطرة إبن سعود وحكمه المطلق فيها ، ولا يوجد في هذه البلاد من أقصاها إلى أدناها فرد واحد سواء من سكان المدن أو البوادي يسعه أن يقف دون أوامره وإرادته النافذة . ومنذ أيام ورد المدينة قاضي قضاة الوهابيين - يقصد الشيخ عبدالله بن بليهد - وبينما كان مجلسه غاصاً بعلمائها صرح أمامهم بتحريم زيارة القبور ، وانها بدعة في الدين ، وشرك بالله ، وانه يلزم تحصيل الإتفاق من جميع علماء المذاهب الأربعة على تخريبها تماماً ومحو آخر أثر من آثارها على وجه الأرض . ونظراً لذلك فقد منعت زيارة جميع المراقد المطهرة ، وأغلقت أبوابها ، ومنذ عشرين يوماً لم نجرؤ على قصد هذه المشاهد المشرفة وزيارتها ، إذ ان جنود الوهابيين (الأخوان) قد رصدوا الحرم المطهر النبوي ومنعوا أي زائر من التشرف بزيارة سيدة نساء العالمين ، ومن التقرب إلى ضريح رسول الله (ص) . ثم ان قاضي قضاة الوهابيين لم يتمكن من تحصيل الإتفاق المطلوب من علماء المدينة ، إلا بعد أيام إذا إستعمل معهم الوسائل الأخرى المخوفة من القوة ، والبعض الآخر وافق إبتداء ، فحكموا جميعاً طبق رغبته بتحريم زيارة القبور مطلقاً والتمسح بها إلى الله والإستشفاع بها إليه وتلاوة الزيارة فيها . ثم صدر الأمر بهدم وتخريب المراقد الشريفة ، فشرع الجند أولاً بنهب جميع ما تحتويه تلك البنايات المقدسة في البقيع من الفرش والستائر والمعلقات والسرج وغير ذلك ثم بدأوا

---

(١) لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث - الجزء السادس - د . علي الوردي - ص٣٠٦ .



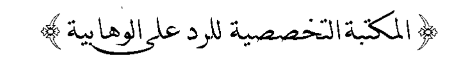
البوليس السعودي يمنع الزائرين من الإقتراب إلى قبور أئمة البقيع .

يخربون تلك المشاهد المقدسة ، وفرضوا على جميع بنائي المدينة الإشتـراك في التخريب والتهديم » .

هذه هي حال البقيع منذ ذاك وحتى اليوم فماذا فعل الغيارى من المسلمين تجاه ذلك ؟

الفصل الثالث

ردود الفعل الاسلامية


المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

ما ان وصلت أنباء الأعمال الشنيعة التي قام بها إبن سعود ضد المسلمين والآثار الإسلامية المقدسة والتمييز الطائفي في الحجاز حتى هب المسلمون في مختلف أنحاء العالم في تضامن قل أن يحصل مستنكرين هذه الأعمال ومطالبين بالتحقيق في المسؤول عنها وضرورة معاقبتهم ، وإعادة الأوضاع على ما كانت عليه .

ومما يثلج الصدور ان ردود الفعل الغاضبة هذه لم تقتصر على فئة أو طائفة معينة بل شملت الشيعة والسنة على حد سواء . . . حيث شارك سنة الهند وشيعتها في الإحتجاج ، وبينما تحرك المسلمون في مصر إعلامياً وسياسياً (بل حاولوا عسكرياً أيضاً) أن يضعوا حداً لما حصل في الحجاز ، وعطل مجلس الشورى الوطني الإيراني أعماله حداداً على الوضع في الحجاز وقام بإرسال لجنة لتقصي الحقائق لم يتجاوب معها إبن سعود .

ردود الفعل :

ويمكن إيجاز أنماط ردود الفعل الإسلامية على جرائم إبن سعود في البقيع وما سواها من الآثار الإسلامية العزيزة بعدة أمور : ـ

أولاً : سيل رسائل الإحتجاج الَّتي إنهالت على إبن سعود من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وبالخصوص من الهند وإيران ومصر والعراق وفلسطين ، وبينما كانت بعض الرسائل من أفراد عاديين كان البعض الآخر منها يرسل من قبل جمعيات ومنظمات إسلامية معروفة وتحظى بثقة وإحترام المسلمين في أنحاء العالم . . وسنعرض لبعضها في الصفحات التالية .

ثانياً : قامت بعض الشخصيات الإسلامية في الهند (وغيرها) بإرسال برقيات إحتجاج إلى الحكومة البريطانية في لندن وحكومة الهند البريطانية بإعتبار ان بريطانيا هي المسيطرة على الوضع في بعض نقاط العالم الإسلامي ، ولها اليد الطولى في نجاحات إبن سعود في الحجاز ، ولكن بريطانيا رفضت ذلك وإعتبرت نفسها غير معنية بالتدخل في الشؤون الدينية الداخلية .

وتوضح وثائق الخارجية البريطانية جانباً من رسائل المؤتمر الشيعي لعموم الهند الَّذي عقد في لكنو بالهند عام ١٩٢٦ بعد هدم قبور البقيع .

وتقول الوثيقة رقم (E3838- 3838- 91) بتاريخ ١٦ تموز (يوليو) ١٩٣٠ وهي نص رسالة أرسلها السيد مصطفى رضي السكرتير العام الفخري للمؤتمر الشيعي لعموم الهند إلى السكرتير الخاص لنائب ملك بريطانيا في الأول من نيسان (أبريل) ١٩٣٠م :

إلى : السكرتير الخاص لسعادة نائب الملك .

سيدي العزيز . .

إسمحوا لي بأن أقدم لكم عريضة إحتجاج نيابة عن الهيئة التي شكلت برئاستنا للعناية بالأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز .

ولقد استثنيت هذا الموضوع من الخطاب الحالي ، عملاً بنصيحة السكرتير الخاص لسعادة حاكمة الباكستان العليا (. . . . . .) ، فإذا تفضل

سعادة نائب الملك بإظهار بعض الإهتمام به من أجلنا ، وحصل لنا على إذن بإعادة بناء أضرحتنا هناك ، فاننا سنكون قادرين على المساهمة بمئات الآلاف من الروبيات ، كما يمكن إقامة الأبنية تحت إشراف هيئة (مجلس إدارة) من المهندسين الإنجليز . كما سنقيم تمثالاً كبيراً لسعادة اللورد ايروين في مكة !!(١) إعترافاً بجميله الذي سيبقى خالداً أبد الدهر .

أرجوكم ان تعرضوا هذا الأمر على سعادته .

مع فائق الإحترام

سيد مصطفى رضي

السكرتير العام الفخري (للمؤتمر الشيعي لعموم الهند)

وتوضح الوثيقة كذلك الرسالة التي أرسلها السيد مصطفى رضي إلى أدوارد فريدريك لندلي وود ، البارون إيروين ، بارون كيربي في أندرديل ، مقاطعة يورك ـ

نائب الملك والحاكم العام على الهند . .

تقول تتمة الوثيقة :

نحن أعضاء أنجمن . . . .

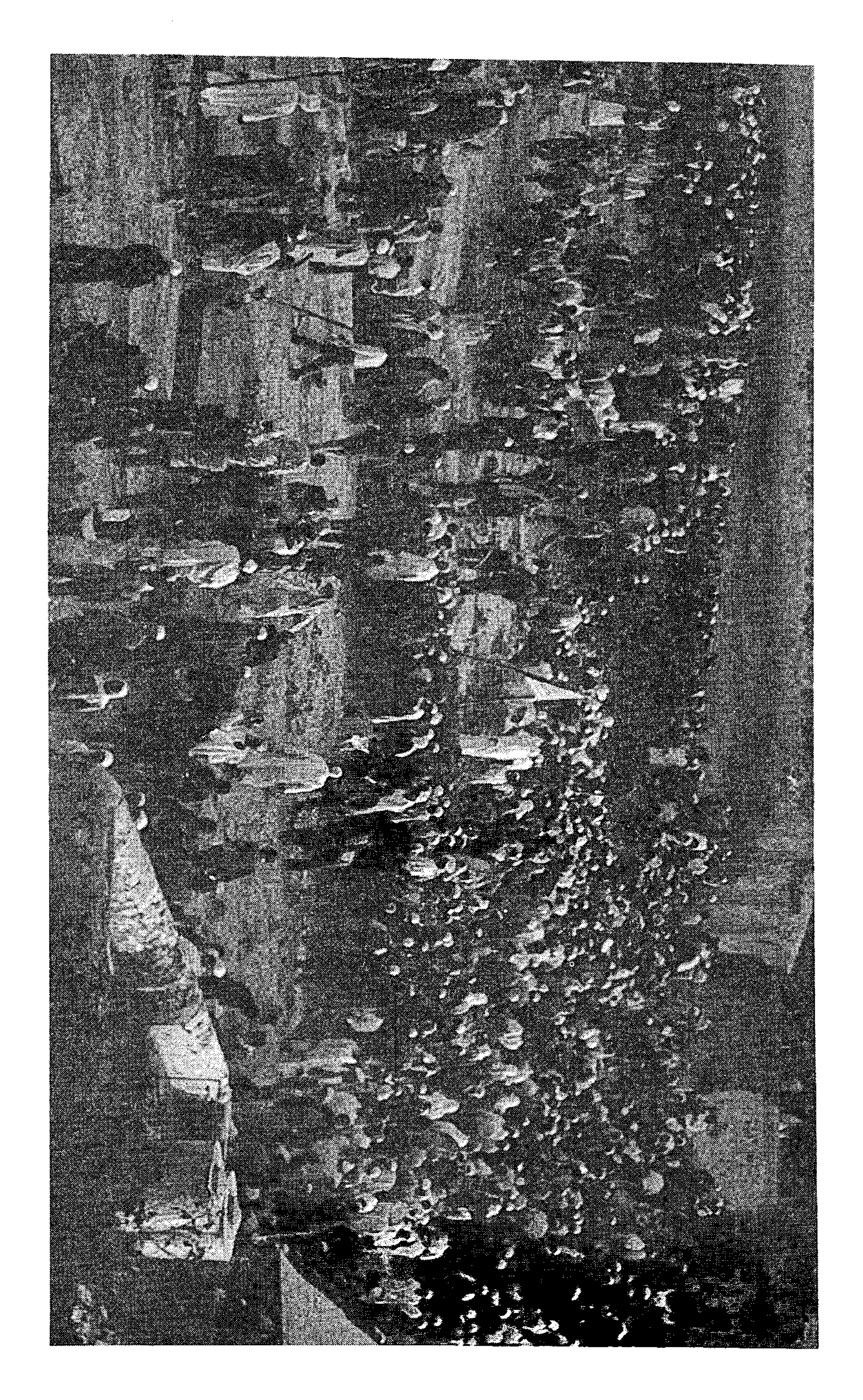
تابع للمؤتمر الشيعي لعموم الهند في لكهنو . . .

نستميح إذن سعادتكم في تقديم هذا الإحتجاج عن المظالم الطويلة التي عانينا ونعاني منها فيما يتعلق بمسألة الحجاز .

ان سعادتكم تعلمون انه منذ أُقيمت حكومة إبن سعود في الحجاز ، بدعم عدد مجموعة من الناس يدعون انهم تلك الفئة المتطهرة من المسلمين

---

(١) علامتا التعجب من وضع المؤلف .



مقبرة أهل البيت في البقيع (أخذت الصورة عام ١٣٩٥هـ) .

والمعروفين بإسم الوهابيين ، أو أهل الحديث ، فقد داس هؤلاء على مشاعر المسلمين من المذاهب الأخرى عن عمد ، وواصلوا فرض عقائد الوهابية على الذين لم يرضخوا لهم وذلك عن طريق المذابح الجماعية التي إرتكبوها دون رادع من ضمير ، وصادروا أملاك أصحابها ، وأغلقوا أماكن عبادتهم وحسينياتهم ومساجدهم ودنسوا قبور أوليائهم ، كما دنسوا وخربوا عدة أماكن مقدسة أخرى يتوجه إليها الحجاج ، ومنعوهم من إظهار الإحترام والتعظيم للأماكن المقدسة الخاصة بعقيدتهم ، وبإنزال العقاب بمن يقوم منهم بالشعائر الدينية الخاصة بزيارة هذه الأماكن .

١ ـ هذه الأعمال البربرية وغير الإنسانية قد أثارت بالطبع شعوراً عاماً بالغضب والإستياء والهلع في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، إلّا ان مشاعر المسلمين في الهند ، خاصة الشيعة منهم في جميع أرجاء الهند ، كانت الأشد هياجاً تجاه هذه المسألة . . . فالأغنياء والفقراء والعلماء وغير العلماء ، والفلاحين وأصحاب الأراضي والمحافظون والمعتدلون ، كلهم وبدون إستثناء رفعوا أصوات الإستنكار والإحتجاج ، وعبروا عن شعورهم بالرعب لنحر حرياتهم الدينية في الحجاز ولهدم القبور المقدسة هناك .

٢ ـ وانهم دعوا إلى عقد مؤتمر عموم الهند في لكهنو عام ١٩٢٦ ، الّذي حضره ممثلون عن مختلف فئات المسلمين وعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية ، وعقد إجتماعات حضرتها جماهير غفيرة من جميع أنحاء الهند ، وشرعوا في وضع خطة وتشكيل لجنة للعمل على رفع المظالم التي وقعت عليهم في الحجاز ، ونظموا فرقاً من المتطوعين المختارين المعروفين بإسم (رضى كار ـ أي ـ لجنة البقيع) ، و (خدام الحرمين) ، لوقف أي خرق أو إعتداء على حرياتهم الدينية ، ولتصحيح أخطاء الماضي ، وإصطحبوا معهم الأعلام ومواكب الحداد الأخرى في ذكرى الأحداث الأليمة التي وقعت في

الحجاز ـ خاصة في (جنة البقيع) ، وأخيراً تبنوا برنامجاً تطوعياً من أجل جمع الأموال لإعادة القبور المقدسة إلى حالتها الطبيعية ولمنع وقوع مثل هذه المظالم والإساءات في المستقبل .

٣ ـ واننا نستأذن ، مع بالغ التواضع والإحترام ، بان نعلم سعادتكم بأن الدعوة الأولى للإنضمام إلى « رضى كار لجنة البقيع » قد لقيت من التجاوب الواسع من قبل الشيعة في جميع أرجاء الهند ـ بما في ذلك بالوشستان البريطانية والمقاطعات الشمالية الغربية ـ إلى درجة أن آلافاً من المتطوعين قد إلتحقوا بها للدفاع عن حرياتهم الدينية ، ولولا حرص وعناية الجمعية عندنا في وضع برنامج منظم ودستوري للعمل على رفع الأذى والإهانة عن الدين لزادت المشاعر الدينية عن حدود التحركات العقلانية والسليمة . ولكن ربما إننا كنا دائماً نحمل ثقة ضمنية في إستقامة وعدل الحكومة البريطانية !! وحبها للإستقامة والتسامح تجاه العقائد الدينية !![1] ، فاننا نتطلع إلى الحكومة البريطانية كحام ومنقذ لنا ، ونهيب بها التدخل ، وبناءاً على المقررات التي اعتمدت في الجلسات السنوية المفتوحة للمؤتمرات الشيعية لعموم الهند التي عقدت في آمروهه وبالنا وكالكتا وسكر ، واننا بروح من الثقة المتبادلة نتقدم من سعادتكم بهذه الطلبات اليوم .

٤ ـ واننا لا نستطيع ان نعرض بالتفصيل لكل المظالم التي لحقت بنا من النشاطات العدائية التي تقوم بها حكومة إبن سعود في هذا الإحتجاج ، ولكن يمكن للفائدة نضيفها تحت العناوين التالية :

١ ـ تدنيس وتدمير الآثار المقدسة ، مثل مكان مولد النّبي ، جنة المعلا (قبور بني هاشم في مكة) ، وجنة البقيع (المقبرة المقدسة التي تضم قبور

---

(١) علامات التعجب للمؤلف .

بنت النَّبي الوحيدة (حضرة فاطمة) ، وحضرة الحسن حفيد الرسول وثاني أئمة الشيعة ، وحضرة زين العابدين الإمام الرابع ، وحضرة الإمام محمد الباقر الإمام الخامس ، وعثمان الخليفة الثالث ، وَآل وآصحاب النَّبي الحقيقيين الآخرين ، وإستخدام ما كان فيها من مواد وما كان عليها من كتابات ونقوش في الأماكن القذرة وغير الطاهرة [1] .

٢ ـ منع الزيارات ، إلى هذه الأماكن المقدسة المدمرة ومنع قراءة الفاتحة ، ومنع الزيارات وكذلك منع معانقة وتقبيل القبور والأضرحة المقدسة .

٣ ـ هدم أماكن العبادة كالمساجد مثل مسجد الحمراء ومسجد أبو الرشيد ، وأضرحة ومقامات الأئمة الآخرين ، وإحتلال هذه الأماكن ومواقعها من قبل السعوديين .

٤ ـ التدخل في أداء الشعائر المعتادة في موسم أداء فريضة الحج .

٥ ـ إجبار غير الوهابيين على إتباع شعائر وأحكام وممارسات المذهب الوهابي ، وإجبارهم على إتباع الأئمة الوهابيين .

٦ ـ إساءة المعاملة والإضطهاد والمذابح والنفي الَّذي لحق بالسادات الأشراف من آل الرسول في الطائف والمدينة والأحساء والقطيف .

٧ ـ نظراً لوقوع الحوادث المنكرة في (جنة البقيع) ، فان الكثير من القلق والإضطراب والحزن العميق يسيطر على قلوب الشيعة ويدفعهم إلى المطالبة بالحفاظ على قبر النبي والأئمة الآخرين ، وحمايتها من الإساءات المستقبلية .

٨ ـ وبناءاً على ذلك فاننا نرجو من سعادتكم التفضل بالتأكيد على

---

(١) بئس ما علمه هؤلاء في مقدسات المسلمين بحجة الشرك الَّذي لا ينطبق على آثار إبن سعود في الرياض والتي يحافظ عليها آل سعود ويصرفون الملايين لإبقائها ـ المؤلف .

الحكومة الإمبراطورية على ضرورة الإسراع بإنصاف مظالمنا ، وذلك بتدخلها عن طريق نفوذها الدبلوماسي ، وان تتفضلوا بان تنقلوا إلى الحكومة البريطانية بكاء ونياح عشرين مليوناً من شيعة الهند الذين يطالبون بإعادة بناء هذه الأماكن المقدسة للعبادة والحج ، وإعادة حريتهم الدينية وحرية العبادة إلى حالتها القديمة حتّى ولو إضطروا إلى دفع نفقات إصلاحها من جيوبهم ، ولو كان ثمن حريتهم الدينية هي حياتهم نفسها .

وتقبلوا فائق التقدير والإحترام .

سيد مصطفى رضى

المحامي

السكرتير العام الفخري لمؤتمر عموم الهند الشيعي لكهنو

وقد ردت الحكومة البريطانية على هاتين الرسالتين بانها لا تتدخل في قضايا الأماكن الإسلامية المقدسة . .

نص الرسالة من الوثيقة :

(نسخة من الرسالة رقم ٥٢٠٤ ـ B M ، والمؤرخة في الثامن من شهر مايو ـ أيار عام ١٩٣٠ ، من السكرتير الخاص لسعادة نائب الملك ، إلى السكرتير العام الفخري ، لمؤتمر عموم الهند الشيعي في لكنهو :

رغب إلي سعادة نائب الملك ان أشير إلى الرسالة (المذكرة) التي أرسلتموها بتاريخ الأول من أبريل ـ نيسان عام ١٩٣٠ ، نيابة عن مؤتمر عموم الهند الشيعي في لكنهو ، والمتعلقة بموضوع الحجاز .

لقد درس سعادته مذكرة الإحتجاج التي قدمتموها بكل عناية وإهتمام ، ولكن ـ وببالغ الأسف ـ لن يكون بامكانه إتخاذ أي إجراء بالطريقة التي تقترحونها ، وذلك إنسجاماً مع السياسة الثابتة التي تتبناها حكومة صاحب

الجلالة (البريطانية) ، وهي سياسة الحياد (وعدم التدخل) في المسائل الدينية ، وعدم التدخل في قضايا الأماكن الدينية الإسلامية المقدسة) .

وهذا الرد لا ينسجم مع الحقيقة إطلاقاً فقد إشترطت بريطانيا على إبن سعود من قبل الابقاء على طرق الحج مفتوحة وآمنة ، كما انها كانت تقوم بالترتيب مع الشريف حسين لترتيب قيام إبن سعود بالحج عدة مرات أثناء حكم الشريف . . وهي أمور دينية بطبيعة الحال ، لكن بريطانيا نراها ترفض بعد ذلك تلبية طلبات المسلمين في العالم بحجة عدم تدخلها في المسائل الدينية !! . رغم وجود أكثر من « ١٠٦ مليون مسلم آنذاك تحت السيطرة البريطانية ووجود ٣٩ مليون مسلم تحت السيطرة الهولندية و٣٢ مليون تحت السيطرة الفرنسية »[١] .

وتضيف مجلة(The Moslem World) التي كانت تصدر آنذاك وترصد النشاطات الإسلامية في العالم بالقول : « والهم الرئيس الآن لبريطانيا هو في الهند حيث الحم.. القوية التي حصلت هناك ضد الحماة الجدد للأماكن المقدسة . . والشيعة بالطبع هم ضد الوهابية ولكنهم يستطيعون ان يسلوا أنفسهم بزيارة مقامات أخرى غير تلك التي في مكة أو المدينة ، ولكن العداء قد إستحكم ضد إبن سعود والنجديين بين الهنود السنة[٢] .

وحتى عندما أنكر إبن سعود أفعاله ضد الأماكن المقدسة في الحجاز فان الحملة إستمرت ولا زالت مستمرة »[٣] .

---

(١) The Moslem World- VOL XVII- 1927- P.299.

(٢) يفتقد هذا التحليل إلى الكثير من الدقة حيث الشواهد الحاصلة تثبت تفاعل الشيعة والسنة على حدٍ سواء مع الحدث ، ولكننا لا ننتظر تحليلاً أفضل من مجلة تبشيرية كهذه ـ المؤلف .

(٣) Ibid- P.299.

لذلك فان هذا الرد لم يكن ليقنع أحداً حيث ان بريطانيا نفسها قد تدخلت لدى إبن سعود في قضايا دينية عديدة عندما لا تكون لها مردودات سلبية عليها أو عندما لا يتعلق الأمر بالإسلام ، فقد تدخلت مثلاً لدى إبن سعود في آب (أغسطس ١٩٣٠) من أجل الإعتناء ببناء المقبرة المسيحية في جدة ، وأخذت المفوضية البريطانية على عاتقها مهمة المحافظة عليها وصيانتها لمدة عام كامل كما ورد في الفقرة (٣٦) الصفحة ١٠ من الوثيقة رقم [E5386- 92191] حيث جاء ما يلي :

«أثار وزير جلالة الملك (البريطاني) المفوض مسألة الإعتناء بالمقبرة المسيحية في جدة ، ومعظمها خرب . . . أخذت المفوضية (البريطانية) على عاتقها الآن مهمة الحفاظ عليها وصيانتها لمدة عام كامل . . . يجرى البحث في الملفات عن الماضي ، أما التحسينات المستقبلية على المقبرة والعناية بها فستجري دراستها في فصل الشتاء حين تعود الجاليات الأُوروبية للالتقاء والتجمع مرة أخرى».

وفي الوثيقة رقم [E4173- 4173- 25] بتاريخ ١٢ آب (أغسطس) ١٩٣١ ، وهي عبارة عن رسالة أرسلها مساعد قاضي متقاعد هندي من سوريا يدعى (إسحار حسين) إلى القنصل البريطاني في جدة وذلك بتاريخ ١٩٣١/٦/٦ نذكر جانباً منها :

دمشق

رقم ٦١ـ قاق القولي

ساروجة

١٩٣١/٦/٦

إلى : قنصل صاحب الجلالة في جدة .

من : السيد إسحار حسين ، قاضي متقاعد ـ بيهار ـ الهند .

سيدي :

لي الشرف بأن أوجه إنتباهكم إلى الإساءات التي تعاني منها الطائفة الشيعية في الحجاز ، مع خالص الرجاء بأن ترفع هذه المظالم ويحق العدل قدر ما كان ذلك من حكومة مثل حكومة الحجاز :

١ ـ ان الحكومة (الحجازية) تتقاضى مبلغ سبع روبيات إضافية من كل حاج شيعي بالمقارنة مع الحجاج السنة ، ويقال ان هذه المبالغ تجمع منا لأننا نحتاج إلى حماية أكبر من الطائفة الأخرى ، إذا كانت مثل هذه الحماية ضرورية نتيجة سلوكنا وتصرفاتنا ، فانه من الممكن تبريرها . أما إذا كانت الحاجة إليها تنبع من تعصب وتحامل من الطائفة الأخرى ، فان تلك الطائفة وليس الشيعة هي التي يجب ان تفرض عليها الغرامات . وان كانت حكومة نجد تعتبر كون الواحد منا شيعياً خطيئة وتفرض علينا الغرامات لذلك ، فان من واجبها ان تعطينا حرية الدين والصلاة الّتي حرمنا منها .

٢ ـ لا يسمح الدين للشيعي ان يضع جبينه على شيء إصطناعي ، مثل القماش أو السجاد أو ما شابه ، بينما هو ساجد للصلاة . ولكن في المدينة ، وخلافاً لما هو عليه الحال في جامع مكة ، فان أرض المسجد مغطاة بالسجاد ، ويتوقع من كل شخص أن يضع جبينه عليه . في هذه الأحوال يضع الشيعة قطعة من الخشب أو الحصير على السجاد يضعون عليها رؤوسهم (جباههم) أثناء الصلاة (السجود) إلا انه لا يسمح لنا أن نفعل ذلك في المدينة .

حين زرنا المدينة كنا نضع جباهنا على الحصير الممدود تحت السجاجيد الغالية الثمن ، وفي مواقع كانت تبرز منها أجزاء من الحصير من تحت السجاجيد بسبب صغر حجم تلك السجاجيد ، أو لبروز بعض أجزاء الحصير من تحت السجاد بعد مدّة . ولكن إذا ما رآنا شرطي (ضابط بوليس) نختار بقعة مثل هذه ونضع جباهنا على الحصير تفضيلاً لها على السجاد ، كان يأتي

ويضع قدمه على الجزء المكشوف من الحصير . ومن حسن الحظ أن حشداً كبيراً من النَّاس كان دائماً متواجداً في مسجد المدينة ، ولم يكن بإمكان ضباط الشرطة (البوليس) أن يلاحظوا دائماً ما كنا نفعله ، ولذلك فقد كانت مثل حوادث العرقلة هذه نادراً ما تحدث ، إذ لم أشاهد أنا سوى حادثتين من هذا النوع .

٣ ـ لا يسمح لنا بزيارة كل الأماكن المقدسة والأضرحة (المقامات) المقدسة في (جنة البقيع) ، كما اننا نجبر على السلام على أولئك الذين لا نحبهم . فنحن لا يسمح لنا ، مثلاً ، بأن نقترب من المكان حيث كان يقوم « بيت الأحزان » للبيبي فاطمة الزهراء في (جنة البقيع) ، كما لا يسمح لنا بالإقتراب من أضرحة وقبور عمة الرسول وزوجته الأولى في مكة .

٤ ـ أقام جلالة الملك إبن سعود حفلة لعددٍ مختار من الحجاج والمطوفين السُّنة ، في حين تم تجاهل المطوفين الشيعة تماماً في هذه المناسبة . حين سمعنا بهذه الدعوة ، إستفسرت أنا من مطوفي عن سبب عدم تقديمه لأسمائنا لهذه الدعوة ، فقال انه لم يطلب منه أن يفعل ذلك ، وأنه بإمكاني ذكر هذا الأمر لمن أشاء . أسمح لنفسي بأن أطلب من جلالة الملك (إبن سعود) ألا يمارس مثل هذا التمييز الطائفي ، والذي من شأنه أن يزيد في حدة التحامل الطائفي سواء بين رعاياه أم في الخارج .

وقد ردت المفوضية البريطانية في جدة على الرسالة برسالة رقمها [1836/1881/3] بتاريخ ١٤ تموز (يوليو) ١٩٣١ جاء فيها :

سيدي :

أمرني وزير صاحب الجلالة (المفوض) أن أشكركم على رسالتكم المؤرخة في السادس من حزيران (يونيو) ، والتي درست بعناية كبيرة . ان السير آ . رايان يبذل جهوداً دائمة لخدمة مصالح جميع الحجاج الَّذي يحملون الجنسية البريطانية ، وسيضع مضمون رسالتكم في إعتباره . في نفس الوقت

يجد من واجبه ان يوضح لكم بأن عدداً كبيراً من القضايا التي طرحتموها في رسالتكم تتعلق بمسائل ذات طبيعة دينية لن يكون من الممكن بالنسبة له ان يتدخل فيها دون (الوقوع) في (خطر) الخروج عن السياسة الثابتة التي تتبناها حكومة صاحب الجلالة (البريطانية) والقائمة على الحياد في المسائل الدينية وعدم التدخل في (قضايا) الأماكن الإسلامية المقدسة .

وأنا يا سيدي خادمكم المطيع .

س . ج . هوب چل .

ومن ردود الفعل الإسلامية على هدم مقبرة البقيع والآثار الإسلامية الاخرى الرسالة التي أرسلها سكرتير (جمعية عائلة نظامات) إلى رئيس الوزراء في حكومة الهند ـ سيملا وردت الوثيقة البريطانية ـ المؤرخة ٣١ آب (أغسطس) ١٩٣١ مرسلة من وزارة شؤون الهند إلى وزارة الخارجية ، وورد في الوثيقة :

[تنفيذاً لقرار أُتخذ في إجتماع خاص للجنة التنفيذية لجمعية عائلة نظامات ، في مرشد آباد ، عقد في الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٣١ ، لي الشرف بأن أقدم لكم هذا الإحتجاج على أن إبن سعود ملك نجد والحجاز ، ما أن وضع يده على أقدس الأماكن في مكة والمدينة في الجزيرة العربية ، حتى هدمت ودنست وانتهكت قدسية قبور وأضرحة بنت نبينا وبعض آله وذويه (سلام الله عليهم أجمعين) الموجودة في (جنة البقيع) ، وقد دنست وأُنتهكت حرمتها بناءاً على أوامره ، جارحاً بذلك المشاعر الدينية للمسلمين عامة وللشيعة بوجه خاص ، ومعظمهم من أخلص وأكثر رعايا صاحب الجلالة المعظم تلك وامبراطور الهند طاعة للقوانين والنظام .

ان هذا العمل التدنيسي الَّذي إرتكبه إبن سعود قد بعث القشعريرة وموجة من الرعب والغضب الجامح في جميع أنحاء العالم الإسلامي . . وان المسلمين قاطبة وبكل وسيلة شرعية متاحة لهم ، قد فعلوا كل ما بإستطاعتهم

لوضع القضية أمام أنظار حكومة إبن سعود وتوجيه إنتباهه إليها ، ولكن دون أي طائل .

وإنني ، آخذاً في إعتباري القرار الَّذي أتخذ في الإجتماع الخاص المذكور لجمعيتنا ، لأسمح لنفسي أن أرجوكم بموجبه ، وأرجو حكومة الهند أن تستخدم نفوذها على حكومة إبن سعود ليصلح ما سببه من خسائر للعالم الإسلامي بعمله التدنيسي هذا ، وان يعيد الأضرحة (القبور) المقدسة إلى حالتها الأصلية ، هذا الإصلاح الَّذي لن تسكن مشاعر المسلمين ولن يرتاح ضميرهم إلَّا إذا تحقق .

أرفق طياً نسخة من القرار الَّذي أتخذ في الإجتماع الَّذي عقدته اللجنة التنفيذية المذكورة لجمعيتنا والمتعلق بهذا الموضوع] .

وهذا مقتطف من القرار الَّذي إتخذته الجمعية المذكورة في مرشد آباد يوم الأحد الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٣١م :

[. . . (ب) . . . قد تقرر بالإجماع تقديم إحتجاج إلى حكومة الهند لتستخدم نفوذها على حكومة إبن سعود ليصلح ما سببه من خسائر للقبور (الأضرحة) المقدسة في (جنة البقيع) ، والتي هدمت ودنست وانتهكت قدسيتها بناءاً على أوامر إبن سعود ، ملك نجد والحجاز ، جارحاً بذلك مشاعر المسلمين عامة ، ومشاعر الشيعة بوجه خاص] .

وقد قام مساعد سكرتير حكومة الهند في دائرة العلاقات الخارجية والسياسية إرسال رسالة رد إلى رئيس وزراء حكومة البنغال (الدائرة السياسية) في تاريخ ٤ آب (أغسطس) ١٩٣١ . . وقد ورد ذلك في الوثيقة رقم [.D 5377 -1931 (31 -E -2912] حيث جاء :

بالإشارة إلى رسالتكم رقم ١١٧٢٩ /.P المؤرخة في السادس عشر من

تموز (يوليو) ١٩٣١ أمرت بأن أرد عليها بأن سياسة حكومة صاحب الجلالة (البريطانية) القائمة على عدم التدخل مطلقاً في المسائل الدينية تمنع حكومة الهند من تقديم أي إحتجاج إلى حكومة الحجاز حول ما زعم من تدنيس وإنتهاك قدسيته وتدمير بعض القبور المقدسة في الأماكن الإسلامية المقدسة . وطلب مني أن أطلب إذا كان سعادة الحاكم لا يرى مانعاً من ذلك ، أن يعلم بذلك وينقل الرد إلى سكرتير جمعية عائلة نظامات في مرشد آباد . . لي الشرف يا سيدي أن أكون

خادمكم المطيع

ف . ق . ويلي

نائب سكرتير حكومة الهند .

وقد إستمر سيل هذه الرسائل على الحكومة البريطانية من مختلف مناطق تواجد المسلمين في العالم إلى درجة أقلقتها وشكلت جانباً كبيراً من فحوى الوثائق البريطانية في الفترة التي تلت هدم الأماكن المقدسة في الحجاز . . .

وفي تقرير أرسله السير أندرو ريان (مثلاً) من جدة إلى وزارة خارجيته في لندن جاء فيه[1] :

« ان تدنيس الأضرحة والمقامات وإنتهاك قدسيتها منذ الغزو الوهابي هي مصدر شعور عام بالغضب عند المسلمين الأجانب الَّذين يجلّون هذه الأماكن منذ القدم ، وكذلك أبناء البلاد الَّذين لم يكونوا معتادين على إجلالها وتقديسها فحسب ، بل أنها وفي بعض الحالات كانت مصدر كسب مادي لهم أيضاً » .

(١) الوثيقة رقم E3267/1600/25 بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٣١ . وسجلت بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٣١م .

وفي تقرير آخر جاء[1] :

« ان (إبن سعود) يثير غضب كثير من المسلمين بفرضه الطقوس والممارسات الوهابية على الحجاج ، وبإحتقاره للأضرحة والقبور » .

ثالثاً : قام المسلمون في أنحاء العالم بإرسال رسائل وبرقيات إلىٰ الشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي تناشدهم فيها التدخل لدى إبن سعود أو الضغط عليه أو الدخول في حرب معه من أجل إعادة إعمار العتبات المقدسة التي هدمها في الحجاز ومن الشخصيات التي وصلتهم رسائل العائلة الهاشمية في الأردن وشاه إيران السابق رضا شاه بهلوي . .

فالوثيقة رقم [E 4534- 3838- 91] من وثائق الخارجية البريطانية تذكر الرسالة التي أرسلها السكرتير العام الفخري لمؤتمر عموم الهند الشيعي في لكهنو في الرابع والعشرين من مايو ـ أيار ١٩٣٠ إلى السكرتير الخاص لنائب ملك بريطانيا حيث طلبوا منه إرسالها بدوره إلى شاه إيران الأسبق رضا شاه بهلوي . .

وواضح من فحوى الرسالة مدىٰ ما كان يؤمله شيعة الهند من الشاه حيث لابد أنهم لم يكونوا على علم بجرائمه الَّتي كان يرتكبها بحق أبناء الشعب المسلم في إيران من سجن وتعذيب ونفي ، ومنع النساء من لبس الحجاب الشرعي . . ولكننا نورد نصها هنا كاملاً :

[من بعد إذن جلالتكم ،

إسمحوا لي بأن أبعث طيه نسخة من الإحتجاجات التي قدمتها إلى سعادة

(١) الوثيقة رقم E2429/680/25الصادرة في ١٨ مايو١٩٣٢م . والملفت للنظر هنا هو أنه ورغم مرور أكثر من ست سنوات على هدم الأماكن المقدسة في المدينة المنورة إلّا أن حالة الغضب الشعبي الإسلامي كانت لا تزال مستمرة . .

اللورد إيروين ، نائب مليكنا المحبوب في الهند ، والَّذي يكن إحتراماً خـاصاً للمسلمين عامة وللشيعة بوجه خاص .

وأنا واثق أن جلالتكم تكنون من الحب لأماكننا المقدسة قدر ما نكن لها ، وربما أكثر . فالإسلام مدين لجلالتكم لكـل مَا فعلتمـوه وتفعلونه للمحمـديين بوجه عام ، ولبلادكم خاصة ، وان إسم جلالتكم سيسجل في سجلات التاريخ كأعظم ملك أنقذ الإسلام من إنهياره ودماره(١) .

ونكون شاكرين ممتنين لو تفضلتم جلالتكم فأضفتم مكـرمة أخـرى إلى مكارمكم العديدة ، وذلك بـأن تطلبـوا من وزارة خارجيتكم التعـاون مع وزارة الخارجية البريطانيـة لتأمين الحصـول على وعد من حكـومة الملك إبن سعـود الحجازية بالسماح بإعادة بناء أضرحتنا الدينية المقدسة المشار إليها في المذكرة المرفقة ، وبدفع حيف المظالم الأخرى . . .

اننـا نتطلع إلى جـلالتكم بعـظيم الحب والإجـلال ، وإنني واثق من أن جلالتكم لن تخيبوا آمالنا ، واننا ندعو الله مخلصين صادقين ان يحفظ جلالتكم سالمين سعداء لأيام طويلة قادمة .

مع فائق التقدير والإحترام .

توقيع
السيد مصطفى رضي / المحامي
السكرتير العام الفخري لمؤتمر عموم الهند الشيعي
لكهنو

مـلاحظة : إذا كنتم جـلالتكم قد حصلتم بـالفعل على مـوافقة حكـومة

(١) لابد أن السكرتير العام الفخري لمؤتمر عموم الهند الشيعي قد إكتشف فيما بعد بأن رضا شاه كان له دور في تأخير إنطلاق الإسلام في العالم ـ المؤلف .

الحجاز فاننا نرجو ببالغ الإحترام ان يسمح لنا أيضاً بالمساهمة في نفقات إعادة بناء مقاماتنا المقدسة .

توقيع / سيد مصطفى رضي] .

وهنا كذلك رسالة مماثلة أرسلت بتاريخ الحادي والثلاثين من أيار (مايو) ١٩٣٠[1] :

[من بعد إذن جلالتكم ،

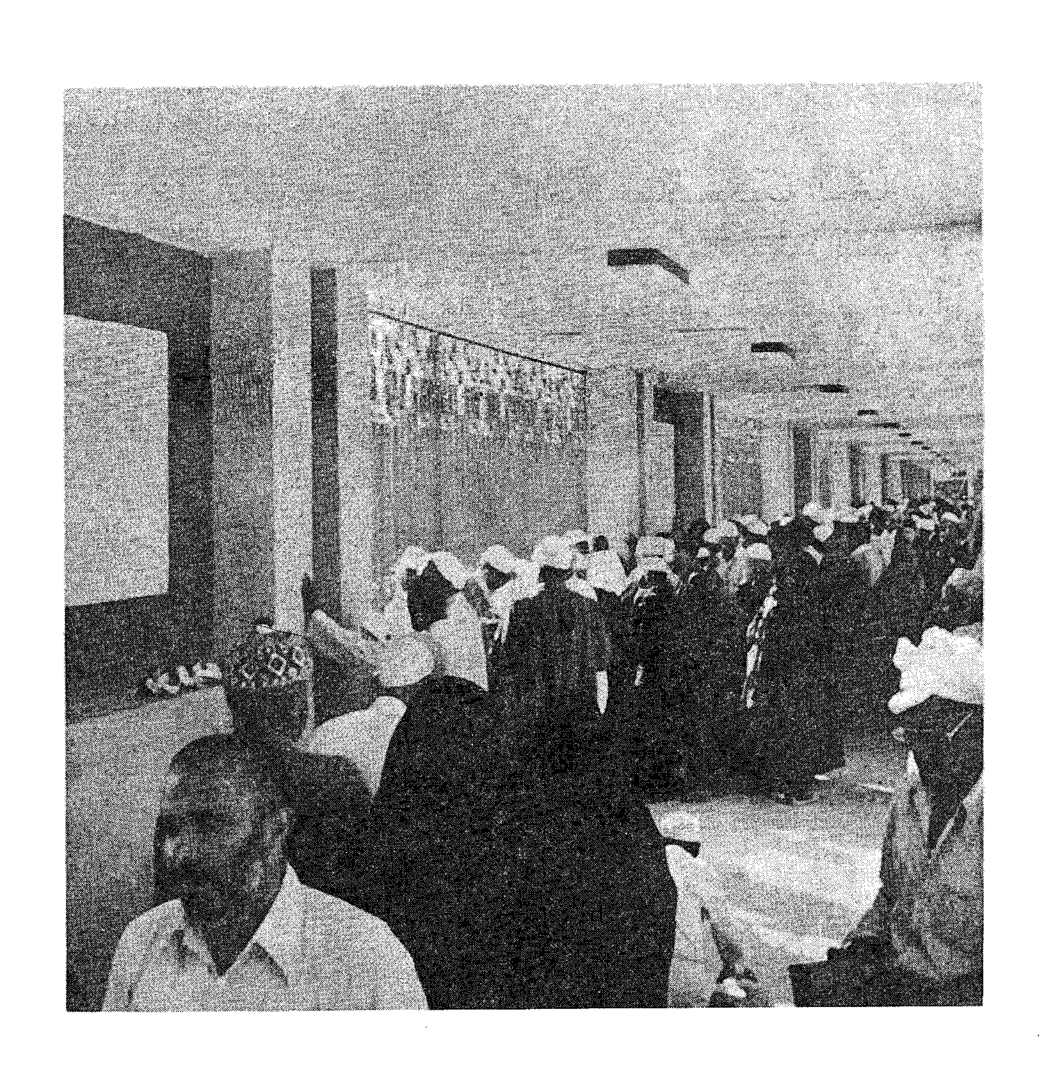
أرسل لكم طيه نسخة من إحتجاج رفعته إلى سعادة اللورد أيروين ، نائب مليكنا المحبوب !! نحن نعاني من المظالم والإساءات التي إرتكبها بحقنا الملك إبن سعود ، والتي عرضناها في مذكرة الإحتجاج .

ان الشيعة وبعد قرون عديدة من الإضطهاد ، وهي قضية في ذمة التاريخ ، قد وجدوا ملجأ لهم في الهند . ولقد أقامت الحكومة البريطانية حكومة قوية هنا أعطت الأمان والإزدهار لكل الشعب !! وفوق كل شيء أعطتنا الحرية الدينية ، حيث نستطيع ممارسة شعائرنا الدينية وتعلم شؤون ديننا كما نشاء .

لم يحدث أبداً من قبل وعلى مدى التاريخ الإسلامي كله أن سمح للشيعة بمثل هذه الحرية الدينية في ظل سلطة غير شيعية . فنحن لا نخاف أن نذبح لمجرد أننا من سلالة حضرة عليّ ، (ع) . وان سعادة اللورد أيروين يكن عظيم الحب والإحترام لنا ، ونحن نكن عظيم الحب له والثقة به . لم يكن ليفعل من أجلنا أكثر مما فعل ولو كان شيعياً . !! . وهو يتحمل مشقة الكتابة إلى جلالتكم ، ويحرك وزراة الخارجية البريطانية من أجلنا .

---

(١) علامات التعجب داخل الرسالة من وضع المؤلف .



زيارة أئمة البقيع من الخارج حيث يمنع الإقتراب من القبور .

وإنني واثق من أن جلالتكم ، كشيعي !! ، تُكنُون من الحب قدر ما نكُن نحن وربما أكثر !! لحضرة فاطمة ، وحضرة الإمـام الحسن ، وحضرة الإمـام زين العابدين ، والآخرين الَّذين نريد أن نبني مقاماتهم وأضرحتهم . كما إنني واثق من أن جلالتكم قلقون مهتمـون ، قدر إهتمـامنا ، بـان تزال مـظالمنا في الحجـاز !! وان شيعة الهنـد سيكونـون بالغي الشكـر والإمتنان لجـلالتكم بان تتعاون مع حكومة سعادة اللورد أيروين والحكـومة البـريطانيـة من أجل تحقيق مطالبنا وإزالة مظالمنا في الحجاز .

وقـد علمت بان جـلالتكم على إتصـال فعـلاً بحكـومـة الحجـاز ، وان جلالتكم حين إلتقيتم بالملك إبن سعود ، قد جرت مناقشة هذه القضية ، وتم التوصل إلى تفاهم ما حولها . فإذا كان هذا صحيحاً ، فاسمحوا لي بـأن أبين لكم بان لشيعة الهند من الحق قدر ما لأي شخص آخر في إنجـاز بناء ضـريح ومقام حضرة فاطمة ـ جدتهم ـ وسيسر جلالتكم ان تسمحوا لنا أيضاً بالمشاركة في بـركاتهـا ، وذلك بـان يسمح لنـا بأن ننضم إلى بنـاء مقـامهـا والمقـامـات الأخـرى . وأنا على يقين من أنـه سيسر جـلالتكم أن تعلموا بـأن شيعة الهنـد سعـداء ومزدهـرون إقتصاديـاً ، وان الحكومـة البريـطانية قـد أعـطتهم السـلام والأمن !.! وسيسر جلالتكم ، لو سمحتم ، أن تشكروا اللورد أيـروين شخصياً على عطفه علينا .

وتقبلوا فائق الإحترام ، واننا ندعو لجلالتكم بطول العمر والنجاح .

مع فائق الإحترام

توقيع

السيد مصطفى رضي / المحامي

السكرتير العام الفخري لمؤتمر عموم الهند الشيعي .

لكهنو (الهند)]

ولكن الحكومة البريطانية لم تقم بإرسال هاتين الرسالتين إلى شاه إيران لنفس الحجة التي طرحتها في التجاوب مع الرسائل السابقة للمؤتمر المذكور وهي عدم التدخل في الشؤون الدينية !! وقد بعث السكرتير الخاص لنائب الملك الإعتذار عن إرسالهما إلى شاه إيران في الثلاثين من يونيو حزيران تحت رقم D.O No 7548 - G.M. وهذا نصها :

[سيدي العزيز ،

رغب إليَّ سعادة اللورد أيروين ـ نائب الملك ـ أن أشعركم بإستلامنا رسالتيكم المؤرختين في الرابع والعشرين والحادي والثلاثين من شهر مايو ـ أيار ١٩٣٠ ، الموجهتين إلى جلالة الملك رضا شاه ملك فارس ، ولكن (أمرني) أن أقول إنه ، للأسباب التي أوردتها في رسالتي ذات الرقم /٥٢٠٤/ والمؤرخة في الثامن من مايو ـ أيار ، فانه يؤسف سعادته عظيم الأسف ألا يكون قادراً على إرسال الرسالتين المرسلتين إليه .

المخلص
ج ـ كننغهام
السكرتير الخاص لنائب الملك

وقد تحرك بعض المسلمين الآخرين فقد أرسل الأمير الهندي لمحمود آباد رسائل إلى الملك(١) وإلى عدد من الحكام المسلمين يحثهم فيها على التدخل لإيقاف أعمال الوهابيين(٢) .

رابعاً : عقد مؤتمرات وإجتماعات جماهيرية حاشدة في أنحاء العالم الإسلامي وأرسلت وفود لتقصي الحقائق إلى الحجاز وقد تميزت بعض هذه

---

(١) ملك بريطانيا .
(٢) The Moslem World- VOL. XVII- 1927- P.300.

النشاطات بأنها رسمية بينما كان الطابع السائد لأكثرها شعبية نابعة من ردود فعل عفوية على الحدث . . .

فقد عقد الإجتماع السنوي لمؤتمر عموم شيعة الهند عام ١٩٢٦ في مدينة لكهنو الهندية « وشرعوا في وضع خطة وتشكيل لجنة للعمل على رفع المظالم التي وقعت عليهم في الحجاز ونظموا فرقاً من المتطوعين المختارين المعروفين بإسم (رضى كار ـ أي ـ جنة البقيع) ، و(خدام الحرمين) ، لوقف أي خرق أو إعتداء على حرياتهم الدينية ، ولتصحيح أخطاء الماضي ، وإصطحبوا معهم الأعلام ومراكب الحداد الأخرى في ذكرى الأحداث الأليمة التي وقعت في الحجاز ـ خاصة في (جنة البقيع) ، وأخيراً تبنوا برنامجاً تطوعياً من أجل جمع الأموال لإعادة القبور المقدسة إلى حالتها الطبيعية ولمنع وقوع مثل هذه المظالم والإساءات في المستقبل »[١] كما ناقش المؤتمر القضية في إجتماعاته في السنوات التالية كذلك في كل من آمروهه وبانه وكالكتا وسكر[٢] .

وفي عام ١٩٣٠ عقدت (أنجمن إمامية) إجتماعاتها في كل من السند وحيدر أباد بعدها عقد أبناء الطائفة الشيعية في تلهار إجتماعاً لهم وافقوا فيه على المقررات المذكورة . . وجاء في رسالة لهم إلى نائب الملك في الهند[٣] .

« ان هذا الإجتماع ليطلب من سيادة نائب الملك ان يتفضل بإستخدام مساعيه الحميدة لإتخاذ الإجراءات اللازمة لحث إبن سعود وملك الحجاز على إعادة بناء الأضرحة والمقامات (مقامات جنة البقيع) التي هدمها » .

كما عقد أبناء الشيعة في سُكر (الهندية) إجتماعاً حاشداً لهم في الرابع

---

(١) انظر الوثيقة رقم E3838/3838/91 بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٣٠م .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الوثيقة رقم E5191/3838/91 بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٣٠ .

عشر من يوليو برئاسة الآغا حسن علي (أحد المحامين الهنود) وجاء في رسالة من الإجتماع إلى نائب الملك[1] :

« ان هذا الإجتماع ليطلب من سعادة نائب الملك ان يتفضل بـإستخدام مساعيه الحميدة لدى الحكومة البريطانيـة بهدف إتخـاذ الإجراءات الضـرورية لحث إبن سعود ، ملك الحجاز ، على إعادة بناء الأضرحة والمقامات المقدسة (في جنة البقيع) والتي هدمها » .

(١) المصدر السابق .

ردود فعل مجلس الشورى الوطني الإيراني :

كان مجلس الشورى الوطني الإيراني من المنابر التي حفلت بالنشاط الحثيث حول قضية البقيع خاصة مع وجود مجموعة من علماء الدين والنواب المتدينين والمتفاعلين مع القضايا المذهبية . . فقد عقد المجلس عدة جلسات لمناقشة القضية ، وقيل انه أجل إجتماعاته كعلامة إحتجاج[١] .

وكانت إيران قد أرسلت بعثة رسمية إلى الحجاز برئاسة السفير جعفر خان جلال[٢] ، عندما كانت جدة لا تزال تحت سيطرة الأشراف ولم تدخلها القوات السعودية بعد ، وقد سمح للبعثة بالمرور « من الخطوط الدفاعية الشريفية إلى مكة ، حيث وضع إبن سعود تحت تصرفها جميع التسهيلات اللازمة لتقدير الخسائر التي لحقت بالقبور من جراء الإعتداءات[٣] . ثم انها لحقت بجيش الأمير محمد إلى المدينة المنورة لنفس الغاية . ذلك أن إبن سعود قد تعهد بان يعيد ، وفقاً للشعائر الدينية ، بناء أي ضريح يستحق العناية »[٤] .

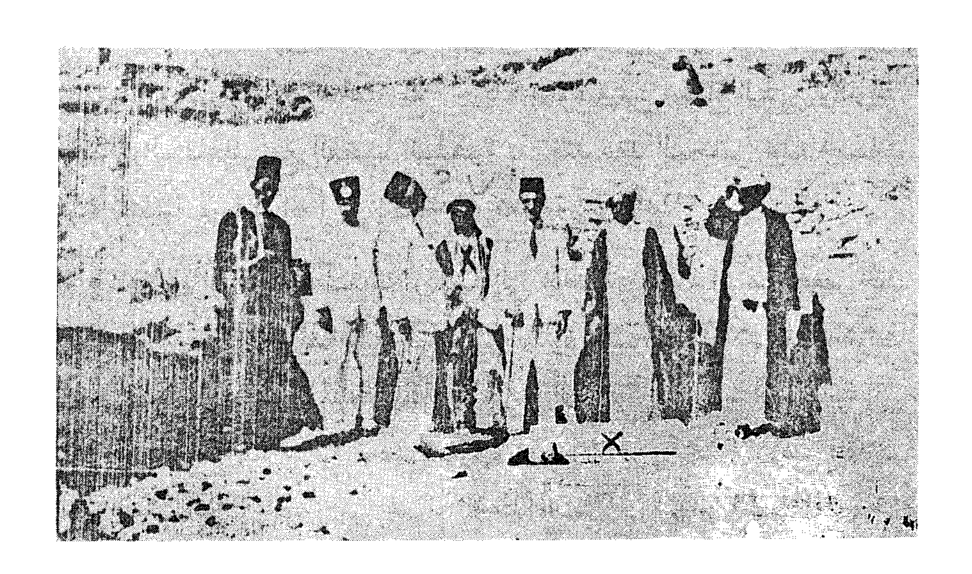
وقد خصصت عدة جلسات لمجلس الشورى لمناقشة إتخاذ رد فعل

(١) The Moslem World- VOL XVII, 1927- P.198- 99.

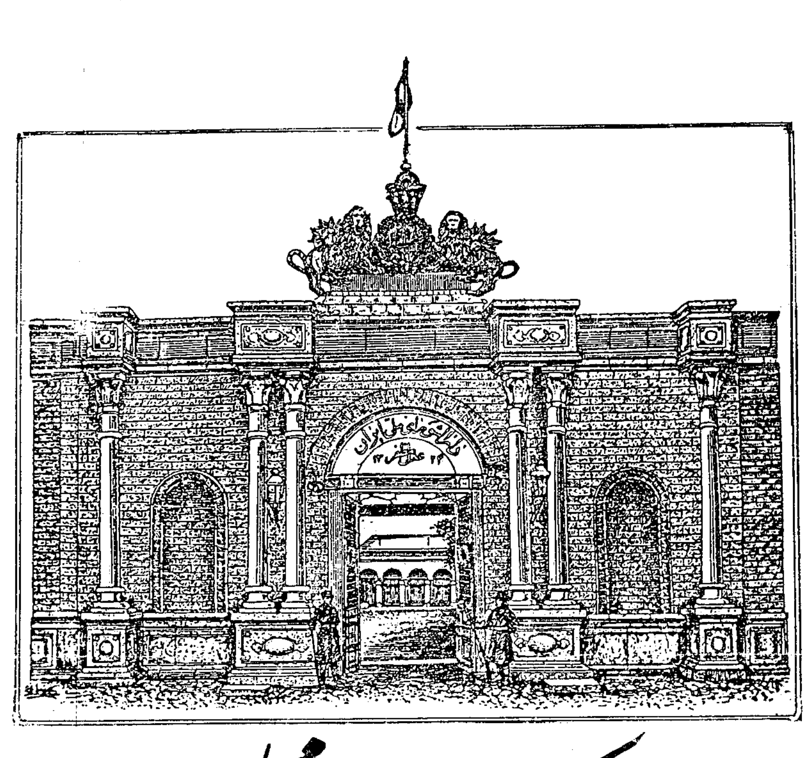
(٢) جريدة المصوّر المصرية ـ عدد ٦٠ ـ ٤ ديسمبر ١٩٢٥ .

(٣) وضع إبن سعود هذه التسهيلات تحت تصرف إيران رغبة في تجنب ردود فعل أقوى من العالم الإسلامي . . وذلك حتى يثبت حكمه في الحجاز .

(٤) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية) ـ جون فيلبي ـ ص٣٥١ .



لجنة التحقيق الفارسية ومعها بعض رجال إبن السعود واقفين عند آثار قبر السيدة خديجة (×) وكان فوقه جامع ذو مأذنة فهدمه الوهابيون وترى أثار السور في الصورة .



مذاکرات مجلس

دوره ششم تقنینیه

صورت مجلس یوم پنجشنبه ۳۱ شهریور ۱۳۰۵ مطابق ۱۵ شهر ربیع‌الاول ۱۳۴۵

جلسه ۱۲

مجلس دوساعت و سه ربع قبل از ظهر به ریاست آقای تدین تشکیل وصورت مجلس ردز سه شنبه ۲۹ شهریور قرائت وتصویب

غائبین با اجازه — آقایان: حاج‌آقا اسمعیل عراقی — میر حسینخان‌حلائی— علی‌خان اعظمی— آقا سید زین‌العابدین— میر

مناسب تجاه ممارسات الوهابيين في الحجاز وهدمهم لقبور الأئمة (ع) ، وقد إستطعنا الحصول على وثيقة لإحدى جلسات المجلس التي لم تنشر من قبل وهي الجلسة الثانية عشر في الدورة السادسة للمجلس بتاريخ ٣١ شهر يور ١٣٠٥هـ . ش . الموافق ليوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٣٤٥هـ . ق[1] .

وجاء في محتوى الوثيقة :

ان الجلسة إنعقدت قبل ساعتين وثلاث أرباع الساعة من الظهر برئاسة السيد تدين حيث قرىء محضر جلسة يوم الثلاثاء ٢٩ شهر يور وتم تصويبه :

الغائبون عن الجلسة بإستئذان هم السادة :

الحاج إسماعيل عراقي ـ ميرزا حسينخان جلائي ـ علي خان اعظمى ـ سيد زين العابدين ـ ميرزا هاشم آشتياني .

أما الغائبون دون إستئذان هم السادة :

محمود ولي خان أسدي ـ ميرزا أحمد خان شريعت زاده ـ ميرزا إبراهيمخان قوام ـ ملك إيرج ميرزا پورتيمور ـ محمد هاشم ميرزا أفسر ـ ميرزا حسن آقا زاده سبزواري ـ دكتر محمد خان مصدق ـ صادق خان خواجوي .

المتأخرون بعذرهم السادة :

ايت الله زاده خراساني ـ حاج حسن آقا ملك .

المتأخرون دون عذرهم السادة :

ميرزا سيد مهد يخان فاطمي ـ فيروز ميرزا فيروز ـ مرتضى قليخان بيات ـ آقا شيخ محمد علي إمام جمعة شيراز ـ ميرزا محمد عليخان نظام

---

(١) لمزيد من التفاصيل كذلك انظر جريدة (اطلاعات) الإيرانية في ذلك التاريخ ـ السنة الأولى ـ العدد ٣٥ ـ الناشر : مركز اطلاعات إيران طهران ـ إيران ـ ص١ ، ٣ .

مافي ـ الشيخ علي دشتي ـ ميرزا اسماعيل خان نجومي ـ أمير تيمـور كلالى ـ غلا محسين ميرزا مسعود ـ ميرزا محمد تقي بهار ـ ميرزا علي أكبر خان داور .

وقـد اسهب نواب المجلس في الحـديث عن الأحـداث الحـزينـة التي حصلت في الحجاز وقد اوردت الـوثيقة نصـوص مناقشـاتهم ولكننا هنـا نذكـر محتويات الجلسة دون الإشارة إلى أسماء المتحدثين أو التفاصيل الأخرى التي لا نرى لذكرها ضرورة :

ان القضية الهامة التي لفتت أنظار السياسيين في العالم ، سواء في الدول الإسلامية أو غير الإسلامية كان ظهور الوهابية وأعمالهم الشنيعة الـظالمة تجـاه المسلمين والمقـدسات الإسـلامية في الحجـاز مبدأ ومـظهر الـدين الإسلامي الحنيف . فللحجـاز أهمية فـائقة في السيـاسة الإسـلامية ومـذاهب المسلمين المختلفة ، وبعد الحـرب العالميـة كان لـدول أوروبا مـطامع خـاصة في هـذه المنطقة وكل متحارب كـانت له خـطط وسياسـات خفية يمـررونها عبـر الأُمراء العرب الجهلاء ، وأقـل الضالعين في هـذه السياسـة كانت الـدول الإسلاميـة الثلاث إيران وتركيا وأفغانستان مع ذلك ولـلأسف الشديـد بلغ الإهمال مبلغـاً حيث كنت أقـرأ في إحدى الصحف ان إحـدى دول أوروبا الكبيـرة (فرنسـا) تدعي أنها الدولة الإسلامية الثانية !!

أنا لا أُريد الآن بيان الإهمال وغفلة المسلمين والدول الإسلامية وخاصة إيران حيث يمكن إسناد هذه الأحداث اليها مباشرة . . ليعرف الجميع بان أهمية الحجاز لدى المسلمين لا يقتصر على العادات والتقاليد والسنن الدينية ، بل ان موقع الحجاز الجغرافي والتاريخي له من الأهمية من حيث السياسة الإسلاميـة وحفظ بيضة الإسلام وإستقلال المسلمين في العالم .

من هذا المنطلق تعير اليوم دول وشعـوب أوروبا أهميـة خاصـة لسياسـة الحجاز الخفية وهم منهمكون بدراسة وبحث حقيقة تلك السياسة .

إنني أعتقد باننا لا نحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان على ان التغييرات المستمرة وإنحلال الأنظمة المتعددة وسقوط الأُمراء والشرفاء في الحجاز ومجيء آخرين محلهم هي أُمور بسيطة ، وبديهي انها تقوم على سياسات خلف الستار تتحرك وراءها أصابع الأجانب، فبملاحظة صغيرة للاوضاع الراهنة في شبه الجزيرة العربية واسارة المسلمين بيد الدول الأجنبية النافذة ستدركون ما أعنيه جيداً ، فها هم قد سلموا اليوم قبلتكم قبلة جميع المسلمين وقبلة الإسلام (أيها المسلمون الغيارى) للوهابية الوحشية وإبن سعود . وقلب الإسلام الآن والحياة الإسلامية المرهونة بحفظه وصيانته ، هو في يد إحدى الطوائف الإسلامية والحقيقة ان الإسلام منهم براء وفي قبضة أعداء المسلمين .

والمعابد الإسلامية الكبيرة وقبور الأئمة الطاهرين (المعابد الخاصة بأي طائفة ودين هي محترمة عند البشرية) تخرب وتهدم بسموم العرب البدو الوحوش .

ألم يحن الوقت ان نقف نحن المسلمون الأحرار أمام هذه الفجائع والمأسي ؟

فإلى متى الخمول والكسل واللامبالاة ؟ وإلى متى السكوت ؟

فبغض النظر عن الضربة القاصمة التي حلت بإيران والمسلمين في إيران بظهور هذا الوضع المؤسف في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وأدمت قلوب كل مسلم إيراني يجب ان نعرف بأن ظهور هذه الفجائع لا يعود لثورة دينية بسيطة وتمرد حفنة من البدو . انها مؤامرة رهيبة وخطيرة للقضاء على المجتمع الإسلامي ، أنهم يريدون إضافة فرق جديدة للشعوب الأسيرة للكفار والمكبلة بقيود الوصاية . يريدون بواسطة طائفة ضالة وعميلة تجديد الإختلافات بين مسلمي المعمورة وآثارة التعصبات الدينية ثانية . أجل ، لو نظرتم إلى الدول الإسلامية المستقلة الثلاث إيران وتركيا وأفغانستان ونظرتم نظرة إلى المسلمين

في العالم ترون أن المسلمين في العالم وبتحريك هذه السياسات كقضية الحجاز والوهابيين وإثارة الإختلافات بين سائر المسلمين وإيجاد التعصبات الدينية يعيشون مكبلين بأغلال وصاية الأجانب الَّذين يمتصون قواهم .

فما الَّذي فعله مسلمو العالم أمام هذه الأخطار الجسيمة التي تعصف بالإسلام والمسلمين ؟!

وماذا فعلت إيران خاصة وهي التي يجب ان تبدي تعاطفاً أكثر من جميع الفرق الإسلامية مع القضية سواء سياسياً أو دينياً ؟!

فيا أيها السادة والأوصياء ، الساسة وأصحاب المسؤولية !!

ويا أيها الَّذين تعتبرون أنفسكم كل شيء والآخرون لا شيء ماذا فعلتم في هذا الظرف السياسي والديني الخطير ؟ في هذا الظرف الحياتي وفي هذه المدة المديدة (عام تقريباً) ؟

جمعٌ مشغول بالنفي ، وجماعة لا أباليون ، ونفر يعملون ، وماذا يعملون ؟! جلسوا وقالوا ونهضوا .

ممن سألت قال أننا في مفاوضات والخلاصة ماذا فعلوا حتى الآن ؟ قالوا كلاماً فارغاً لا جدوى منه ولم نشاهد شيئاً آخر من هذه الإجتماعات .

في إحدى الجرائد جاء ان إبن سعود في رده على ممثل أفغانستان قال انه يريد إصلاح الأوهام والحشو والبدع الإسلامية . وجعل زيارة قبور خاتم النبيين (ص) وأئمة الهدي (ع) في البقيع وغير البقيع إحدى هذه الأوهام وعبر عنها بعبادة الأصنام .

ويقول بصراحة يجب القضاء على عبادة الأصنام هذه !!

أنا لا أقول ان جميع فرق المسلمين خالية من الأوهام قد تكون عندها بعض الحشو والزوائد .

لكنني أقوال أولاً ان زيارة الرسول (ص) وبإتفاق جميع فرق المسلمين هي من العبادات الهامة كما يقول القاضي عياض أحد علماء السنة المشهورين :

(وزيارة قبره (ص) بين المسلمين مجمع عليها ومرتجى فيها) .

ان الأخبار الصريحة الدالة على سنة زيارته لا حد ولا حصر لها في كتب الخاصة والعامة وكلمات علماء الفريقين قائمة على الإجماع في هذا الأمر وذكرها يبعدنا عن موضوع بحثنا .

ثانياً : ان أعمال وممارسات الوهابية الظالمة (وهي بحق فرقة قليلة ، بل أقل من قليلة في مقارنتها مع فرق المسلمين الأخرى) ليست في صالح العالم الإسلامي !!

اننا لو تفحصنا أقوال وأعمال هذه الطائفة الطّاغية نرى ان عداءهم المباشر هو للمسلمين في إيران والشيعة ولو أخذنا بنظر الإعتبار أراء الأجانب حول منطقة ما بين النهرين وقوة الشيعة لوجود العتبات المقدسة هناك ترون ان هذا الهجوم والعداء المباشر لنا ليس عداءاً ساذجاً بل له نوايا سياسية هامة إلى جانب النوايا الدينية .

أنظروا جيداً لو أشرنا إلى الدول الإسلامية الثلاث وقد لا يتجاوز نفوس سكانها معاً ٢٥ مليون نسمة وانظروا نظرة إلى الأربعمائة مليون مسلم في العالم ، فاننا يجب ان نعترف اليوم وللأسف الشديد بان المسلمين عامة هم أسرى وفي قبضة الأجانب الظالمين .

فها هي أوضاع المغرب ما زالت مستمرة وقد قتلوا آلاف المسلمين الغيارى وإعتقلوا أميراً من أُمراء المسلمين المشهورين بتهمة إسلاميته ونفوه إلى أبعد جزر العالم . أوصال البلاد الإسلامية سوريا ودمشق ما زالت تحترق بنيران

المدافع وتقتل مئات أُلوف النساء والأطفال المسلمين ، والمسلمون في الصين كالهند يقتتلون بتحريك من الأجانب .

يُجزؤن ويتقاسمون الحبشة ككبش الفداء ، انهم يستصرخونكم من خط الإستواء .

حسناً إجعلوا هذا الوضع المتردي في العالم نصب العين وانظروا ما هو واجب المسلم وواجب الإيراني الوطني وبالتالي واجب الشرقي أمام هذه الحوادث التي تعصف بالإسلام . فافعلوا شيئاً قدر ما تستطيعون ، وأنا أعتقد انهم لم ينالوا هدفهم مع كل هذه الضربات التي أنزلوها بالإسلام لأن قلب الإسلام كان قوياً ولم يتزحزح واليوم إمتدت اليد إلى قلب الإسلام إلى مكة والمدينة (الحجاز) فان تزحزح القلب فالجسم سيتزحزح وينهار ـ لا أرانا الله ذلك أبداً ـ

ما العمل ؟

أولاً : إنني مسرور جداً من ان الحكومة التي تشارك أعمال اللجنة لم يغب عنها الكلام ومشهور عنها تعاطفها .

ثانياً : إنني أعتقد ان الواجب في الوهلة الأولى هو ان لا نتصور هذه الحوادث من الحوادث العادية وإعلموا علم اليقين ان هذه الضربة هي ضربة مباشرة للإسلام في إيران في المرحلة الأولى وبالتالي للدول الإسلامية المستقلة تركيا وأفغان وهي ضربة لإستقلالنا .

فلتنهض الحكومة ، الشعب ، المجلس ، الملك والسائل والمسلمون وليتركوا الكلام جانباً ويجعلوا الدفاع عن قلب الإسلام من فرائضهم الفورية .

ثم إنني أعتقد ان قلب الإسلام (الحجاز) يجب ان تكون في يد جميع المسلمين لا في يد طائفة خاصة (وقد تكون هذه الطائفة أداة للأجانب) .

من هنا فانا أدعوا إلى مفاوضات فورية مع الدول الإسلامية الثلاث الممثلة بمندوبين في إيران ، تركيا وأفغان ومصر لوضع خطة لمؤتمر إسلامي في إحدى البقاع على ان توجه دعوات إلى مسلمي الهند ، المغرب ، الجزائر ، تونس ، الحبشة ، سورية ، بين النهرين والقفقاز لإقامة حكومة إسلامية عالمية في الحجاز وإنتداب مندوبين عن كل دولة إسلامية مستقلة في الحجاز واشراك مندوبين عن المسلمين الّذين ما زالوا مستعمرين من الأجانب .

وبالتالي إقامة مؤسسة إسلامية في بيت الله ومد رسالة الرسول (ص) يدعمها المسلمون في العالم جميعاً وإحباط مؤامرات وخبائث الأجانب .

* * *

وقد تأخر إعتراف إيران بالحكم السعودي على الحجاز بسبب هدم القبات المقدسة هناك ، وذلك حتى عام ١٩٢٩ عندما أجريت مفاوضات بين الجانبين أدت إلى حصول الإعتراف[١] .

ردود فعل أبناء الجزيرة العربية:

أما في داخل الجزيرة العربية فقد كان الشعب المسلم يعاني من الارهاب والتقتيل وحرب الابادة الحقيقية ضده في مختلف المناطق وبالخصوص في المناطق الشيعية كالأحساء والقطيف والمدينة المنورة وبعض المناطق الأخرى في الحجاز . . ولكن وعلى الرغم من كل ذلك فانه لم يمنعه من اظهار مظاهر العزاء والحزن على هدم البقيع حيث كان الناس يجتمعون داخل الحسينيات والمساجد في يوم الذكرى لاحياء اليوم ولإبقاءه في ذاكرة الأجيال ، وقد نقل عن بعض شخصيات البلاد قصائد مطولة في فاجعة البقيع ، كما ذكروها في

---

(١) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن الوهاب ـ جون فيلبي ـ ص٣٥٠ .

مذكراتهم وكتبهم التي كانت تصدر وتطبع في النجف الأشراف .

كما ان شيعة المدينة المنورة كانوا يتحينون الفرص من أجل احياء ذكرى هدم البقيع ، كما يذكر كبار السن هناك بان آباءهم كانوا يتسللون إلى داخل البقيع في يوم الذكرى ، ويقومون بتنظيف قبور الأئمة (ع) ، وبازالة الأوساخ من فوقها .

وطوال هذه السنوات قامت الحكومة السعودية باعتقال أعداد من شيعة الجزيرة العربية بتهمة زيارة العتبات المقدسة في البقيع .

مأساة البقيع في الشعر الحديث

حركت مأساة البقيع عواطف الشعراء الَّذين حزَّ في نفوسهم ما حل بها من تخريب وتهديم رغم مكانتها العالية عند الله وعند الناس ، فقالوا فيها القصائد الكثيرة نختار هنا عدداً منها . .

فقد قال العلامة الفقيد آية الله السيد محسن الأمين العاملي قدس سره قصيدة تربو على خمسائة بيت بإسم(العقود الدرية في شبهات الوهابية) إقتطفنا منها هذه الأبيات[٢] :

قم وابك منتحبا لما قدحل	بالإسلام من وهن وفرط تبدد
أبناؤه متشاكسون عراهم	محلولة ما بينهم لم تعقد
لم يبق غير قبور آل محمد	شيدت ضلالا في بقيع الغرقد
وقبور أبناء النبي وصحبه	بوجودها الإسلام لم يتمهد
فإذا محت ماشيد من بنيانها	لم يبق في الإسلام غير مشيد
أمسى بها التوحيد مفقوداً فمذ	هدمت فما للكون غير موحد
فعدت عليها كالوحوش ضوارياً	وغداً ستتبعها بقبر محمد

(١) كشف الإرتياب في إتباع محمد بن عبد الوهاب .

ما قبر أحمد عندها أمسى سوى صنم لقد ضلت ولما تهتد

كلا لعمر الله هدم قبورهم هدم لصرح بالفخار ممرد

قد حاولت والله مكمل نوره إطفاء نور ساطع لم يخمد

جرت على الإسلام أعظم ذلة بفعالها وأتت بكل تمرد

ساءت جميع المسلمين بفعلها ورمت قلوبهم بحر موقد

ساءت إمام المسلمين محمداً وإليه في قرباه لم تتودد

ساءت إله العرش فيهم فاغتدت منه بمنزلة القصى المبعد

لم يكف ما صنعت بهم أعداؤهم بحياتهم من كل فعل أنكد

حتى غدت بعد الممات خوارج في الظلم بالماضين منهم تقتدي

لم تحفظ المختار في أولاده وسواهم من أحمد لم يولد

وهم الأئمة للورى والعترة الـ ـهادون حقاً قدوة للمقتدي

لم تحفظ المختار في آبائه من أصيد متفرع من أصيد

لم تحفظ المختار في أعمامه من كل قرم بالعلى متفرد

لم تحفظ المختار في أصحابه وهم الَّذين بهم غدونا نقتدي

لم تحفظ المختار في أزواجه ولهن منه حرمة لم تجحد

هدمت قبابا فوقهم قد شيدت معقودة من فوق أشرف مرقد

فوق الإمام السيد الحسن الزكي إبن النَّبي إبن الإمام السيد

والعابد السجاد زين العابديـ ـن بن الحسين الراكع المتهجد

والباقر العلم إبنه والصادق الـ ـقول المفضل جعفر بن محمد

والسيد العباس عم محمد رب المفاخر والعلى والسؤدد

والحبر عبدالله حبر الأمة الـ ـبحر الخضم ومرشد المسترشد

وصحابة الهادي الَّذين بنصرهم للدين قد فازوا بأعذب مورد

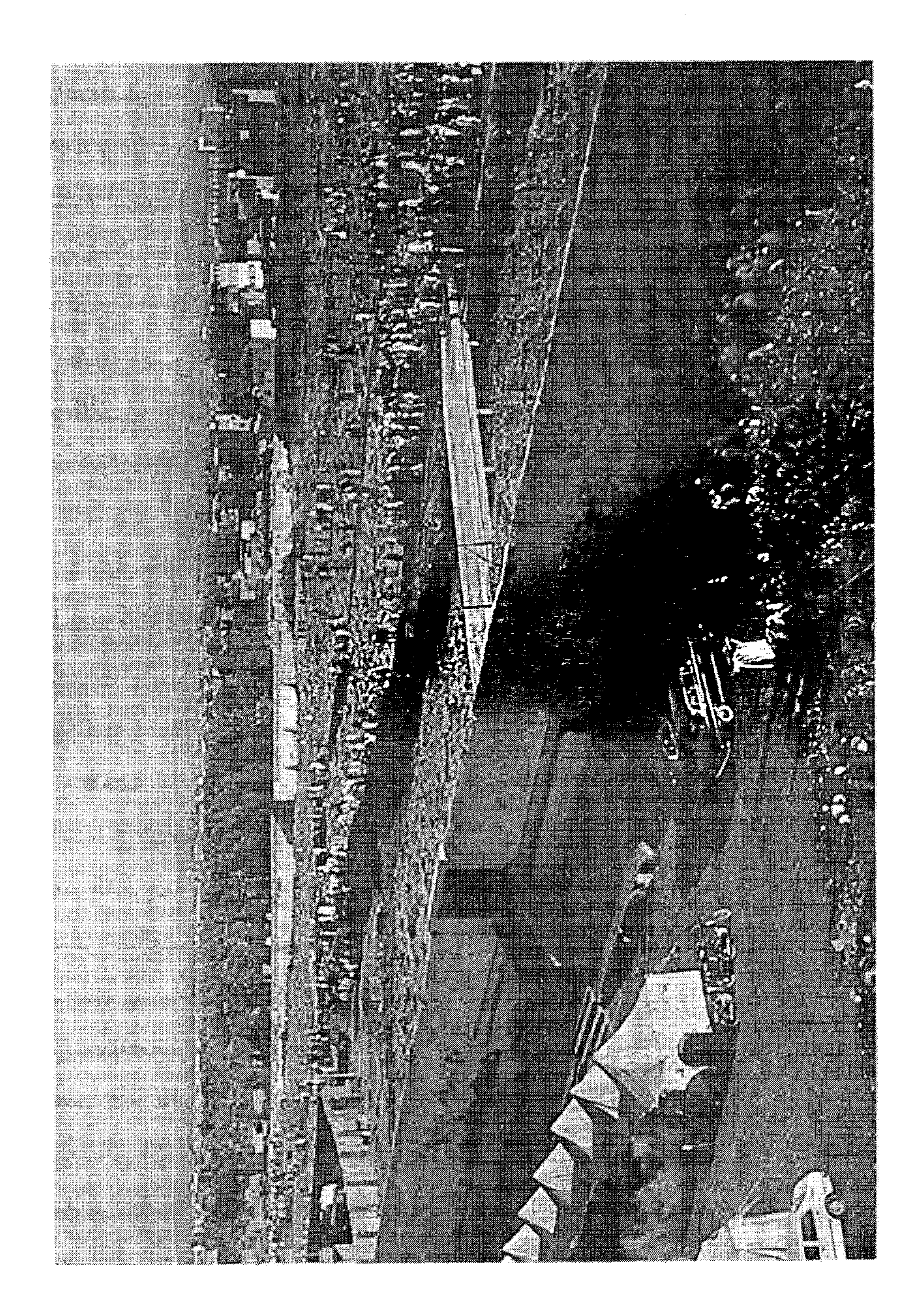
والناصر المختار والد طالب عم النَّبي وحمزة المستشهد

والمطعم الحجاج عفواً سيد الـ ـبطحاء معطي الرفد للمسترفد

وخديجة الغراء أم المؤمنيـ ـن ومن سمت شرفا مقام الفرقد
والطهر آمنة وعبدالله يا لله لليوم الفظيع الأسود
وإمام طيبة مالك وضريح اسـ ـماعيل نجل الصّادق المتعبد
قوم لهم أسمى مقام أدركوا قصب السباق به برغم الحسد
سبقوا البرية في الفضائل من مسو د قد غدا ما بينهم ومسود
ولأمهات المؤمنين مكانة حكمت ببر في الورى وتودد
وبقبر حواء وهدم ضريحه باب المذمة عنهم لم يوصد
ام الأنام تعق بعد وفاتها من فعل أبناء عليها تعتدي
ساءوا بذلك نسل آدم كله ولآدم جاءوا بما لم يحمد

***

يا قبة بشرى البقيع منيعة شأت الفراقد والسهى في مصعد
ولقبة الأفلاك دون منالها شأو الضليع غدا وسير المجهد
شعت بها أنوار آل محمد بسنا على طول الزمان مخلد
من كل فذ في البرية مغتذ در النّبوة بالإمامة مرتدي
في بقعة ودت نجوم سمائها في الأرض من حصبائها لو تغتدي
والشمس ترمقها بناظر حاسد ويرد عنها البدر مقلة أرمد
كف الثريا قاصر عن نيلها أبداً وعنها الشمس قاصرة اليد
تعتز بالفضل العظيم المعتلي وتطول بالشرف القديم الأتلد
عاثت بشامخها أكف جفاتهم يا للإبا والدِّين عيث المفسد
هدمت معاولهم رفيع بنائها ومحت محاسنها بذاك المعهد
عجباً لأحداث الزَّمان وما أتت فذئابه داست عرينة ملبد
أمعالم الإسلام تمحى جهرة والمسلمون بمنظر وبمشهد
قد نال قبر السبط شبه فعالهم في القبح من متوكل متمرد
ولما تقدم من قبيح فعالهم في كربلاء زمانه لم يبعد



البقيع من الجهة الشمالية .

أبقى لـه ولـهم مخازي جمة مهما يطل زمن بها تتجدد
زعمت بأن الدِّين أوجب هدمها لرواية جاءت بمسند أحمد
يدعو أبا الهياج حيدر إنني لك باعث فانهض بأمري واجهد
كان النَّبي بمثل ذلك باعثي وبذي الوصية آمري ومزودي
لا تبق قبراً مشرفاً إلاَّ وقد سويته فاقصد لذلك وأعمد
لو انه قد صح إسناد لها ليست تعارض سيرة لم تجحد
إني وليس طريقها بمصحح وبواضح التوثيق لم تتأيد
فيه المدلس والَّذي كثر الخطا منه ومن بغض إبن عم محمد
وبها أبو الهياج منفرد وليـ ـس لـه سوى هذا الحديث المفرد
سويته معناه مستوياً لقد صيرته لاذا سنام يغتدي
هذا هو المعنى إذا متعلق لم يذكروه له بغير تلدد
في الذكر سواها وسوى قد أتى أبداً سوى هذا به لم يقصد
فمفاده نهي عن التسنيم بالتـ ـسطيح أمر فإتبعه ترشد
وعليه أورده دليلاً مسلم بصحيحه فبمثله فاستشهد
وبذلك النووي فسره كذا ك القسطلاني الإمام الأوحدي
سويته ما ان يفيد هدمته في العرف إلاَّ عند ذي فهم ردي
كلا ولا سويته بالأرض يفـ ـهم منه ذو فهم صحيح جيد
مع ان هذا لم يقله مسلم والرفع بالإجماع سنة مهتدي
مع انه لو تم ليس بشامل للقبة المعلاة فوق المشهد
إذ كان مخصوصاً بنفس القبر لم يشمل بناء حوله في الأجود

***

هيهات هدم قبور عترة أحمد يا ويلها عن أحمد لم يسند
يا للرجال لهول خطب فادح أذكى القلوب بغلة لم تبرد
أعراب نجد تبتغي تعليمنا وتقوم فينا في مقام المرشد

جهلت لعمر الله سنة أحمد ... وإلى مدينة علمه لم تقصد
كم قد روى الراوون عنه رواية ... كذباً ولم يخشوا عقاب الموعد
فلذاك قام بهم خطيباً قائلاً ... للناس قول تهدد وتوعد
كثرت علي من الورى كذابة ... عصت الإله وللهدى لم تنقد
يا قوم من يكذب علي تعمداً ... فليتخذ في النار أسوأ مقعد
ولكم رأوا لفظ العموم وما دروا ... لفظ الخصوص ولا إهتدوا للمقصد
كم قد رووا من مات فهو معذب ... ببكاء من يبكي ولم يتجلد
عمر رواه وخطأته أمه ... في ذاك لم تشكك ولم تتردد
كم مجمل ومبين ومعمم ... ومخصص أو مطلق ومقيد
كم من مجاز للحقيقة مشبه ... أو من صريح كالكناية يغتدي
كم شابه المندوب محتوماً ومن ... مكروهه المحظور لم يتجرد
كم سنة في النَّاس تحسب بدعة ... أو بدعة وتخال سنة مقتدي
ما كل ما لم يحو نصا بدعة ... ما النَّص شرط في خصوص المورد
وتفاوت الأفهام فيما قد روى الر ... اوون في الأخبار غير محدد
تخذ الإله هواه في القرآن قد ... جاءت وتلك حقيقة لم تقصد
عبد الَّذي أصغى إلى متكلم ... متكلماً لكنه لم يعبد

***

أوليس أُمة أحمد إجماعها ... فيه الصواب وحجة لم ترد
وعلى ضلال كلها لم تجتمع ... فيما رويتم في الحديث المسند
مضت القرون وذي القباب مشيدة ... والنَّاس بين مؤسس ومجدد
في كل عصر فيه أهل الحل وال ... عقد الَّذين بغيرهم لم يعقد
من قبل ان تلد إبنها تيمية ... أو يخلق الوهاب بعض الأعبد
أفأي اجماع لكم أقوى على ... أمثاله من مورد لم يورد
فبسيرة للمسلمين تتابعت ... في كل عصر نستدل ونقتدي

أقوى من الإجماع سيرتهم ومن قد حاد عنها فهو غير مسدد
هيهات ليس نبياً إبن بليهد في النَّاس لم يخطىء ولم يتعمد
كلا ولاالعلماء قد حصرت به هي في بقاع الأرض ذات تعدد
كلا ولا من وافقوه لخوفهم أو جهلهم من خائف ومقلد
والجل من علماء طيبة ساكت للخوف مكفوف اللسان مع اليد

***

دفن النَّبي المصطفى في حجرة شأت الكواكب في العلى والسؤدد
والمسلمون تجد في تعظيمها ما بين بان منهم ومشيد
من ذلك العهد القديم ليومنا تعظيمهم لضريحه لم ينفد
لم يهدم الأصحاب حجرة أحمد وهم الهداة وقدوة للمقتدي
بل لم تزل مبنية وبناؤها في كل عصر لم يزل يتجدد
ان لم يجز فوق القبور بناؤنا لم لم تهدم قبل حجرة أحمد
ما كان ممنوعاً لنا أحداثه ابقاؤه عن ذاك غير مجرد
مع انهم قد احدثوا بنيانها متتابعاً من بعد دفن محمد
زوج النَّبي بنت عليها حائطاً بين القبور وبينها لم يعهد
وإبن الزبير لها بنى وكذلك الـ ـفاروق ثم سميه فلنقتد
يروي فتى سمهود ذلك عنهم بوفائه فعلى الوفاء تعود
جهلوا تراهم ما علمتم أم غدوا متساهلين وأنتم بتشدد
وتتابع البانون في بنيانها وغدت لأهل الدين أعظم مقصد
لضريح أحمد حرمة ماردها غير الجهول وغير ذي الطبع الردي
من في الورى يا صاح يجحد قدره هيهات شامخ قدره لم يجحد
أنى ودفن الصاحبين بجنبه قد جاوراه كلاهما في ملحد
قد عده أعظم رتبة وفضيلة في الكون يوماً مثلها لم يعدد
وبنو أمية أبت دفن إبنه الـ ـحسن الزكي بجنبه في مرقد

قالت أيدفن ثالث الخلفاء في أقصى البقيع وفي مكان مبعد

والسبط يدفن عند تربة جده لنقاتلن بذابل ومهند

وتجمعوا مع من يلف لفيفهم من مبرق يبغي القتال ومرعد

ويقول مروان أيدفن ها هنا حسن وهذا السيف تحمله يدي

لو لم يكن شرف القبور فما الَّذي يدعو إلى هذا المقيم المقعد

وكذا ضرائح آله فلها الَّذي لضريح جدهم برغم الحسد

عقد القباب على قبور ذوي الهدى فيه إحترام ذوي القبور الهمد

وكذلكم هدم القباب إهانة لهم غدا في رأي كل مسدد

والله يغضب والنَّبي لفعل من يبغي إهانتهم بأمس اوغد

والفعل مهما يختلف عنوانه فالحكم مختلف بغير تردد

ليس الَّذي سمى المعظم سيداً بمعنف في قوله يا سيدي

والمصطفى قد قال سيدنا وسيـ ـدكم لسعد ذي المقام الأسعد

ما أسقط الرحمن حرمة مؤمن بعد الممات ولا شريف اوحد

ان المعظم في الحياة معظم بعد الممات وفضله لم يفقد

هل إذ يموت المرء يعدم فضله فلم الصَّلاة على النَّبي محمَّد

تعظيم قبر معظم لا منع فيـ ـه وجعل خدام تروح وتغتدي

يعتز ساكنه بحفاد له بين الورى ويهان ان لم يحفد

* * *

زعموا البناء محرماً إذ انها أرض مسبلة لكل موسد

من كان شاهد منكم تسبيلها أو وقفها بين الورى فليشهد

هذا إفتراء منكم وتحكم ان قد تم فطنابه لم ينقد

بل ان ما يروى نفى تسبيلها عنها وأبطل شاهد المستشهد

دفن إبن مظعون بها من بعدما كانت مواتا طبقت بالغرقد

من بعده الهادي بها دفن إبنه من غير ما وقف بالهادي أقتدي

والنَّـاس قـد دفنـوا بهـا من بعـده | من غيـر تـسبيـل ولا وقف بـدي
قـطعـوا بهـا مـا كـان من شجروما | وقفـوا لأجـل الـدفن وقف مؤبـد
هب أنهم وقفـوا فـلم يـك وقفـهم | بـالمنـع عـمـا قلتـم بـمقـيـد
لـكـن مـا هـدمتـمـوه مـسبـل | في الإثم هـادمه يـروح ويغتـدي

* * *

عبـد القبـور المسلمـون بزعمكم | كـلا فـغيـر إلـهنـا لـم نـعبـد
ان إحـتـرام القبـر تعـظيم لمن | في القبـر من مـولى عـظيم أمجـد
قستم بهـا الأصنـام ان قيـاسكم | يـا قـوم بـالأصنـام غيـر مسـدد
فـاؤلائكم عبـدوا الحجـارة كي تقـر | بـهـم ونـحـن لـغيـره لـم نـعبـد
سجـدوا مـع البـاري لهـا وتعبـدوا | جـهـلاً ولـم نـسجـد ولـم نتـعبـد
ليس إحـتـرام ذوي القبـور عبـادة | لـذوي القبـور ولا لهـا في مـورد
كـل إحـتـرام لـو يكـون عبـادة | في الخلق عم الشرك كـل مـوحـد
والله ألـزمنـا إحتـرام مسـاجـد | أفـهـل يكـون عـبـادة للمسـجـد
كم حـرمـة لمـقـام رجـل خليله | جـعـل الإلـه لصخـرة من جلمد
والشـرع جـاء محسنـا تـقبيلنـا | لـلبيت والحـجـر الأصـم الأسـود
وإطـاعـة الأبـويـن فـرض لازم | كـإطـاعـة البـاري القـديم الموجـد
لهمـا جناح الـذل فـاخفض لا تقـل | أف وبـالـغ في الإطـاعـة واجهـد
ولآدم سجـد الـمـلائـك كـلهـم | دون الخبيث فـذم من لم يـسجـد
وليـوسف يـعقـوب مـع أبنـائـه | سجـدوا لـه قـدمـاً سجـود تعمـد
مـا كـان شـركـاً لا يكـون نـزاهـة | الـنَّص اورد فـيـه او لـم يـورد
أو كـان تـوحيـداً فليس بكـائن | شـركـا فـانقص من مقـالـك أو زد
الحكم للمـوضـوع لـيس مغيـراً | بـالحكـم لم يـنقص ولـمـا يـزدد

* * *

الله فـاضـل بـيـن مـخـلوقـاتـه | ليس التـراب مسـاويـا للعسجـد

شهـر الصيـام على الشهـور مفضـل ... فيـه قبـول عبـادة المـتـعـبـد
وكـذلـك الأسبـوع يفضـل بعضـه ... بعضـا كذا السـاعات فـاكفف وإهتد
والشمس فضلهـا الإلـه على السهى ... والبـدرِ ليس مسـاويـاً للفـرقـد
والـليث لـيس بـه يسـاوي أرنـب ... والصقـر ليس ممـاثـلا للهـدهـد
والأرض في شـرف البقـاع تفـاوتت ... هـل مكـة أمست تعـد كصـرخـد
والمسجـد الأقصى المبـارك حـولـه ... كسـواه أم هـل حـانـة كـالمعبـد
ان القبـور كمن حـوتـه تـفـاوتت ... في الفضـل والشـرف القـديم الأتلد

وقال أحد الشعراء[1] :

قف بـالبقيـع مسـائـلاً تستعـلم ... آثـار (آل محمـدٍ) لـم تهـدم ؟
يبقـى (مـراقـدهم) بـدون أظـلة ... تحمي ألـوف الزائـرين وتعصم ؟
في البـرد تسقيهـا السمـاء بـوابـلٍ ... والحـر يلفحهـا هـجيـر يضـرم
لم يستبـاح حـريـم (خيـر أمـة ... قـادوا الورى وهم الصـراط الأقوم ؟
أو لم يكـونـوا لـلأنـام مشـاعـلاً ... تهـدي جمـوع التـائهين وتـعلم ؟
أو لـيس (سبط محمـدٍ) وربيبـه ... (الحسن الزكي) لدى الإله يعظم ؟
أو ليس (زين العـابـدين) مكـرمـاً ... عنـد الجميع وكـل من هـو مسلم ؟
أو ليس (باقر) علم أحمـد موضعـاً ... لـلإحـتفـاء ومنهـلاً يـستعـلـم ؟
أو ليس (جعفـر) الصـدوق معلمـاً ... منـه (الأئمـة) قـد رووا وتعلمـوا ؟
الله مـا فعلت بـ (عتـرة أحمـد) ... زمـر ـ بكـل وقـاحـة ـ (تتـأسلم)
أسـلافنـا قتلت وافنـت جمعهـم ... وهم لخيـر مـراقـد قـد هـدمـوا
هـذي حقيقـة هـدمهم لمـراقـد ... دومـاً بـألـطاف الإلـه تـكـرم

* * * * *

---

(١) ذكرى أئمة البقيع (ع) ـ إصدار لفيف من الروحانيين في كربلاء المقدسة ـ العراق ـ العدد ٢ ـ السنة٢ ـ مطبعة الغري الحديثة في النجف ـ ٨ شهر شوال ١٣٨٦هـ ـ لم يذكر إسم الشاعر .

هدموا (قبور أئمة) سادوا الورى ... وبفضلهم (كتب السما) تتكلم
قد لفقوا : ان المراقد بدعة ... وبهدمها أمر الرسول الأعظم
إن كان حقاً قولهم لم لا نرى ... قبر (اللذين) بيثرب يتهدم ؟
ولما بقى (قبر إبن جعفر) سالماً ... وعليه منصوباً جدار معلم ؟
هل ان دين الله يقبل قسمة ... حتى يفرق في القبور ويقسم ؟
أو أن دين الله جار (عليهم) ... فعليهم ما يستباح محرم ؟

* * * * *

كلا . حقيقته (التعصب) وحده ... وورائه (استعمار غرب) يلهم
إن التعصب لا يحب بان يرى ... (حيل التصار) على المراقد يجثم
والغرب يزعجه (إتحاد) بيننا ... ويقض مضجعه (إخاء) مبرم
يا إبن النَّبي الطهر (مهدي الورى) ... أقدم فعليش المسلمين مجهم
أنجا (الجزيرة) أحمد أذ ما بقى ... فيها بصيص صفاء هدى ويلهم
أنت المرجى كي تطهر ـ ثانيا ـ ... (أرض الجزيرة) من أناس تجرم

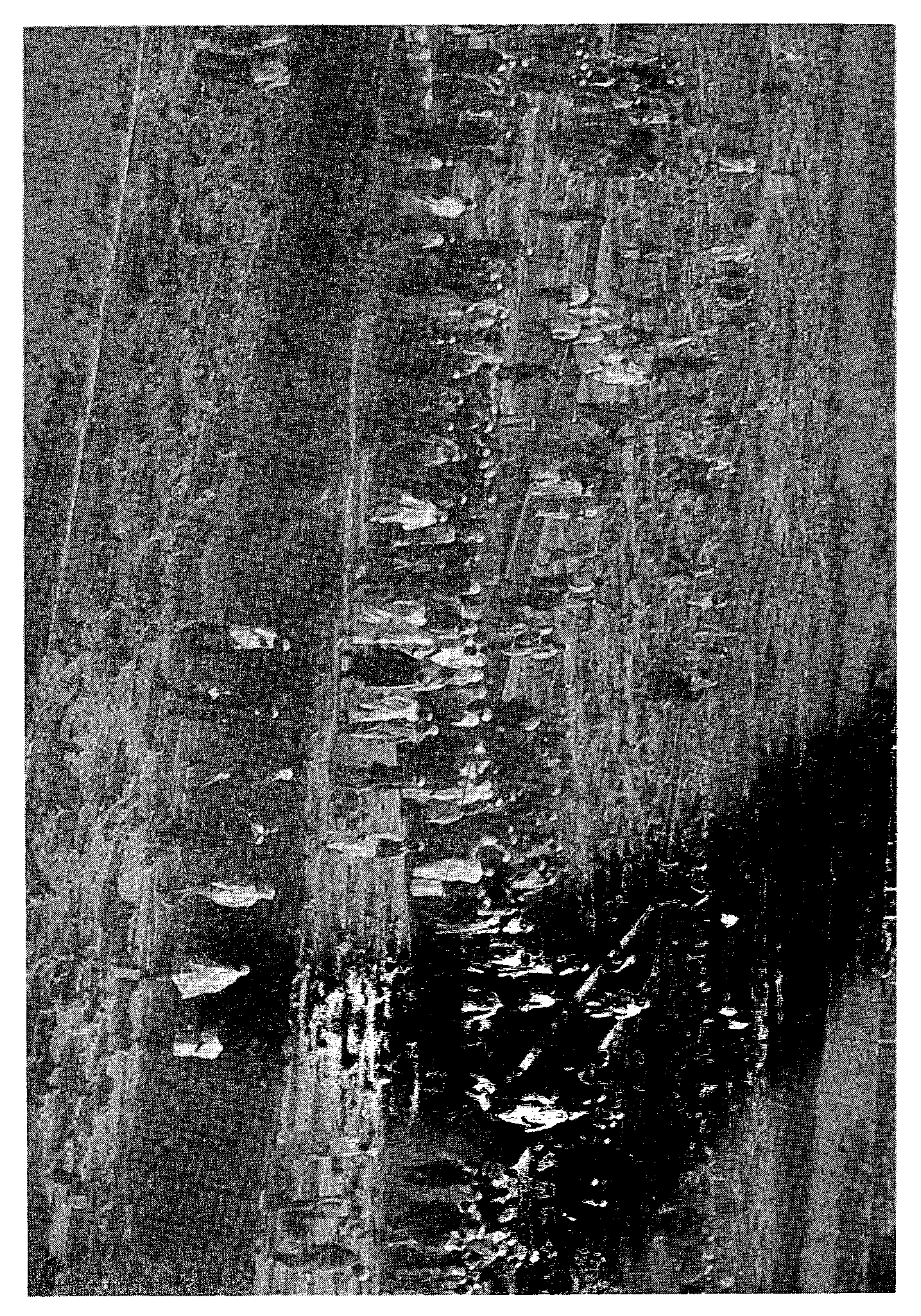
* * * * *

وقال شاعر آخر :

قل للذي أفتى بهدم قبورهم ... أن سوف تصلى في القيامة ناراً
أعلمت أي مراقد هدمتها ... هي للملائك لا تزال مزاراً

وقال الشاعر صدر الدين الصدر :

لعمري إن فاجعة البقيع ... يشيب لهولها فود الرضيعِ
وسوف تكون فاتحة الرزايا ... إذا لم نَصْحُ من هذا الهجوعِ
فهل من مسلم لله يرعى ... حقوق نبيه الهادي الشفيعِ



منظر في مقبرة البقيع .

زار السيد محمد رضا الهندي المدينة المنورة عام ١٣٤٧هـ في طريقه إلى الحج ، وعندما زار البقيع تأثر لحالتها فقال فيها[١] :

أعزَّ إصطباري وأجري دموعي ... وقوفي ضحى في بقاع (البقيع)
على عترة المصطفى الأقربين ... وأُمَّهم إبنة طه الشفيع
هموا آمنوا النَّاس من كلّ خوف ... وهم أطعموا النَّاس من كل جوع
وهم روَّعوا الكفر في بأسهم ... على انَّ فيهم أمان المروع
وقفت على رسمهم والدموع ... تسيل ونار الجوى في ضلوعي
وكان من الحزم حبس البكاء ... لو انَّ هنالك صبري مطيعي
وهل بملك الصبر من مقلتاه ... ترى مهبط الوحي عافى الربوع
وقيّمه يمنع الزائرين ... من لثم ذاك المقام المنيع
إذا همَّ زوَّاره بالدنوّ ... يذودونهم عنه ذود (القطيع)
وهذا مقام يذم الصبور ... عليه ويحمد حال الجزوع
ويا ليت شعري ولا تبرح الليالي ... تجيني بخطبٍ فظيع
أكان إليهم اسآءَ النبيَّ ... فيجزونه بالفعال الشنيع
لئن كان في مكَّة صنعهم ... بحجَّاجها نحو هذا الصنيع
فلست أرى الحجّ بالمستطاع ... ولا واجد المال بالمستطيع

وقال فيها السيد مهدي الأعرجي قصائد ثلاث[٢] :

القصيدة الأولى :

دهيآء رجَّت في الدنا أقطارها ... هيهات انَّ السيف يدرك ثارها
ومصيبة طرقت فأضرمت الأسى ... في كل جانحة واورت نارها
الله أكبر أيّ جلّى في الورى ... عفَّت قبور بني الهدى ومزارها

(١) ديوان السيد رضا الموسوي الهندي ـ ص٣٨ .

(٢) محمد باقر النجفي ، ديوان شعراء الحسين (ع) ، الجزء الأول ، ص٧٨ .

عجباً (رجال الدين) قرَّت غلبها - كيف أستلذَّت في الهوان قرارها

وسمتهم هذي المصيبة وصمة حتى القيامة لن يزيلوا عارها

تركتهم مثل النسآء ولم يكن غير النياحة والبكآء شعارها

أتوانياً أبنآء (يعرب) والعدى قد بلَّغت عظم الوريد شفارها

لم نرض إذ دفنت سليلة أحمد ليلاً وعفى حيدر آثارها

حتًى تعفَّت (بالبقيع) مقابر كانت ملائكة السما زوارها

حتّام يا بن محمد تغضى ولم تشحذ لحرب عداكم بتارها

وترتك في آباك أبنآء الشقا فانهض فديتك مدركاً أوتارها

هذي تيوس الشرك سمَّنها الخنا فمتى تسلُّ السيف يا جزَّارها

حتًى متى تغضى وشرعة جدكم جذَّ العداة يمينها ويسارها

فأنهض فدآئك مهجتي عجلا فقد ظهر الفساد مطبَّقاً أمصارها

وأطلب بثار الطهر أُمك « فاطم » من عصبة هجمت عليها دارها

القصيدة الثانية :

مصاب فيه يذهل كلّ روع وفيه تشيب ناصية الرضيع

وفادحة يذمّ الصبر فيها ويحمد عندها جزع الجزوع

فيا لله من حرق توالت تأجَّج بين صلبي والضلوع

أتهدم (بالبقيع) لنا قبور ولم تخضب ضبانا بالنجيع

أتهدم بالبقيع لنا قبور ولم تجل الكريهة عن صريع

أتهدم بالبقيع لنا قبور وما بقناة قومي من صدوع

أتهدم بالبقيع وليس يلفى كهام في شبا السيف الصنيع

فنحن إذاً لعمرك مثل من قد أسآء الصنع للهادي الشفيع

ولست أخال أن يعرو مصاب فجيع بعد فاجعة (البقيع)

ولكن الشئآم أتت بفتوى لعمر أبيك أزرت بالجميع

يحرَّم ما به الإسلام يسمو فيا لله للخطب الفظيع

فقل يا صاح (للشيعيّ) نهضاً
فليس لذي الرزية غير شيعي

وقل خلّى التأسف ليس يجدي
تأسّف خاطئي بعد الوقوع

ودع فيض الدموع على خدود
فحرفة عاجز فيض الدموع

اثرها يا بن خير الخلق غلباً
سراعاً للكفاح طوال بوع

قد إتخذوا العجاج لهم لثاماً
وقد لبسوا القلوب على الدروع

وخذ ثارات عمك من أناس
هم قتلوه بالسم النقيع

وخذ ثارات جدك من يزيد
وثار بني أبيه مع « الرضيع »

أغثنا فالعدى جاروا علينا
ومنّا قد لووا جيد الخضوع

أرادوا محو ذكر السبط لكن
بدا كالشمس في وقت الطلوع

وراموا حطّ منزله ولكن
حباه الله بالقدر الرفيع

اتغضى معرضاً حاشاك عنّا
وكيف يغضّ ذو كبد وجيع

أتصبر والشقا في كل يوم
يجيء النّاس في دين بديع

القصيدة الثالثة :

في كلِّ يوم لنا في شهر (شوَّالِ)
تجديد آلام فيها موت آمالِ

يا شهر شوال لا بوركت جئت بها
دهياء طبَّقت الدنيا بزلزال

لله غلَّة وجد لا تبرِّدها
إلَّا دماء الطلى من كل عسَّال

لهفي على (زعماء العصر) ليس بها
فتى يصدّق أقوالاً بأفعال

ان لم تجرّد مواضى العزم فهي إذاً
« كالصلِّ » ينفث سمّاً غير قتَّال

(يا ساسة الدين) ما هذا القعود فقد
عمَّ البلاء وأمسى مجدكم بالي

هذي قبور بني المختار أوغل في
تهديمهنَّ عداكم شرَّ إيغال

فأصبحت موطىء الأقدام بينهم
من بعد تقبيل (جبريل وميكال)

لا صبر يا بن الزكي العسكري وذا
من أهله الدين أمسى سيّئي الحال

قد غادروا وبنوه بين أظهرهم
فريسة « لا خسَّاء وأرذال »

متى تطهَّر وجه الأرض من دنس
من كل مفتخر بالكفر مختال

لا يشفينَّ صدور المؤمنين سوى عذبٍ جرى من ندى كفَّيك سلسال
لهفي لآل رسول الله أنَّهم قد شرَّدوا بين غيطان وأجبال
قد شتَّتوا فرقاً حتَّى قبورهم وهم أمان الورى من كلّ أهوال

ومن قصيدة في حال البقيع للعلامة المرحوم الشيخ علي بن حسن الجشي بعنوان (أسفاً لآل محمدٍ)[1] :

بالعيد حزناً جدد أسفاً لآل محمد
فالحزن مهما قيل ذا عيد أتى بتجدد
كيف السلو وقد خلت أبيات عترة أحمد
أو هل ترى حساً بها من بعد طول تهجد
وترى مشاهد للعدات وما لهم من مشهد
أين الزكي المجتبى وأخوه خير مسود
إين الهداة بنو الحسين فهل ترى من سيد
إين الخليفة بعدهم والفرقد إبن الفرقد
رحلوا عن الدنيا بسم قاتل ومهند
وبقية الله اختفى من كل رجس ملحد
فغدت معالمها التّي فيها هدى المسترشد
قفر العراص فلا ترى من رافد أو مرشد
الله أكبر أي شمل للنبي مبدد
يا ليت شِعري هل ترى جرماً لعترة أحمد

(١) ديوان العلامة الجشي ـ الشيخ علي بن حسن الجشي ـ ص١٥٨ .

مستقبل البقيع والدور المطلوب

إن الإهتمام بآثار وتراث الأقدمين وإجلاله دلالة على حبهم وتقديرهم ، وكلما زاد هذا الإهتمام دلَّ على حب أكبر وتقدير أعمق . . . هذا بالنِّسبة للعاديين منهم . . أما إذا كان هؤلاء هم أربعة من الأئمة وسيدة نساء العالمين وأمهات المؤمنين وعمات الرسول (ص) فان الأمر يكون أولىٰ وأكثر إلحاحاً . ولذلك فان الحديث عن مقبرة البقيع وما يحتويه ثراها من أجساد خيرة الخلق يكتسب أهمية خاصة نابعة من أهمية المدفونين فيها ، حيث ان مما يحزّ في النُّفوس مشاهدة الأوساخ متجمعة فوق قبورهم دون أدنى عناية بهم ، وعدم وجود ما يشير إلى أسماء المدفونين بها سوى أحجار متناثرة . .

ونقدم في ختام هذا البحث جملة مقترحات حول ما ينبغي عمله تجاه قضية البقيع :

١ ـ إعتبار يوم الثامن من شوال يوم حزن عام للمسلمين وإعلانه كيوم عالمي للتضامن مع شعب الجزيرة العربية ، والإمتناع عن الذهاب إلى الأعمال في ذلك اليوم .

٢ ـ زيارة مقبرة البقيع بأعداد هائلة طوال السنة الأمر الذي يعيد من هيبتها

أمام الحكومة وعوام النَّاس ، وخصوصاً في يوم الثامن من شوال .

٣ ـ إرسال رسائل إحتجاج إلى الحكومة السعودية من مختلف أنحاء العالم ومطالبتها بالسماح بإعادة بناء البقيع ، وكذلك إلى سفاراتها في الخارج .

٤ ـ رفع مظلمة البقيع على المنابر الإعلامية الإسلامية ، كالمجلات والصحف والمجالس الحسينية .

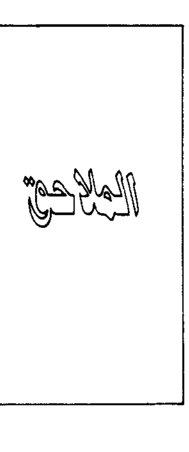
٥ ـ تأليف كتب ونشرها بأعداد كبيرة حول القضية .

٦ ـ تأسيس صندوق خاص لدعم قضية البقيع إعلامياً وسياسياً .

٧ ـ مطالبة التنظيمات والأحزاب الإسلامية باصدار بيانات إحتجاج في ذكرى هدم البقيع .

٨ ـ تنظيم مسيرات إحتجاج في أنحاء العالم في ذكرى الجريمة .

وفي الختام أرجو أن يكون هذا البحث المتواضع مقدمة لبحوث مستفيضة في هذا المجال ، إنشاء الله تعالى .


الملاحق

الملحق الأول

نص رسالة الحكومة السعودية على استفسارات جميعة خدام الحرمين الشريفين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الأفاضل حبيب الله ورفاقه المحترمين .

لي الشَّرف أن أَحيط حضراتكم علما بان كتابكم المرفوع لمولاي جلالة الملك المؤرخ في ١٢ رجب سنة ١٣٤٤ وقد وصل وقد أمرني أيده الله ان أعرب لكم عن شكره بما ذكرتموه من عباراتكم الرقيقة في أول كتابكم فإني أجمل لحضراتكم الجواب على الأسئلة التي أحببتم الإستفسار عنها لتكون معلوما لديكم على وجهها بغير مبالغة أو تحريف[١] سألتم ستة عشر سؤالاً عما وقع في الطائف من الحوادث والوقائع في أول الحرب أحيط حضراتكم علماً بأن الجند النجدي لما تقدم إلى الحجاز لم يكن ليقدر له ما لاقاه من النَّصر والظفر ولم يكن القادة الَّذين كانوا معه ليقدروا هذا الظفر والنصر وإنَّما جاء الجيش وكان عبارة عن طليعة بسيطة لإكتشاف قوة العدو ولما اقترب من حدود الطائف أرسل

(١) صور المفاوضات الخطية . . ص١٣ ـ ١٨ .

في المساء ما يقرب من أربعين خيالاً لأسوار مدينة الطائف ليكشف حال العدو فوجد باباً من أبواب أسوار الطائف مفتوحاً وان قوة من جند الشريف تخرج من الباب فهاجم الباب حتَّى دخله وكان الوقت وقت غروب الشَّمس واختلط عند ذلك جند الشريف بالسرية الصغيرة من جنودنا في داخل البلدة ودخلها أخلاط من النَّاس من رواد السلب والنهب حتى إختلط الحابل بالنابل ولم يصل الخبر بدخول الطائف لقادة جندنا إلا بعد منتصف الليل ولم يكن بإمكان أحد ان يعمل أي عمل في ذلك الليل البهيم فوقعت حوادث تأسف لها مولاي جلالة الملك كل التأسف ولم يكن ليرضى بها قط وليس ما وقع في الطائف بدعاً في تاريخ الحروب في العالم فهذه أفعال الألمان في القرن العشرين مسطورة في بطون التواريخ عن أعمال جنودهم في بلاد البلجيك وفي بلاد الأفرنسيين بل هذه أعمال جنود الحلفاء وسيرتهم في سائر البلاد التي دخلوها وما لنا ولذكر الأوروبيين الم يقل رسول الله (ص) « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » وخالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله فقد ذكر الطبري في تاريخه فيما روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال (بعث رسول الله (ص) حين إفتتح مكة خالد بن الوليد داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم ومدلج وقبائل من غيرهم فلما نزلوا على الغميضاء وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة على جماعاتهم وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة وكانا قد أقبلا تاجرين من اليمن حتَّى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما فلما كان الإسلام وبعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد سار حتَّى نزل ذلك الماء فلما رآه القوم أخذوا السلاح وقالوا ما هنا إلا الأسار ثم ما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق فقال لهم خالد بن الوليد ضعوا السلاح فإن النَّاس قد أسلموا فقال رجل يقال له جحدم ويلكم يا بني جذيمة انه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار ثم ما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحي أبداً قال فأخذه رجال

من قومه فقالوا يا جحدم أتريد ان تسفك دماؤنا إن النَّاس قد أسلموا ووضعت الحرب وأمن النَّاس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله (ص) رفع يديه إلى السماء ثم قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد وبعد ان أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إليهم دعاه وخبره بمواساتهم قام (ص) فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى بياض أبطيه وهو يقول اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات) .

إن مولاي يكرر في مثل هذا المقام ما قاله رسول الله (ص) من براءته من كل عمل عمله أي رجل من قواده أو جنوده مما ليس له حق في فعله ولا يسمح به الشرع ولا تستدعيه المصلحة الحربية .

(٢) ذكرتم ثمانية أسئلة عن المساجد وهدمها (إننا نبرأ إلى الله من هدم مساجد الله اما مسجد أبي قبيس فقد أقدم بعض الجهلة على هدمه من غير علم فأمرت الحكومة بإعادته لأنه مسجد ليس إلَّا واما باقي المساجد فإنها باقية وستبقى إن شاء الله تعالى عامرة بذكر الله نحافظ عليها بأموالنا وأنفسنا .

(٣) سألتم ثلاثين سؤالا تتعلق بأشياء جعلتم لها ثلاثة أسماء المآثر الإسلامية والمزارات والقبب فنخبر حضراتكم في صدد هذه المسائل بصراحة وهو ان ديننا دين الإسلام ومرجعنا في أعمالنا كتاب الله وسنّة رسوله محمد (ص) وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وما عليه الأئمة الأربعة الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة والإمام أحمد رحمهم الله تعالى فإذا كان لدى أحد من النَّاس حجة يوردها علينا في أمر من الأمور فيما يتعلق بهذه الأقسام الثلاثة من كتاب الله أو من سنة رسول الله (ص) أو من أعمال السلف الصالح أو من أقوال الأئمة الأربعة فليتفضلوا علينا بها لنكون أول المطيعين . ان الَّذي نتبعه في ديننا

هو هذا كتاب الله وسنة رسول الله (ص) وسنة الخلفاء الراشدين وأقوال الأئمة الأربعة ولسنا تبعاً لرغائب النَّاس وأهوائهم فإذا كان المجموع من الفرقة الفلانية يبتغون كذا والمجموع من الفرقة الفلانية ينعون كذا وكان واجباً علينا أن نراعي رأي كل فريق فيما يشتهي ويحب ضاع الدين وضيعنا كتاب الله﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض** ﴾إننا لا يهمنا في أمر ديننا أهواء النَّاس ولا غاياتهم ولا فرقهم ولا أحزابهم وإنما يهمنا أمر الله وإجتناب نواهيه وإتباع رسوله (ص) والخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة فمن كان عنده من الأصول التي ذكرناها انتقاد أو مقال فليتفضل علينا به لنكون أول المتبعين ويمكنكم ان تراجعوا النَّظر في أسئلتكم وترجعوا إلى كتاب الله وسنة نبيه أو إلى الخلفاء الراشدين أو قول أحد الأئمة الأربعة فتقولوا انكم فعلتم كذا وهذا ممنوع بدليل ان الله تعالى يقول كذا أو رسوله يقول كذا أو أحد الخلفاء يقول كذا أو أحد الأئمة الأربعة يقول كذا عندئذ تجدوننا نطأطىء الرأس ونعود عن كل خطأ مستغفرين تائبين ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ .

(٤) ذكرتم أسئلة ستة تتعلق بقبر النَّبي (ص) وبيته فقد أعلنا غير مرة رأينا في ان قبر النَّبي (ص) وبيته ندافع عنه بأموالنا وأرواحنا وبكل ما نملك ولم نقف أمام المدينة المنورة ونكتفي بحصارها إلا حرمة لرسول الله (ص) ولمسجده .

(٥) ذكرتم ثمانية أسئلة عن الحرية المذهبية ونحن نقول إن كل مسلم حر في كل قول أو عمل يجيزه الإسلام ونمنعه من كل قول أو عمل يحرمه الإسلام ويمنعه . إن الحجاز هو مصدر الإسلام وأساسه فإذا لم تكن الكلمة العليا فيه لكتاب الله ولسنة رسوله ولما كان عليه السلف الصالح ففي أي مكان تكون الكلمة العليا لهذه الأُسس العظيمة ولهذا فيمكن لكل مسلم ان يعلم الشيء المباح في الحجاز والشيء الممنوع فيه بعرضه على ذلك الأساس المتين الَّذي من تمسك به نجا ومن فارقه وحاد عنه كان والعياذ بالله من الهالكين .

(٦) ذكرتم حضراتكم أسئلة متعددة تتعلق بأمور البلاد الحربية والعسكرية وبعض شؤون الإدارة الداخلية فاستميحكم العذر في ان أذكر حضراتكم بأن البحث في هذا الموضوع لا يعنيكم بوجه من الوجوه ولا يمكن الحكومة ان تقبل من حضراتكم أو من أي إنسان كان أن يسألها عن مقدار ما عندها من الأسلحة ولا عن مواضع وجودها وإن في السؤال عنها مدعاة للريبة التي يجب ان نجلكم عنها .

(٧) سألتم عن المدارس وحالها قبل دخولنا لهذه الديار وبعده فإن الحكومة كانت أيام الحرب مشتغلة بالأمور الحربية فلم توجه العناية المطلوبة لنشر التعليم في البلاد ولكنها عازمة بحول الله وقوته أن تؤيد نشر العلم في هذه الديار بكل الوسائل الممكنة وسيجني المسلمون عامة بحول الله من الثمار الطيبة التي ستؤتي أكلها في هذه الديار بعد حين قليل بحول الله وقوته .

(٨) سألتم بعض أسئلة تتعلق بعلاقة نجد مع بعض الدول الخارجية فاستميحكم العذر في أن أفيد حضراتكم بأن نجد مستقلة إستقلالاً تاماً في داخليتها وخارجيتها وليس لدولة أجنبية أو أدنى فرد أجنبي سلطان عليها ولا تسمح لأي إنسان كان أن يتداخل في أي شأن من شؤونها الداخلية أو الخارجية . أما الحجاز فإن مولاي لم يعقد أي عقد أو معاهدة يتعلق بالحجاز وأما معاهدة جدة وبحره فعلاقتها مقتصرة على المسائل المشتركة بين العراق ونجد وشرق الأردن ونجد وليس لها علاقة في الحجاز بوجه من الوجوه . اما العقبة ومعان فليس لمولاي جلالة الملك أيّ علاقة في أمرهما أيام دارت المفاوضة بشأنهما بين الشريف علي وأخيه الشريف عبدالله بشأن تنازل الأول عنهما للثاني وقد نشرت الجرائد نص تلك المخابرات في حينها وان حدود الحجاز لم تقرر بصورة نهائية بعد لنكون مسؤولين عن جميع الأطراف .

(٩) سألتم بعض أسئلة تتعلق بمصير الحجاز السياسي والإداري وعن

المؤتمر الإسلامي وما للمسلمين من علاقة في هذه الديار أَما ما يتعلق بمصير الحجاز السياسي والإداري فهذا أمر ترك مولاي أمر التقرير فيه لأهل الحجاز أنفسهم ولهم الحرية فيما يرون فيه المصلحة لأنفسهم فيقررونه لحفظ الحجاز من أي سيطرة أَو مداخلة أجنبية ولما يؤمن الأمن فيه ويعلى كلمة الشريعة الإسلامية فيه وأما المسلمون ومؤتمرهم فإنا نرحب بالمسلمين ومؤتمرهم متى صمموا على ذلك ليبحثوا فيما يؤمن راحة الحجاج ورفاهيتهم في هذه الديار المقدسة وتفضلوا حضراتكم بقبول فائق الإحترام .

رئيس الديوان الملكي

عبدالله السليمان الحمدان

١٤ رجب سنة ١٣٤٤

الملحق الثاني

نص الرسالة التي بعثها الوفد الإسلامي الهندي رداً على الرسالة الجوابية التي بعثها السعوديون إليه[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوفد الإسلامي الهندي

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

إلى صاحب العظمة السلطانية سلطان نجد وملحقاتها .

السلام عليكم ورحمة الله .

إستلمنا كتاب صاحب السعادة رئيس الديوان الملكي المؤرخ أربعة عشر رجب سنة ١٣٤٤ جواباً على كتابنا الموجه إلى عظمة السلطان المؤرخ إثنا عشر رجب نمرة ٥٢ إدعى فيه أَنه أجاب أسئلتنا جواباً شافياً فشكرنا عظمته لإسراعه في جواب الأسئلة وبذل العناية السلطانية إلى كتابنا ونرجو ان عواطف عظمته لو لاقتنا بهذه الصورة تتم مهمتنا الأولى التي تتعلق بشأن المخابرات والمراسلات

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٩ ـ ٢٧ .

في وقت عاجل ونبتدىء في مهمتنا الثانية لنهيء بها الرحيل من البلاد الحجازية وبعد ذلك نرجع إلى وطننا الهند ونرفع الأستار المسدلة على عيون النَّـاس من جهة حالات الحجاز .

نحن محاسيبكم ولو أَننا ممنونون ومتشكرون لإسراعكم في الجواب لكن متأسفون على أَن أجوبة الأسئلة كانت مختصرة ومجملة بصورة مبهمة غير شافية للعليل ويظهر لنا أن الأصل والمرجع الَّذي كان تم بيننا وبين عظمتكم في اليوم الأول ترك في هذه الأجوبة . كان غرضنا في ذلك اليـوم أَن الأَخبار المشتبهـة والأنباء المتواردة هيجت مسلمي الهنـد فأَرسلونـا لنسأَل عـظمتكم عن الوقـائع المـاضية والمـوجودة ونحصـل على الأَجـوبـة الصحيحـة منكم فـالأسئلة التي وجهناها لعظمتكم ما كانت لسوء الظن في شأنكم أو إثبات الذنب والإثم على ذاتكم بل هذه الأسئلة إنما كانت لتحقيق الحال وإختيار ما قيل ويقال لكن نرى في الأجوبة أن المجيب يظن (وماله حق أَن يظن) أَن الأسئلة كـأنها هي عين إثبات الذنب في شأن عظمتكم ولذلك هو يجتهد في الأجوبة لرد هذا الإثبات والإلزام ويورد الإعتذار عن الذنوب المفروضة في الذهن ـ ونحن نصـرح بعد هذا أَن قصدنا الوحيد هو معرفة الأحوال الصحيحة والتحقيق في الأمور المشتبهة فالمسؤول من عظمتكم أن تبينوا لنا الوقائع الحقيقية والأمور الصادقة وبعد ذلك وإذا كان هنالك شيء غير جائز عرضه على عظمتكم حينئذ يكون لكم الحق اما ان تردوه أو تبينوا الأدلة على جوازه أما الآن ولم تلزم شيئا ما على عظمتكم فذكر الأدلة للجواز أو الإعتذار شيء سابق لأوانه ثم نحن نسأل من عظمتكم بكل أَدب وإحترام أَن تخرجوا الريب والـظنون من قلبكم الكـريم وتجيبونـا على الأسئلة الموجهة إليكم بالترتيب المذكور في كتابنا السابق نشكركم ويشكركم بواسطتنا مئات الألوف من اخوانكم مسلمي الهند .

حوادث الطائف

نحب أن نستميحكم العذر في أن نلقي على جوابكم نظراً إجمالياً حتَّى يظهر مقصدنا بأجلى مظاهره فنقول إن عظمتكم أثبتم براءتكم من وقائع الطائف بايراد قصة خالد بن الوليد وسيرة النبي (ص) فيها لكن لا يخفى على عظمتكم ان الجواب كان يصح لو الزمنا على عظمتكم مسؤولية حوادث الطائف وكنا سألناكم بعد ذلك دليلاً وحجة لبراءتكم ولكن لما ما الزمنا عليكم بشيء ما ، فذكر البراءة بغير ذكر الوقائع شيء قبل وقته وأوانه فنحن نريد الأخبار الصحيحة من عظمتكم والجواب الَّذي إستلمناه ما أوضح لنا وقائع الطائف مطلقاً ولا يمكن لنا أن هذه جواباً لأسئلتنا اللهم إلا أن يكون جواب أسئلتنا نمره ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٣ ، ١٤ فنرجو أن ترسلوا أجوبة سؤالاتنا الباقية المتعلقة بوقائع الطائف .

وأما ما ذكرتم من قصة خالد بن الوليد في صدد حادثة الطائف فنحن نحب ان نسأل ثلاثة أسئلة في هذا الخصوص حتَّى لا تطول المخابرات بيننا فنرجو ان تجيبونا عليهم في كتابكم الآتي حتى يتمكن لنا الفهم بسهولة تامة : والأسئلة ها هي :

(١) النَّاس الَّذي بعث إليهم رسول الله (ص) خالد بن الوليد كانوا مشركين أو مسلمين .

(٢) حين هوجمت الطلئف هل كان اهلها مشركين أو مسلمين .

(٣) لما سمع محمد رسول الله (ص) هذه القصة أرسل علياً رضي الله عنه لمواساة بؤساء بني جذيمة فهل أرسل عظمة السلطان من عنده أحداً لمواساة أهل الطائف .

المساجد

أما ما ذكرتم من عقيدتكم في المساجد فنحن نعترف بها والحمد لله نعتقد عليها وهذا موجب للإعتماد والطمأنينة لكن نسأل عظمتكم ان تجيبوا أسئلتنا ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ وأيضاً تخبروننا عن حالة مسجد الكوثر ومسجد الجن ومسجد حمزة رضي الله تعالى عنه .

المآثر الاسلامية والمزارات والقبب

نحن بينا كل واحدة منها على حدة لكن عظمة السلطان أحب ان يقرن الثلاثة كلها في الجواب وأورد الوجوه والأدلة في مقام إظهار الأحوال وبيان الحقائق وطلب منا دليلا على جواز بقاء هذه الأشياء فقبل أن نقول شيئاً في هذه المسألة نرى من واجباتنا أن نصرح بأن صورة الألفاظ التي أوضح بها عظمة السلطان عقيدته ومذهبه . هي موجبة لكل إعتماد وإطمئنان والحق أن هذا هو مذهب كل مسلم صادق وعلى كل مؤمن أن يتبع هذا المرجع ولكن لما ما اقر عظمة السلطان بهدم هذه الأشياء أو الأمر بهدمها وما ادعينا بأنه أغلظ أو أخطأ في فعله هذا لا يحق لعظمته أن يطلب منا حجة على جواز بقاء هذه الأشياء ولو أن عظمته هدم هذه الأشياء الثلاثة أو أمر بهدمها وهو يرى عمله هذا موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله فلا تظن أنه يتأمل في الإقرار على نفسه بما هو فعل أمام العالم ونحب أن نؤكد مرة ثانية أن مقصدنا هو طلب الحقائق والإستفسار عن الحالات الصحيحة فأولا نريد أن نستفيد من عظمته كيفية الوقائع والحالات وبعد ذلك إذا رأينا شيئا منها ممنوعاً في الدين فنعرضه بكل صراحة على عظمته بالحجج القاطعة والبراهين اللامعة التي أشار إليها عظمته من كتاب الله وسنة رسوله وأعمال السلف الصالح أو بقول أحد من الأئمة الأربعة ولكن قبل أن لا يثبت شيء من الأشياء لا يمكن لنا ان نبحث مطلقاً فعلى هذا ينبغي لعظمته أن يجيب أسئلتنا ويخبرنا بأنه هدم المآثر الفلانية والمزارات الفلانية والقبب الفلانية

ثم يثبت بجواز هدمها فبعد ذلك يتمكن لنا أن بين المواضيع التي أخطأ بها عظمته بالبراهين والدلائل وإنما هذا ظاهر بأنا نحن مسلمون ونعتقد أن عظمته أيضاً من المسلمين فعلى هذا من الواجبات أن يكون كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأعمال السلف وأقوال الأئمة رحمة الله عليهم حاكماً فيما بيننا .

والحاصل نحن نريد أن نحصل على جواب أسئلتنا بالترتيب الَّذي ذكرناه في الكتاب السالف .

مزار سيدنا حمزة وقبة النبي (ص)

نحن نطلب السماح ونقول بأن جواب عظمته غير مشتمل على جواب أسئلتنا نمرة ٥٤ ، ٥٥ فنرجو أَن تتفضلوا بجوابها في الكتاب الآتي . وأَما ما ذكرتم من عقيدتكم عن قبة النَّبي (ص) فهو موجب للطمانينة .

الحرية المذهبية

كذلك لم نجد في هذا الخصوص جواب أسئلتنا نمرة ٦٠ إلى نمرة ٧٠ نعم ان عظمته بين مذهبه واوضح عقيدته في الحرية المذهبية ولكن نحن نكرر كلامنا الأول بأنه ليس في وسعنا ان نبحث في شيء قبل علم وقوعه فالمطلوب من عظمته أن يبين لنا أنه منع الأعمال التي كانت جارية قبل مجيئه إعتقاداً فيها أنها ممنوعة من الشريعة الإسلامية وبعد علم هذا يسهل علينا ان نورد الأدلة من الأصول المنقحة عليها .

الاسلحة

ذكرتم اننا سألنا أُموراً تتعلق بأمور البلاد الحربية والعسكرية وبعض شؤون الإدارة الداخلية التي لا يمكن للحكومة أن تقبل منا أو من أحد ان يسألها بل في السؤال عنها مدعاة للريبة التي يجب أن يجلنا عنها فنقول انه لا يخفى على عظمتكم ان النَّاس الَّذين يدخلون في بلد من البلاد لأجل الدسيسة المشار إليها لا يظهرون مجيئهم لحاكم البلدة ولا يبرقون قبل مجيئهم إلى حاكمه ولا يسألون

أسئلة تتعلق بشؤون السياسة بل هم يخفون أنفسهم ويدسون ذواتهم عن عيون الحكام وأهل البلاد والحق ان هذه الألفاظ ولو جرحت حياتنا لكن نحن نعتقد إعتقاداً تاماً بأن قلب عظمته صاف عن هذه الظنون والريب والا فما كان يلاقينا بهذه البشاشة والطلاقة وما كان يحفنا بهذه الأكرامات الفائقة ومع هذا نستميح منكم العذر ونسأل عن الشيء الَّذي أدى بكم إلى ما كتبتم من ان هذه الأسئلة مدعاة للريبة وقد كنا سألنا في ما يختص بالخزينة العامرة من جهة الجمرك والسجائر وهذا شيء تنشره الحكومات كل سنة في جرائدها ومن المحققات ان في إشاعة مثل هذه الأخبار فائدة لأمور التجارة والسياسة وكذلك سؤالنا عن المحبوسين من أهل الحجاز لأجل الشبهة وعن الَّذين تركوا بيوتهم لا يرجعون إليها خوفاً من الحكومة فإنا لا نرى بأسا في مثل هذه الأسئلة لأنها عامة في مجالس الحكومات والناس يسألون عنها والحكومات ترد الأجوبة عليها لاطمئنان خواطر النَّاس واما سؤالنا عن جهة الأسلحة فما كان السؤال عن عدد الأسلحة كلها التي هي في حيازة الحكومة بل كان عن عدد الأسلحة التي أخذتها الحكومة الفاتحة من الحكومة المغلوبة ومثل هذه الأشياء تعلنها الحكومات بعد إختتام الحرب بكل فخر ومباهاة وعظمة السلطان أدرى بما أعلنت الحكومات الفاتحة بعد الحرب العظمى إعلاناً طويلاً في صدد هذا بينت فيها بكل إفتخار عدد الأسلحة التي إستولت عليها بعد خمود نار الحرب فنرجو من عظمته بانه يجيب عن سؤالنا هذا ويمن علينا .

المدارس

اما ما ذكرتم من المدارس وعزمكم لنشر العلم وبذل العناية لرقي أهل البلاد فشكرنا عظمتكم على هذه الهمم العالية ودعاؤنا من الله تبارك وتعالى ان يوفقكم لهذا المقصد العظيم ومع هذا نطلب من عظمتكم عدد المدارس التي كانت جارية قبل دخولكم في البلاد وعدد المدارس التي هي موجودة في هذه الأيام .

العلائق مع الدول الخارجية

أما جواب الأسئلة التي وجهناها إليكم في هذا الخصوص فقد إقتصر على ان نجداً مستقلةً إستقلالاً تاماً في داخليتها وخارجيتها وبأن عظمتكم ما عقدتم أي معاهدة تتعلق بشؤون الحجاز لكن لا يخفى عظمتكم ان مجرد هذا القول لا يشفي غليلنا ولا يريح خواطرنا وان عظمتكم كنتم وعدتم بأنكم تثبتون هذا بالشهادات المكتوبة فالآن نطالب بكل صراحة إيفاء ذلك الوعد ولا يخفى على عظمتكم أهمية المسألة ومما ينبغي ان نذكر في هذه المسألة هو ان معاهدة سنة ١٩١٦ ومعاهدة سنة ١٩٢٢ التي نشرتهما جرائد العالم وكتبوا عنهما ما كتبوا وانتقدوا منهما ما إنتقدوا جعل العالم الإسلامي يرتاب في عظمتكم ويشك شكوكاً نحب ان نجلكم عنها فنرى من واجباتنا ان نصرح انه ينبغي لعظمتكم التصريح في هذا الشأن إما بنفي المعاهدتين أو بوجودهما حتَّى تتفق كلمة المسلمين في شأنكم ويزول سوء التفاهم من بينهم وأما ما ذكرتم من معاهدة البحرة والجدة بأنها لا تتعلق بشأن الحجاز مطلقاً بل هي مقتصرة على المسائل المشتركة بين العراق ونجد وشرق الأردن ونجد فهذا يخالف ما جاء في صورة المعاهدة المنشورة في الجرائد المصرية والسورية والهندية والنَّاس مختلفون فيها فمنهم من يصدق أقوال الجرائد ومنهم من يجل عظمتكم عن هذه المعاهدة ونرى من المستحسنات أَن تبينوا لنا صورة هذه المعاهدة حتَّى يتمكَّن العالم الإسلامي بواسطتنا من علمها ومعرفة ما فيها ويخرجون من ورطة الوهم والشك وأما السكوت على هذه المسألة أَو عدم الرضا على إرادة المعاهدة فشيء يوجب الريب في صدور الناس من عظمتكم ولا نرى في هذه العبارة ان نصدق الجرائد وذكرتم ان المعاهدة مقتصرة على حدود نجد فنرجو ان توضحوا لنا حدود نجد التي تمتد في هذه المعاهدة .

وقد علمنا مما ذكرتم في خصوص أن الملك علي سلم هذين البلدين لأخيه عبدالله الَّذي ما هو إلا يد عاملة لبريطانيا ولكن ما بينتم لنا هل عظمتكم إحتججتم على هذه المسألة أم لا فإن تسلط غير مسلم على جزء من الحجاز أمر لا ينبغي أن يسكت عليه مسلم فإذا كنتم عظمتكم إحتججتم فنريد مطالعة صورة الإحتجاج .

مصير الحجاز

الأسئلة التي وجهناها في هذا بخصوص ما وجدنا جوابها إلا أن عظمة السلطان بين أنه ترك هذا الأمر لأهل الحجاز فإن كان هذا صحيحاً فنرجو عظمته أن يخبرنا عن آراء أهل الحجار وكيف أخذت هذه الآراء ثم ما هو نوع العمل الَّذي جرى عليه حضرة السلطان بعد أخذ الآراء .

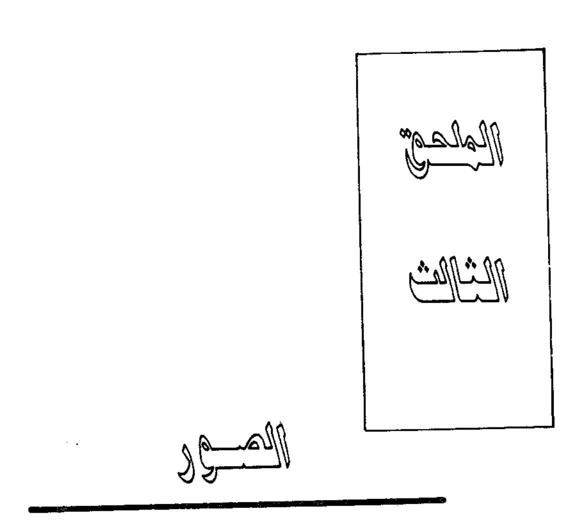
المؤتمر الاسلامي

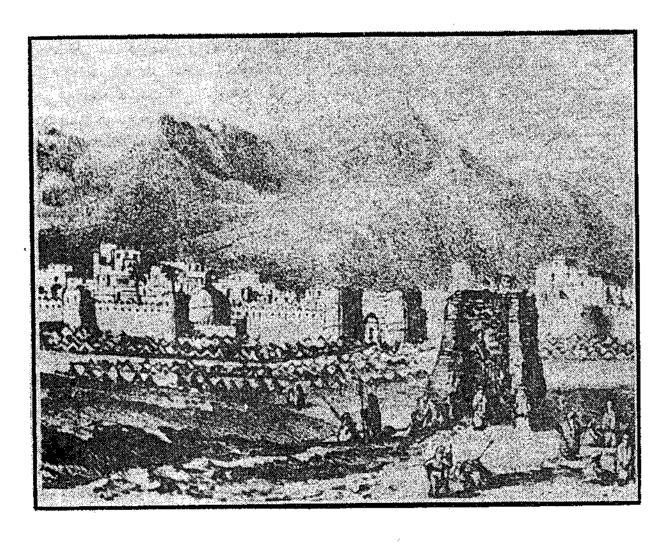
وأما ما ذكرتم عن المؤتمر الإسلامي بأنكم ترحبون به متى صمم المسلمون على ذلك ليبحثوا في ما يؤمن راحة الحجاج ورفاهيتهم في هذه الديار المقدسة فإنما هو يختلف مع إعلانكم الرسمي الَّذي وعدتم فيه انكم تريدون أن تتركوا مسألة مصير الحجاز إلى المؤتمر الإسلامي ونرى من واجباتنا أن نوجه انظاركم إلى إعلانكم السابق في هذا الخصوص ونرجو أن ترجعوا إليه وتوفوا بعهدكم ﴿**أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**﴾ فالمسؤول من عظمتكم أن تخبرونا هل أنتم دعوتم نواب المسلمين للمؤتمر أم لا فإن كنتم دعوتموهم فتفضلوا أعطونا صورة الدعوة وإلا فأخبرونا هل أنتم مستعدون لقبول قرار المؤتمر بمصير الحجاز متى انعقد .

الخاتمة

والآن نختم كتابنا ونسأل عظمتكم بكل أدب وإحترام أن تخرجوا الظنون والـريب من جهتنا من صـدوركم وأفيدونـا عن جواب أسئلتنـا حتَّى نطلع على الأحوال الصحيحة والوقائع الصادقة وبعد ذلك نوافقكم في ما نراه موافقاً للدين والإسلام ونخالفكم في ما نراه مخالفا للدين والإسلام وعلى كل حال لا نترك إن شاء الله المرجع الأصلي في كلامنا نعني به كتب الله وسنة رسوله وسنة السلف الصالح وأقوال الأئمة الأربعة وتقبلوا فائق الإحترامات ومزيد الثناء .

٣ فبراير سنة ١٩٢٦

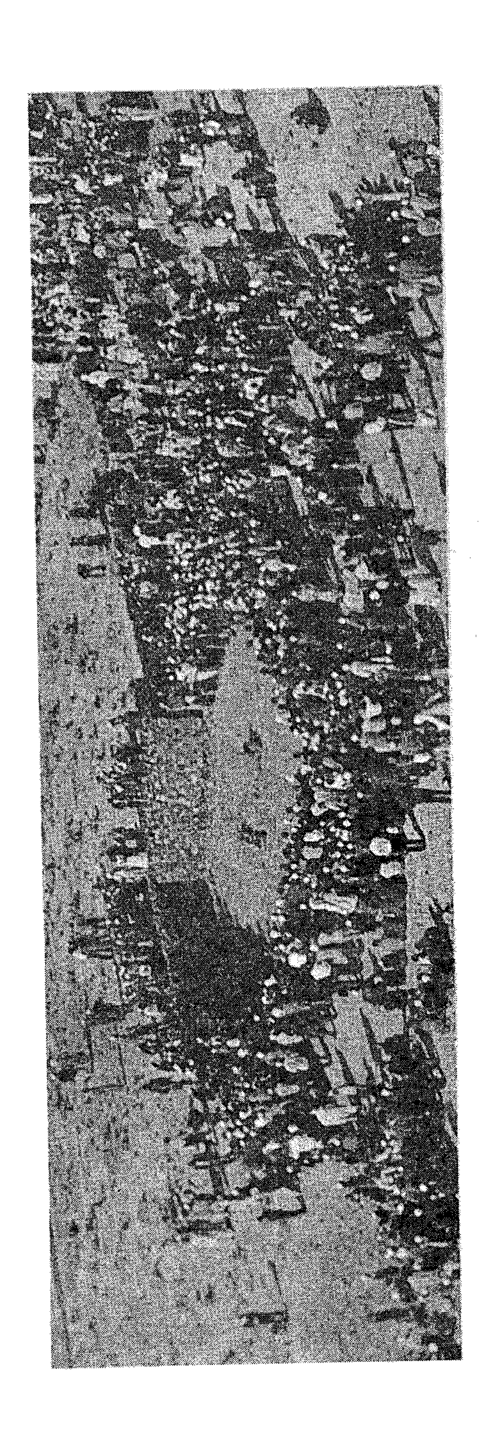

الملحق
الثالث
الصور



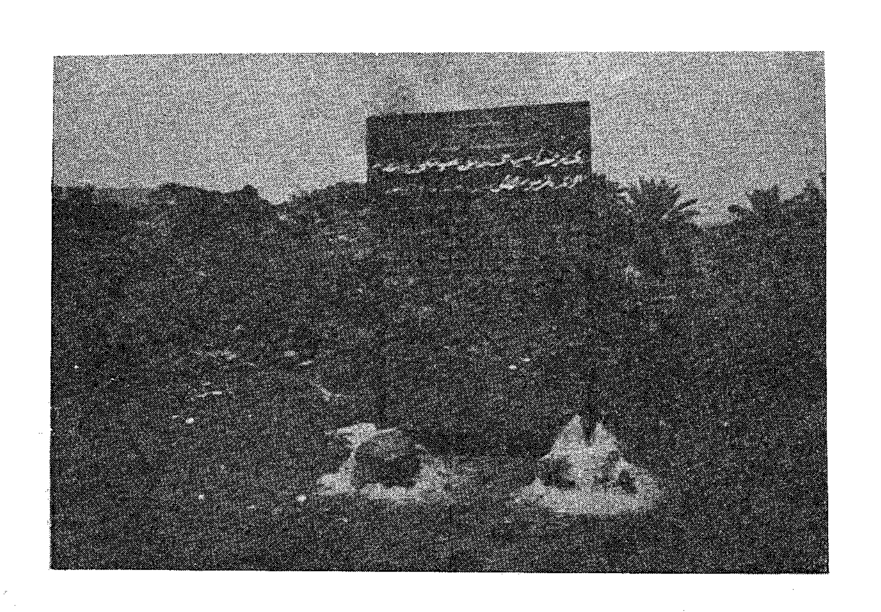
□المدينة المنورة لريتشارد بورتون (عام ١٨٥٢) □



□ منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١ أي قبل عشرين عاماً من هدمه □ .



حشود الزائرين يحيطون بقبور الأئمة الأربعة (ع) تحت حراسة البوليس السعودي .

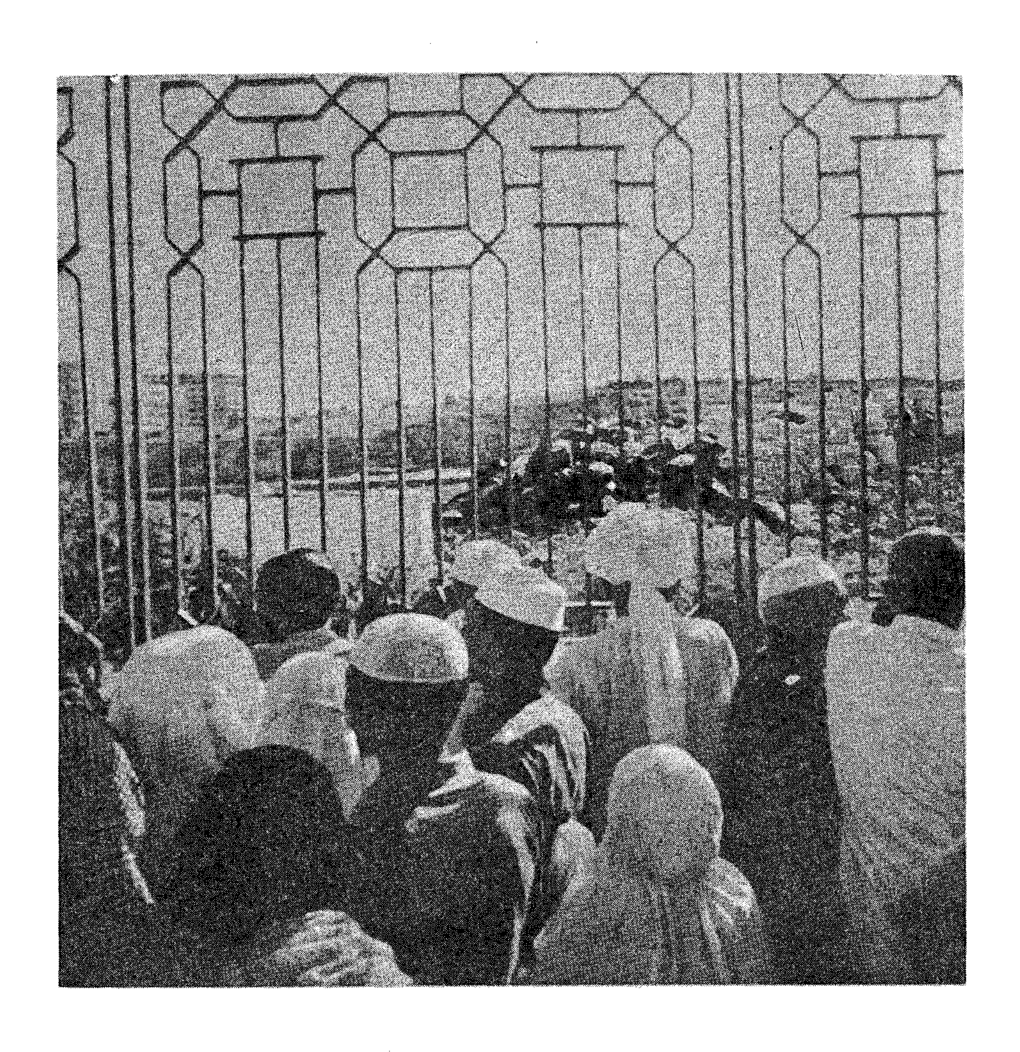


حصن كعب بن الأشرف رأس اليهود الذي إغتاله أحد الصحابة وقد وضع آل سعـود لوحة تحمل مرسـوماً ملكيـاً بحفظ هذه الآثـار وتحذر من عقـوبات آل سعـود حين التعدي عليها[1] .

نص المكتوب : تحذير . منطقة آثار : يحـظر التعدي عليهـا تحت طائلة العقـوبات الواردة بنظام الآثار بالمرسوم الملكي رقم و/٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/١٢هـ .

---

(١) المصدر السابق ـ المهدم من آثار المدينة المنورة ، عمر عبد القادر المغربي ـ ص٣٩ .



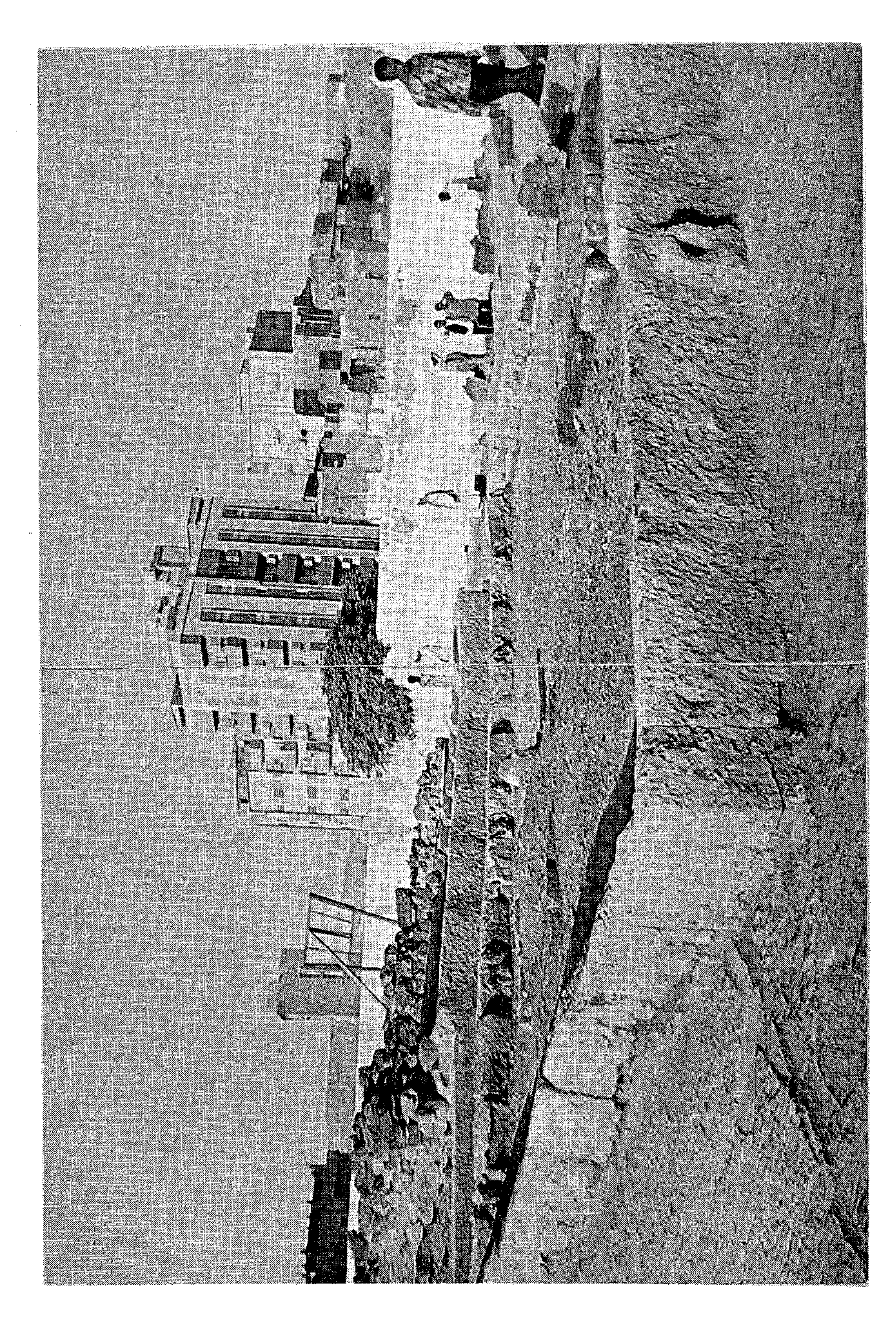
التزمت السعودي المقيت يقول : « يمنع دخول البقيع إلا لدفن الموتى » .



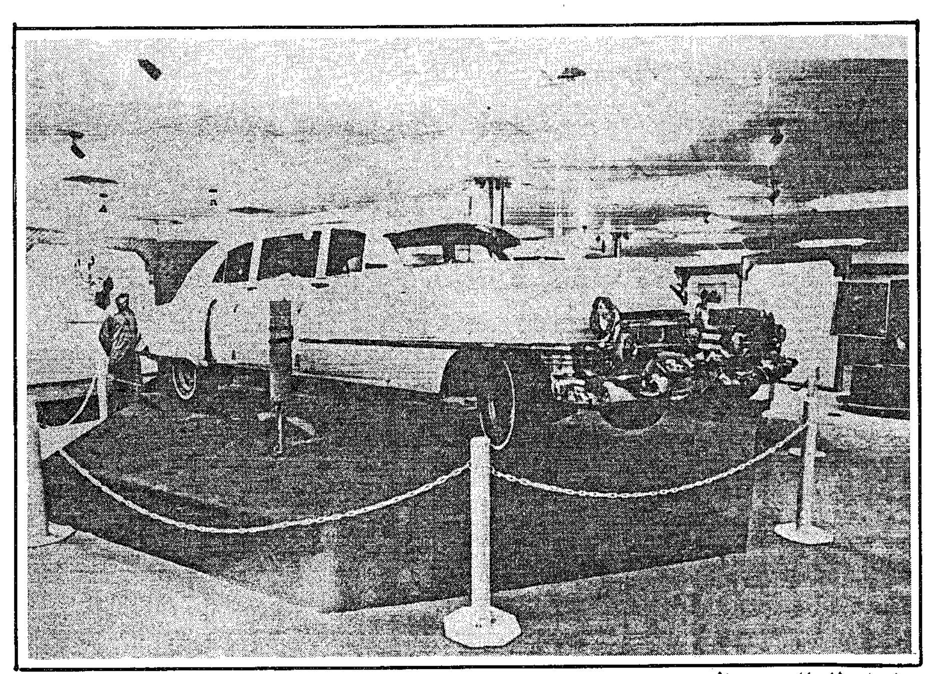
الأوساخ مبعثرة على ثرى الأئمة الأطهار (ع) في جنة البقيع .



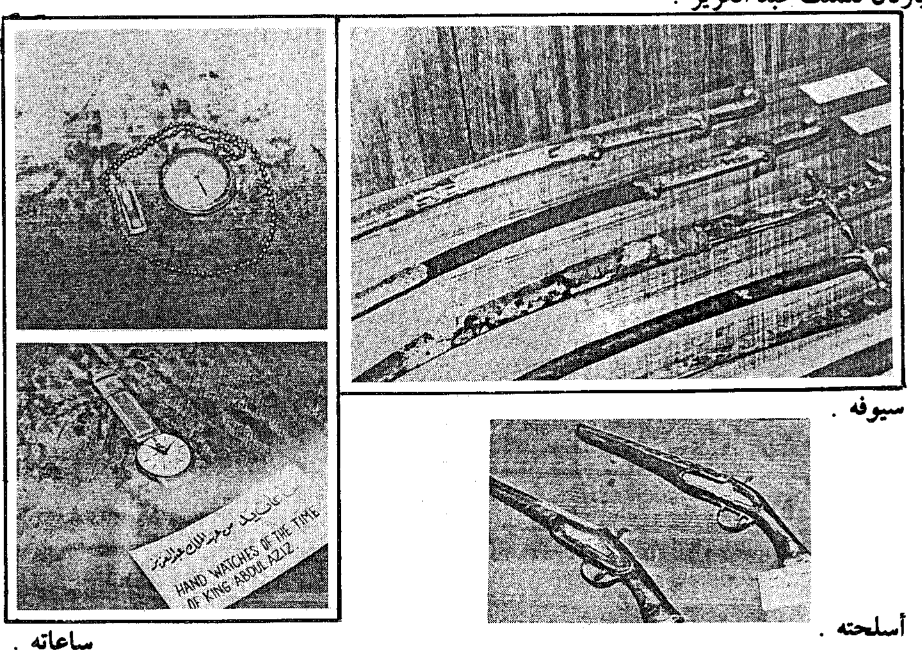
صورة قريبة لقبور أئمة البقيع (ع) .



صورة أخرى لمقبرة البقيع .



سيارتان للملك عبد العزيز .



سيوفه .

أسلحته .

ساعاته .

نماذج من محفوظات الملك عبد العزيز في الدارة التي أنشأت لحفظ آثاره وهي (دارة الملك عبد العزيز) ولا يمكن إعتبار هذا من الشرك أبداً !!

المصادر

أولاً : المصادر العربية :

الكتب العربية .

١ ـ إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، الجزئين الأول والثاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م .

٢ ـ جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، الجزئين الأول ، والثالث ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٣ ـ فهد القحطاني ، الإسلام والوثنية السعودية ، منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية ، لندن ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

٤ ـ صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

٥ ـ صالح لمعي مصطفى ، المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

٦ ـ د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة . الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٧ ـ محسن الأمين ، كشف الإرتياب في إتباع محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق حسن الأمين ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٥٢م .

٨ ـ د . مديحة أحمد درويش ، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة . الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٩ ـ عبدالله محمد أمين كردي وعبد العزيز محمد كابلي ، دليل المدينة المنورة للحاج والزائر ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة .

١٠ ـ عثمان بن بشر النجدي ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

١١ ـ أحمد عسة ، معجزة فوق الرمال ، المطابع الأهلية اللبنانية . الطبعة الثالثة ، ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م .

١٢ ـ الشيخ علي بن حسن الجشي ، ديوان العلامة الجشي ، مطبعة النجف ـ النجف الأشرف ، ١٣٨٣ .

١٣ ـ جمال الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد المطري ، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال ، الناشر أسعد درابزوني الحسيني ، القاهرة .

١٤ ـ أحمد عبد الحميد العباسي ، عمدة الأخبار في مدينة الأخبار ، تصحيح محمد الطيب الأنصاري ، الناشر : أسعد درابزوني الحسيني ، القاهرة . الطبعة الثالثة سنة الطبع غير معلومة .

١٥ ـ د . فيليب حتي ؛ د . ادورد جرجي ؛ د . جرائيل جبّور ، تاريخ العرب ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م .

١٦ ـ أحمد إبراهيم الشريف ، مكة المدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، مصر . الطبعة الثانية .

١٧ ـ د . عمر الفاروق سيد رجب ، المدينة المنورة التركيب الوظيفي . . النمو والمتغيرات ، المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم . وهو البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية ، ١٩٧٧م .

١٨ ـ إبراهيم بن علي العياشي ، المدينة بين الماضي والحاضر ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

١٩ ـ جمعة أحمد بن الشيخ محمد الحضراوي ، الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول (ص) ، على هامش كتاب العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ، المطبعة الميرية ، مكة ، ١٣١٤هـ .

٢٠ ـ د . علي الوردي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزئين الأول والسادس ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٩م .

٢١ ـ إبن شبة ، تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة المنورة) ، حققه فهيم محمد شلتوت الطبعة الثانية .

٢٢ ـ علي محمد علي دخيل ، ثواب الأعمال وعقابها ، دار المرتضى ، بيروت .

٢٣ ـ أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، رحلة إبن جبير ، المكتبة العربية ، بغداد ، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٣٧م .

٢٤ ـ إبن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٢هـ .

٢٥ ـ أحمد زيني دحلان ، خلاصة الكلام في أُمراء البلد الحرام .

٢٦ ـ محمد أديب غالب ، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، دار اليمامة للبحث الترجمة والنشر . الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

٢٧ ـ وزارة الخارجية الحجازية ، مهمة الوفد الهندي في الحجاز ، مخابرات رسمية من يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٣ (٢ يناير ١٩٢٥) إلى ٤ رجب ١٣٤٣ (٣٠ يناير ١٩٢٥) .

٢٨ ـ صور المفاوضات الخطية المتبادلة بين وفد جمعية خدام الحرمين الشريفين الهندية وبين عظمة سلطان نجد في غضون يناير ـ فبراير سنة ١٩٢٦ .

٢٩ ـ محمد جلال كشك ، السعوديون والحل الإسلامي .

٣٠ ـ عاتق بن غيث البلادي ، على طريق الهجرة . . رحلات في قلب الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع .

٣١ ـ السمهودي ، تاريخ المدينة المنورة المسمى وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ـ مصر .

٣٢ ـ عمر عبد القادر المغربي ، المهدم من آثار المدينة المنورة ، مؤسسة منشورات الحج ، طهران . الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٣ ـ عبد القدوس الأنصاري ، آثار المدينة المنورة ، المكتبة السلفية بالمدنية المنورة . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣م .

٣٤ ـ سنت جون فيلبي ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية) ؛ تعريب عمر الديراوي ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت .

٣٥ ـ محمد باقر النجفي ، ديوان شعراء الحسين (ع) ، الجزء الأول .

٣٦ ـ لفيف من الروحانيين في كربلاء المقدسة ، ذكرى أئمة البقيع

عليهم السلام ، العدد ٢ ـ السنة ٢ ، مطبعة الغري الحديثة في النجف ـ العراق ، ٨ شوال ١٣٨٦هـ .

٣٧ ـ المنجد في اللغة والإعلام ، الطبعة السادسة والعشرون ، دار المشرق ، بيروت .

٣٨ ـ السيد موسى الموسوي ، ديوان السيد رضا الموسوي الهندي (١٢٩٠ ـ ١٣٦٢هـ) ، راجعه وعلّق عليه الدكتور السيد عبد الصاحب الموسوي ، دار الأضواء ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٩ ـ علي بن الشيخ محمد آل سيف الخطي ، وفاة الحسن بن علي (ع) ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف . الطبعة السادسة ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥م .

٤٠ ـ حمد الجاسر ، رسائل في تاريخ المدينة المنورة (وصف المدينة المنورة) . دار اليمامة . الطبعة الأولى .

الدوريات العربية :

٤١ ـ مجلة المصدر المصرية ـ العدد ٦٠ ـ ٤ ديسمبر ١٩٢٥ ـ القاهرة .

٤٢ ـ مجلة الفيصل السعودية ـ العدد ١٢٣ .

٤٣ ـ مجلة الثورة الإسلامية ـ منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية ـ أعداد متفرقة .

ثانياً : المصادر الأجنبية :

الكتب الأجنبية:

٤٤ ـ محمد هاشم بن محمد علي خراساني ، منتخب التواريخ در وقايع مهمة متعلقة بحضرت خاتم النبيين وسيدة نساء العالمين والأئمة الاثني عشر

صلوات الله عليهم أجمعين ، كتابفروشي اسلامية ، تهران چاپ سوم ، ١٣٤٧ (باللغة الفارسية) .

٤٥ ـ محمد باقر نجفي ، مدينة شناسي ، جلد أول ، ١٣٦٣ هـ . ش . (باللغة الفارسية)

٤٦ ـ معصوم بن رحمتعلي نايب الصدر الشيرازي ، تحفة الحرمين وسعادت الدارين ، بكوشش محمد شيرازي ملك الكتاب ، پمبى ؛ ١٣٠٦هـ .ق (باللغة الفارسية)

٤٧ ـ غلا محسين مصاحب ، دايرة المعارف فارسي ، جزء أول (باللغة الفارسية)

48 - Lenc Zowski; George, The Middle East in World Affairs, 2 nd. ed ., Cornell University Press, ITHACA, N.Y., 1956.

49 - The Encyclopaedia of Islam; new ed., VOL.I, Luzac,& Co., London, 1960.

50 - Gibb, H.A.R. and J.H. KRAMERS, Shorter Encydopaedia of Islam, Cornell University Press; ITHACA, N.Y., 1953.

51 - Dr. Rangwala, Mulla Abbas Taherali, Sixth World Seminar [The Future of The Haramain (Makkah & Medina); The Muslim Institute, London, Jan 6,7,8 and 9,1988.

52 - Toynbee, Arnold J., Survey of International Affairs 1926, Oxford University Press; London.

الدوريات الأجنبية : ـ

Foreign Periodicals: -

53 - «The Moslem World» magazine, April, 1926, No.2, Vol. XVI, Cairo, Egypt., Reprinted in New York, 1966,

54 - «The Moslem World», 1927, VOL XVII.

- 55 جـريدة اطـلاعات الإيـرانية ، ٣١ شهـر يـورمـاه ١٣٠٥ هـ . ش . ١٥ ربيـع الأول ١٣٤٥ ـ السنة الأولى ـ العـدد ٣٥ ، مركـز إطلاعـات إيران ، طهران ، إيران .

وثائق الخارجية البريطانية : - :Documents

56 - No. [E3838/3838/91] dated 16 July 1930.
57 - No. [E5386/92/91].
58 - No. [4173/4173/25] dated 12 August 1931.
59 - No. [E/31/5377].
60 - No. [E3267/1600/25] dated 28 May 1931.
61 -No.[E2429/680/25] issued in 18 May 1932.
62 - No. [E4534/3838/91].
63 - No. [D.O. N7548- G.M.].
64 - No. [E5191/3838/91] dated 25 September 1930.

٦٥ ـ وثيقة عن مجلس الشورى الوطني الإيراني . . الـدورة السادسـة ـ الجلسة ١٢ ـ ١٥ ربيع الأول ١٣٤٥هـ .

الفهرس

